محاضرات في ...

تاريخ أوروبا المعاصر

الفرقة الرابعة - عام - تاريخ

أستاذ المقرر

أ. م. د. محمد سيد إسماعيل

العام الجامعي

٢٠٢٣/ ٢٠٢٤م

بيـــانـــات أساسية

الكلية: التربية **الفرقة**: الرابعة

التخصص: التاريخ **عدد الصفحات**: ١٨٧ صفحة

القسم التابع له المقرر : قسم التاريخ– كلية الآداب.

الرموز المستخدمة

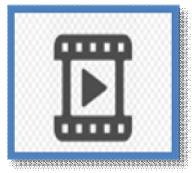 فيديو للمشاهدة.

نص للقراءة والدراسة.

رابط خارجي

أسئلة للتفكير والتقييم الذاتي.

أنشطة ومهام.

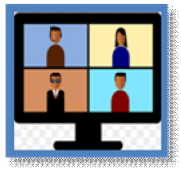 تواصل عبر مؤتمر الفيديو.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلى آله عدد كمال الله وكما يليق بكماله وبعد،،،

يسرنا أن نقدم للقارئ والباحث في التاريخ هذا الكتاب عن "تاريخ أوروبا المعاصر" بداية من الحرب العالمية الأولى والأسباب التى أدت إلى قيامها، وموقف العالم من هذه الحرب حيث لأول مرة يتم تأسيس منظمة عالمية تعمل على حفظ الأمن والسلم الدوليين. وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى نشطت الدول المركزية مرة أخرى وأثارت ثائرة العالم الأوربى بجانب بعض الأزمات الأخرى التى أدت إلى إشعال نار الحرب العالمية الثانية ، وما تلا هذه الحرب من حواد ث شطرت العالم إلى شطرين أو كتلتين "شرقية وغربية" ودار الصراع النووى بينهما وتنافس كل منهما ضد الآخر بضم أكبر قوة إليه مما أدى إلى سباق التسلح النووى بين كل من الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتى.

وقد قسمنا الكتاب إلى عدة فصول، تناولنا فى الأول منها "أوروبا عشية الحرب العالمية الأولى" مثل أزمة مراكش وأزمة ضم البوسنة والهرسك والحرب التركية الإيطالية والحروب البلقانية وحادث سراييفو، وأن كل أزمة من هذه الأزمات كانت كفيلة لإشعال الحرب. نتج عن هذه الأزمات أن اشتعلت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ – ١٩١٨)م فكان (الفصل الثانى) الحرب التي قامت بين دول القارة وأتباع هذه الدول خارج القارة كالمستعمرات، وانتهت الحرب بهزيمة الألمان ١٩١٨، وانعقدت مؤتمرات الصلح واتفاقيات السلام. ويأتي الفصل الثالث عن (اتفاقيات السلام ومعاهدات الصلح التي عقدت بين المنتصرين والمنهزمين؛ وتأتي على رأسها أهم معاهدة في تاريخ أوروبا المعاصر حيث معاهدة فرساي التي أعقبت "مؤتمر فرساي

١٩١٩م". وما تلاها من معاهدات أعقبت تلك الحرب كمعاهدة نايلي ومعاهدة سيفر، ومعاهدة لوزان،..... وغيرها .

جاء الفصل الرابع تحت عنوان (أوروبا بين الحربين) ؛ وجاء الحديث في ذلك الفصل عن أهم النتائج التي نتجت عن الحرب الكبرى الأولى مثل؛ إنشاء عصبة الأمم ، ناهيك عن نتائج الحرب الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى ظهور الدول القومية الجديدة؛ تحت عنوان "أوروبا فى أعقاب الحرب العالمية الأولى " حيث ظهور وقيام النازية فى ألمانيا، وإيطاليا الفاشية. تنتقل الدراسة بعد ذلك إلى الفصل الخامس إلى الأزمة الدستورية الكبرى عام ١٩٣٦م؛ والتي جاءت بسبب تنازل الملك الشاب "إدوارد الثامن" عن عرش بريطانيا بسبب الأمريكية والاس سيمبسون، تحدثنا عن موقف الكنيسة والبرلمان والحكومة ثم الرأي العام في هذه القضية المهمة. بعد ذلك الفصل السادس والمعنون بـ (موقف بريطانيا من أطفال يهود ألمانيا من ديسمبر ١٩٣٨ وحتى أغسطس ١٩٣٩م؛ أشرنا إلى اليهود ومكانتهم داخل المجتمع الألماني، ثم موقف "أدولف هتلر" الباغض لليهود، وكيف قام بطردهم من ألمانيا كونهم سبب تأخرهم وتخلفهم عن ركب الحضارة وسبباً أيضاً في تدمير ألمانيا في أعقاب الحرب الأولى. وما هو موقف بريطانيا الشعبي والرسمي والعالم كله تجاه أزمة إنسانية وهي طرد أطفال اليهود من ألمانيا.

ثم يأتي حديثنا التالي في الفصل السابع عن "لأزمات الدولية التى أدت إلى قيام الحرب العالمية الثانية"؛ حيث الحرب الصينية اليابانية، والحرب الحبشية الإيطالية، والحرب الأهلية الأسبانية، ثم التوسع الألمانى فى أوروبا الوسطى، وأخيراً الأزمة البولندية التى أشعلت نيران الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ تلك الحرب التي أفردنا لها الفصل الثامن والأخير لتلك الحرب التي دارت رحاها بين معظم دول العالم بطريق مباشر أو غير مباشر.

وأخيراً تأتي قائمة بأهم المصادر والمراجع التي يمكن للباحث في تاريخ تلك الفترة الإطلاع عليها؛ ويأتي على رأسها العديد من الوثائق البريطانية والأمريكية.

وصل اللهم على سيدنا محمد وآله وصحب وسلم.

أ.م. د. محمد سيد إسماعيل

أسيوط – ٢٠٢١م

فهرس

م	اسم الجدول	رقم الصفحة
١	مقدمة	١ - ٣
٢	فهرس	٤
٣	الفصل الأول : أوروبا عشية الحرب الكبرى	٥ ــ ٢١
٤	الفصل الثاني: الحرب العالمية الأولى	٢٢ ــ ٥٣
٥	الفصل الثالث: اتفاقيات السلام ومعاهدات الصلح	٥٤ ــ ٦٧
٦	الفصل الرابع : أوروبا بين الحربين	٦٨ ــ ٧٦
٧	الفصل الخامس: الأزمة الدستورية العظمى ١٩٣٦م	٧٧ - ١٠٤
٨	الفصل السادس: موقف بريطانيا من أطفال يهود ألمانيا	١٠٥ - ١٢٩
٩	الفصل السابع: أزمات الحرب العالمية الثانية	١٣٠ - ١٤٨
١٠	الفصل الثامن: الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)م	١٤٩ - ١٧٧
	فيديو	٢١
	رابط خارجي	٧٦
	أنشطة ومهام	١٧٧
	قائمة المصادر والمراجع	١٧٨ ــ ١٨٥

الفصل الأول

أوروبا عشية الحرب العالمية الأولى

☒ أزمة مراكش ١٩٠٦ – ١٩١١ م

في أعقاب الاتفاق الودي ١٩٠٤م فاوض "دلكاسيه" وزير خارجية فرنسا بشأن تقسيم مراكش دولة أسبانيا التي أقتنعت بالاستيلاء على إقليم الريف فلم يبق أمامها من معارض سوى ألمانيا التى كانت تهتم بمراكش، وتعمل على منع فرنسا من بسط سيطرتها عليها، فقام الإمبراطور "وليم الثانى" بالنزول فى ميناء طنجة فى مارس ١٩٠٥ وألقى خطبة، أكد لسلطان مراكش أن ألمانيا تعتبره سلطاناً مستقلاً آملاً تحافظ مراكش على سياسة الباب المفتوح. فى عام ١٩٠٥ اقترح الكونت "شليفن" رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية على حكومته إقحام حرب على فرنسا لاختبار متانة الاتفاق الودى الإنجليزى الفرنسى بشن هجوم دبلوماسى قوى.

وبسبب هذه الأحداث اضطرت فرنسا تجنباً للحرب إلى إحالة الأمر على مؤتمر دولى ، ففى ١٦ يناير ١٩٠٦ عقد مؤتمر فى الجزيرة الخضراء " مدينة صغيرة فى أسبانيا بالقرب من جبل طارق "، وحضره ممثلو اثنتى عشرة دولة ، وسرعان ما تحول هذا المؤتمر إلى صراع سياسى بين ألمانيا وفرنسا ، وفى هذا النزاع حصلت فرنسا على تأييد صريح من روسيا وبريطانيا وأسبانيا وإيطاليا ، فى حين كان تأييد النمسا لألمانيا فى المؤتمر تأييداً فاتراً ، وقد استخدمت روسيا نفوذها ضد ألمانيا ، وفعلت بريطانيا نفس الشئ ، وقد كانت ألمانيا تهدف إلى جعل ضباط الشرطة فى المغرب من الدول الصغرى ، أو السماح لسلطات المغرب باختيار الشرطة اللازمة له اختياراً حراً ، وكانت ألمانيا تريد منع فرنسا تنظيم الشرطة إلى موظفين من أسبانيا

وفرنسا تحت إشراف مفتش عام سويسرى ، كما تم الاتفاق على أن تدير فرنسا وحدها شئون الجمارك فى الجانب المجاور للجزائر ، وأن تدير أسبانيا شئون الجمارك فى منطقة الريف .

فى مؤتمر الجزيرة الخضراء ، إذاً، انتصرت فرنسا فى قضية الشرطة لأنها حصلت على نصيب الأسد فى السيطرة واستبعدت ألمانيا وحلفاؤها كلية من الشرطة، فى حين نالت ألمانيا نجاحاً فى الرقابة المالية وفرض التجارة ، فقد تأسس مصرف الدولة تحت إشراف الدول الأربع عملياً : ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وأسبانيا ويتبع القانون الفرنسى فى أعماله ، كما أسندت مهمة مكافحة تهريب الأسلحة والذخائر إلى المغرب وأسندت قيادة قوة أمن الموانئ إلى ضباط فرنسيين وأسبانيين . كانت أهم نقاط اتفاقية الجزيرة الموقعة فى ٧ أبريل ١٩٠٦ أن عالج الفصل الأول موضوع الشرطة كما يلى :

١- يجب أن توضع الشرطة تحت سلطة السلطان ويكون أفرادها من أبناء البلد وتتمركز فى مرافئ التجارة الثمانية .

٢- يساعد السلطان فى تنظيم القوة لمدة خمس سنوات ضباط فرنسيون وأسبانيون غير منتدبين رسمياً .

٣- ألا يزيد عدد أفراد الشرطة عن ٥٠٠٠ شخص وألا يقل عن ٢٠٠٠ .

٤- أن يؤمن بنك الدولة المخصصات المالية .

٥- أن يكون المفتش العام مواطناً سويسرياً.

٦- ترسل نسخات من تقرير المفتش العام إلى طنجة التى لها صلاحية طلب تقارير منه عند الاقتضاء .

٧- يناقش موضوع معاش المفتش العام .

٨- أن يوقع عقد عمله فى طنجة .

٩- أن يكون المفتشون أسبانيين فى تطوان والعريش وفرنسيين فى الرباط ومختلطين فى طنجة والدار البيضاء وفرنسيين فى المرافئ الثلاثة الباقية .

وعالج الفصل الثانى موضوع تجارة الأسلحة واضعاً أنظمة لذلك على أن تقوم فرنسا بتطبيق هذه الأنظمة على الحدود الجزائرية ، وتقوم أسبانيا بتطبيقها على حدود المنطقة الأسبانية. وعالج الفصل الثالث موضوع بنك الدولة " الدولة المغربية " – له صلاحية إصدار الأوراق المالية ويعمل بمثابة خزينة للدولة ، ويكون البنك خاضعاً للأنظمة الفرنسية . أما الفصل الرابع فقد عالج موضوع الدخل والضرائب ، وعالجت فقرات الفصل الخامس شئون الجمارك،أما الخدمات والأشغال العامة فقد عالجها الفصل السادس.

وفى أبريل ١٩١١ انتهزت فرنسا فرصة الوضع الداخلى فى المغرب ، فأرسلت حملة حربية إلى فاس لمساعدة سلطان المغرب ، وقد أثار هذا العمل ألمانيا ، التى اتفقت مع أسبانيا على أن عمل فرنسا فى المغرب يعرض قرار الجزيرة الخضراء ووحدة المغرب معه بخطر التمزق ، وسارعت فى أول يوليه ١٩١١ بإرسال الطراد الألمانى " بانتر Panther " إلى ميناء أغادير فى جنوب المغرب لحماية المصالح والرعايا الألمان هناك ، وفسرت عملها بأنها تعتبر قرار الجزيرة الخضراء ميتاً ، ولا تستطيع أن تقف موقف المتفرج ، مما يبدو أنه خرق واضح من فرنسا وأسبانيا لهذا القرار .

وظهر من ذلك أن ألمانيا تحاول الحصول على جنوب المغرب كخطوة أولى وكنتيجة طبيعية لدخول الفرنسيين إلى فاس ، وقد أدى ذلك إلى حدوث أزمة وإلى شحن الجو الدولى إلى درجة لم يصل إليها حتى مع زيارة الإمبراطور غليوم (وليم الثانى) لطنجة عام ١٩٠٥ ، وأخذ الناس يتحدثون عن الحرب العالمية ، وإذا كانت فرنسا قد

فكرت فى إرسال سفينة حربية إلى أغادير إلا أنها قد استبعدت الفكرة تجنباً للحرب ، كما استبعدتها بريطانيا ، وعلى أساس وقوف بريطانيا بجانب فرنسا فى حالة الاعتداء على المصالح الفرنسية ، وعلى أساس أن دخول القوات الفرنسية إلى فاس لا يعتبر اعتداء على المصالح الألمانية ، وأمام المخاوف الفرنسية والبريطانية من الوصول إلى حرب مع ألمانيا ، بدأت المفاوضات بين فرنسا وألمانيا من أجل الوصول إلى تسوية لهذه المشكلة ، وهكذا اتفقت الدول الاستعمارية فيما بينها على حساب مراكش .

وقد أحدثت هذه المظاهرة البحرية الألمانية رد فعل عاجل فى باريس ولندن ، فقد كان إرسال الطراد الألمانى للاستيلاء على ثغر على الإطلنطى أحسن وسيلة لإقناع إنجلترا بأن ألمانيا تحاول بالقوة الحصول على قاعدة بحرية ، كما فعلت فى " كياو شاو Kiuo – Chau " من قبل . وقد استغلت كل من إيطاليا وبروسيا أزمة أغادير لتحقيق أطماعها فوجهت إيطاليا إنذاراً نهائياً إلى تركيا فى ٢٦ سبتمبر ، وأعلنت الحرب عليها بعد ثلاثة أيام ، واحتلت شواطئ طرابلس وجزر الدوديكانيز (١٢ جزيرة فى بحر إيجة ، أهمها رودس) ، وجميعها تحت السيادة العثمانية. على أن الأزمة انتهت بعد مفاوضات استمرت إلى ٤ نوفمبر ١٩١١ باتفاقية أصبحت المغرب بمقتضاها فرنسية فيما عدا طنجة والمنطقة الأسبانية ، ولم تحتفظ ألمانيا إلا " بالباب المفتوح " للتجارة وتم تعويضها فى الكنغو الفرنسى ، ولكن الموقف أصبح حرجاً.

وعن الموقف الوطنى المغربى فقد استمرت ثورة الأهالى ، وأباد الوطنيون الحامية العسكرية الفرنسية فى فاس عام ١٩١٢ ، ولكن فرنسا أعادت احتلالها بعد أسبوعين بقيادة المارشال " ليونى " الذى فرض على سلطان المغرب معاهدة الحماية ، فى ٢٠ مارس ١٩١٢ حيث تم الاتفاق على إنشاء نظام يسمح بالإصلاحات الإدارية والقضائية والتربوية والاقتصادية والمالية والعسكرية التى ترى الحكومة الفرنسية فائدة فى إدخالها إلى المغرب ، وبناء على ذلك يقبل سلطان المغرب الاحتلالات التى

تراها فرنسا ضرورية لاستتباب الأمن وتأمين المعاملات التجارية فى الأراضى المغربية ، وأن يمثل فرنسا مندوب مقيم عام يخول جميع سلطات الحكومة الفرنسية فى المغرب ، وهو الوسيط الوحيد بين السلطان والممثلين الدبلوماسيين الأجانب.

☒ أزمة ضم البوسنة والهرسك ١٩٠٨م

أن بقاء مقدونيا تحت الحكم العثمانى أثبت أنه مركز مزمن للاضطراب والقمع والشدة ، وكان التهجم والامتعاض عظيمين فى أوربا ، حينما عرف أن النمسا بدون علم حليفتها ألمانيا ، ضمت البوسنة والهرسك فى أكتوبر ١٩٠٨، وأن بلغاريا بتشجيع النمسا أعلنت نفسها مملكة مستقلة عن الباب العالى .

وقد رأت النمسا أن الفرصة سانحة لها لضم هذين الإقليمين الذين تحملت عبء إدارتهما منذ مؤتمر برلين ١٨٧٨ حيث وقعت البوسنة والهرسك تحت الاحتلال النمساوى المجرى ويتم توسيع حدود الصرب والجبل الأسود، وبذلك تستطيع أن تحقق هدفين فى آن واحد :

١- ضم الإقليمين قبل أن يفيق الأتراك من مشاكلهم الثورية الداخلية.

٢- توجيه ضربة قاصمة للأمانى القومية الصربية المتعلقة بهذين الإقليمين.

تم التصديق على بيان الإمبراطور النمساوى بموجب معاهدة عقدت فى استانبول – نصت عل ى إلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا ، وكان هذا فى ٢٦ فبراير ١٩٠٩ ، وكانت جمعية الاتحاد والترقى هى القابضة على زمام الحكم فى الدولة العثمانية بعد أن أسقطت السلطان عبدالحميد الثانى من على عرش الحكم العثمانى ، لذلك حدثت احتجاجات شعبية فى استانبول تندد بإلحاق البوسنة والهرسك بالنمسا ، وظهرت شائعات تقول بأن حكومة الاتحاد والترقى " باعت " البوسنة والهرسك للكفار

لذا فقد ألهب ذلك شعور السخط فى جميع أنحاء صربيا ، كما اعتبرت روسيا أن ذلك ضربة غادرة موجهة لها من جانب النمسا ، خاصة وأن ذلك جاء بعد هزيمتها أمام اليابان عام ١٩٠٥ ، جعلها ضعيفة لا تستطيع أن تواجه النمسا بأى عداء ، مما أدى إلى تراجعها وتخاذلها ولم تصعد المشكلة ، خاصة وأن الإنجليز أصدقاء الروس عارضوا فى فتح المضايق لمرور السفن الروسية فيها ، ولكن تخاذل روسيا كان ضربة لصربيا حليفتها فأعلنت روسيا أنها لا تمانع فى ضم البوسنة والهرسك إلى النمسا أمام الضغط الألمانى ، وقد تسبب ضم البوسنة والهرسك من جانب النمسا إلى ازدياد التوتر والاضطراب فى منطقة البلقان ، كما أدى إلى الصراع السياسى بين كثير من الدول الأوربية .

وعندما انسحبت الدولة العثمانية من بلاد البوسنة والهرسك لدولة ال نمسا والمجر ، وقعت لأول مرة أعداد كبيرة من المسلمين تحت حكم غيرهم ، فهاجر الكثير منهم إلى الأناضول والبلاد الأخرى التى بقيت تحت الحكم العثمانى ، وكانالحكم النمساوى قاسياً على المسلمين بسبب الاضطهاد ومحاولات التنصير من طرف الكاثوليك ، مما أدى إلى هجرة الكثير من المسلمين إلى تركيا ، وفى ١٥ أبريل ١٩٠٩ نجح المسلمون فى الحصول على الحكم الذاتى فى الأمور الدينية

☒ **الحرب التركية الإيطالية ١٩١١ – ١٩١٢ م**

أثناء أزمة أغادير حاولت إيطاليا تحقيق بعض التوسعات الجديدة فأخذت تفكر فى إنشاء إمبراطورية إيطالية فى أفريقيا ولم تتمكن من تحقيق أطماعها فى تونس ١٨٨١ ووافقت أطماعها فى أثيوبيا ١٨٩٦ ، ولم توفق إلا فى ١٩١١حين احتلت ليبيا ، فقد أعلنت إيطاليا حرباً على الدولة العثمانية بعد أن حصلت على اعتراف الدول الكرى باحتلال ليبيا ، وأنزلت قواتها على الشواطئ الليبية واستولت على جزر الدوديكانيز فى بحر إيجة .

ففى ٢٦ سبتمبر ١٩١١ أرسلت إيطاليا إلى تركيا إنذاراً أن تصدر تركيا أوامرها إلى قواتها بعدم التعرض للقوات الإيطالية ولكى يتم الاحتلال بدون مقاومة، وانتشرت الأخبار بأن الباخرة التركية " درنة " فى طريقها إلى طرابلس محملة بالأسلحة والذخائر ، فقدمت إيطاليا إلى الباب العالى مذكرة أشارت فيها إلى الأخطار التى تهدد الرعايا الإيطاليين فى طرابلس ، وحذرت تركيا من أن إرسال السفن والمهمات الحربية إلى فى هذه الظروف سيعتبر عملاً غير ودى ، ووصلت " درنة " إلى ميناء طرابلس فى ٢٧ سبتمبر ١٩١١ فقدمت إيطاليا إنذارها إلى تركيا فى اليوم التالى بأن ضرورة ملحة لإنهاء حالة الفوضى والإهمال فى طرابلس وبرقة ، وأن يسمح لها بأن تتمتع بالتقدم ، وأن إيطاليا تطلب إجابة قاطعة من تركيا خلال أربع وعشرين ساعة من وقت تقديم الوثيقة للباب العالى ، وفى حالة عدم الإجابة ستكون إيطاليا مضطرة لأن تتخذ الخطوات اللازمة لتنفيذ الاحتلال – هذا من منطلق القوة الإيطالية فى ذلك الوقت .

ردت تركيا على الإنذار الإيطالى وأظهر الرد للإيطاليين حسن نية تركيا حيال إيطاليا ومشروعاتها الاقتصادية فى طرابلس وبرقة ، وأكد لهم أن الحالة فى طرابلس لا تهدد بالخطر ، وأن تركيا على أتم استعداد لكى تمنح إيطاليا امتيازات اقتصادية كافية فى هذه الولاية ، على ألا يؤثر ذلك على السيادة العثمانية ، وعلى ألا تقدم إيطاليا على احتلالها عسكرياً ، بل تتعاون الحكومتان على تقدم الولاية ، وتستفيدا معاً دون أن تتعرض مصالح إحداهما أو كرامتها للاعتداء، وبذلك فإن خطب الود الإيطالى من قبل تركيا دليل الضعف.

إذن كانت إيطاليا مصممة على احتلال طرابلس ، وأن الدولة العثمانية فى حالة لا تسمح لها برد العدوان الإيطالى والدفاع عن إحدى ولاياتها ، وفى ٢٩ سبتمبر أعلنت إيطاليا الحرب على تركيا ، وقد جاء التوقيت مناسباً حيث انشغال تركيا بمشاكلها

الداخلية فى البلقان ، ومهدت إيطاليا لتحقيق أهدافها بتوثيق صلاتها بليبيا فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، فشجعت رعاياها على الهجرة إليها ، وأقامت بها المؤسسات التجارية والشركات الزراعية ، والمدارس والمستشفيات والملاجئ ، وأنشأت بها فرعاً لبنك روما الذى شرع فيه تقديم القروض للأهالى بالربا الفاحش ، وينتزع أملاكهم كلما عجزوا عن سداد ما اقترضوه.

وقد ترك موقف ألمانيا من حرب إيطاليا مع تركيا أثراً سلبياً على وضع إيطاليا فى الثلاثى الألمانى النمساوى الإيطالى ، فقد وقفت ألمانيا إلى جانب تركيا حرصاً على صداقتها بها ، الأمر الذى ساعد على خروج إيطاليا من الحلف فى أثناء الحرب العالمية الأولى ، وإعلانها الحرب على ألمانيا.

أما روسيا فقد انتهزت فرصة النزاع وقدمت طلباً رسمياً إلى القسطنطينية فى ديسمبر ١٩١١ بفتح مضيق الدردنيل أمام السفن الحربية الروسية ، ولكن إنجلترا وفرنسا رفضتا تأييد المطلب ، فرفضت تركيا طلب روسيا. وبعد أن فشلت إيطاليا فى إرغام تركيا على التنازل لها عن ليبيا قررت ضم ليبيا رسمياً فى فبراير ١٩١٢ ، ومن ناحية أخرى أرغم نشوب حرب البلقان فى أكتوبر ١٩١٢ تركيا على أن تعقد صلح " لوزان مع إيطاليا ، وفى هذه المعاهدة تنازلت تركيا عن ليبيا لإيطاليا وقبل أن تنتهى الحرب التركية الإيطالية بدأت حروب البلقان (١٩١٢ – ١٩١٣)

☒ **الحروب البلقانية Balkan Wars (١٩١٢ – ١٩١٣)**

تمت مقابلة بين إدوارد السابع ملك إنجلترا وقيصر روسيا فى ريفال فى ظروف الوفاق الودى (١٩٠٧) لتصفية الخلاف بين الدولتين وفهم من هذا الوفاق أنه مساومة استعمارية بينهما على حساب الدولة العثمانية – كذلك حدثت فى ذلك الوقت اضطرابات فى ألبانيا احتجاجاً على النمسا ، وقد فسرت هذه الاضطرابات على أنها مؤامرة من النمسا لتبرر تدخلها العسكرى والسياسى فى ألبانيا – وكان لابد من

تحرك الضباط الأتراك لإيقاف هذه المؤامرة الخارجية على الدولة العثمانية وممتلكاتها ، إلا أن الضباط وعلى رأسهم أنور باشا أرسلوا إلى السلطان عبد الحميد يطالبونه بإعادة دستور ١٨٧٦ الذى عطله فى ١٨٧٨ ، وحاول السلطان تدارك الأمر ، ولكن هذه الخطوة جاءت متأخرة. وفى ٢٤ يوليو ١٩٠٨ أعلن السلطان إعادة الدستور وإلغاء الرقابة والجاسوسية وإجراء انتخابات لمجلس المبعوثان (البرلمان العثمانى يتألف من مجلس نواب " المبعوثان " وهو بالانتخاب ومجلس شيوخ وهو بالتعيين) ، وكان المجلس النيابى الجديد يضم ٢٨٠ نائباً عن طريق الانتخاب غير المباشر على أساس أن كل مجموعة ما بين ٢٥٠ إلى ٧٥٠ تنتخب عنها واحداً من الذكور البالغين فوق سن ٢٥ سنة .

قوبل إعلان الدستور بابتهاج بالغ فى كافة أنحاء الإمبراطورية ، فأعلن أنور باشا أن الحكومة الاستبدادية قد انتهت وأصبح الجميع متساوون سواء بلغار أو يونانيون أو رومانيون أو يهود أو مسلمون نفخر بأننا عثمانيون ، وفى مدينة سيريس Seraes تعانق رئيس جمعية الاتحاد والترقى فى بلغاريا مع البطرق اليونانى ، وفى " دارما " سَجَنَ الضباط الأتراك أحد الأتراك لأنه أهان مسيحياً – وفى إحدى الكنائس الأرمينية اجتمع عدد كبير من الأتراك والأرمن للصلاة على روح ضحايا المذابح الأرمينية.

وفى أبريل ١٩٠٩ قامت اضطرابات فى العاصمة العثمانية على يد حركة موحدة بين العناصر الرجعية من أنصار السلطان عبدالحميد " وجمعية الاتحاد الحر " – وكان عبدالحميد وراء هذه الاضطرابات – واحتل فريق من الجنود بقيادة أحد الألبان باحتلال البرلمان وقتل ضابطين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقى كما قتل وزير العمل وجرح وزير البحرية ، وفى نفس الوقت بدأت مذابح الأرمن فى بعض المدن ، ويعتقد البعض أنه لولا هذه المذابح لكان فى إمكان عبدالحميد أن ينجز الانقلاب الرجعى ، فلما

بلغت أنباء هذا الانقلاب سالونيك زحف محمود شوكت بقواته إلى العاصمة لحماية الدستور بالقوة واجتمع مجلس المبعوثان فى سان استيفانو فى شكل جمعية وطنية وأعلن موافقته على خلع السلطان عبدالحميد على أساس فتوى من شيخ الإسلام ، وكان فى مقدمة الوفد ارباعى الذى تقدم إلى القصر السلطانى ليبلغ عبدالحميد نبأ عزله المحامى اليهودى عمانويل كاراسوافتوس أحد قادة الحركة الماسونية فى سالونيك ، ثم تم تولية السلطان محمد الخامس الذى ظل ألعوبة فى يد الاتحاد والترقى الذين سيطروا على الحكم فى تركيا بزعامة أنور باشا حتى الحرب العالمية الأولى وهم الذين دخلوا الحرب فى جانب ألمانيا.

إن لجنة الاتحاد والترقى تبدو فى تشكيلها الداخلى تحالفاً يهودياً – تركياً مزدوجاً ، فالأتراك يمدونها بالمادة العسكرية الفاخرة ويمدها اليهود بالعقل المدبر ، وبالتدبير وبالمال وبالنفوذ الصحفى القوى فى أوربا ، أن اليهود الذين يسيطرون على الجهاز الداخلى للدولة يعملون على السيطرة الاقتصادية والصناعية على تركيا الفتاة ، ولكى يصل اليهود إلى مكان النفوذ فى مراكز النفوذ فى تركيا الفتاة ، فإنهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية. الجدير بالذكر أن الأحداث تلاحقت ، فكانت ثورات البوسنة والهرسك وبلغاريا وكريت ، فأثارت هذه الثورات مشكلة النزاع بين المسلمين والمسيحيين من جديد .

لقد أثار ضم النمسا للبوسنة والهرسك الشعور القومى فى بلاد البلقان ، وتبين البلقانيون مدى الضعف الذى وصلت إليه الدولة العثمانية بعد حرب طرابلس ، ورأوا أن ساعة الخلاص من الحكم العثمانى قد حانت خاصة وأنهما كانوا يطمعون فى معاونة روسيا لهم بعد أن توترت العلاقات بينهما وبين النمسا ، وتضاربت مصالحهما فى البلقان ، وقد كانت روسيا ترغب فى بسط نفوذها على شبه جزيرة البلقان ، هذا إلى جانب الهيمنة على البواغيز المؤدية إلى البحر المتوسط ، وهذا بعد تخلص روسيا

من الاحتلال الهولندى لموسكو والسيطرة عليها لمدة عامين منذ ١٩١٠ فى الوقت الذى تمكن فيه السويديون من حرمان روسيا من منفذها على بحر البلطيق عند رأس الخليج الفنلندى ولذلك ففى ١٤ مارس ١٩١٢ شجع الروس كل من صربيا وبلغاريا على توقيع معاهدة تضمن تعاونهما المشترك ، فى حالة اعتداء أية دولة أوربية كبرى على حدودهما ، وكانت هذه المعاهدة موجهة ضد دولة النمسا والمجر ، حتى لا تتكرر مأساة ضم البوسنة والهرسك ، وكذلك موجهة ضد الدولة العثمانية حيث يفهم من نصوص المفاوضات أن كلتا الدولتين كانت تريد نصيبها من ميراث الدولة العثمانية المنحلة ، وقد عقدت معاهدة مشابهة بين بلغاريا واليونان ، وكانت موجهة ضد الدولة العثمانية ، ورغم أن روسيا شجعت تشكيل هذا التحالف إلا أنها اكتشفت أنه يهدد طموحاتها فى الدولة العثمانية الضعيفة.

وبعد إتمام تلك المعاهدات البلقانية أصبح الموقف ينذر بقيام الحرب ، حتى أن روسيا نفسها التى عاونت على إتمام تلك الاتفاقيات البلقانية بدأت تنزعج من توتر الموقف فى البلقان فعملت على الحد من نشاط هذا التحالف ، وإذا كان إنشاء العصبة البلقانية قد عد عجيباً ، فإن نجاحها كان أعجب وأدهش ، فقد أعلنت العصبة المكونة من اليونان وصربيا وبلغاريا الحرب على الدولة العثمانية فى ١٨ أكتوبر ١٩١٢ وتمكنت الجيوش المتحالفة من إنزال الهزائم بالجيش التركى فى تراقيا (فى قرق قليسى ولول بورغاس وحرم الأسطول اليونانى على غريمه الانتفاع بالبحر ، وبينما كان البلغار يحرزون انتصاراتهم على الأتراك كان اليونانيون يشقون طريقهم صوب " سالونيك " كما ابتهج بذلك الصرب لتمكنهم من إزالة ذكرى أليمة سابقة (عار ذكرى هزيمتهم الكبرى القديمة فى معركة قوصوه ، تلك المعركة التى قضت على الإمبراطورية الصربية فى القرن الرابع عشر) ففى حملة لم تدم ستة أسابيع ، مكونة من أكثر من ستمائة ألف مقاتل ، أرسلت إلى ميادين القتال ، استطاعت أن تنتزع العصبة البلقانية ، جميع أراضى تركيا فى أوربا ، ما عدا القسطنطينية .

وبما أن روسيا لم تكن تقبل أن تكون المضايق تحت سيطرة أى دولة أوربية أخرى ، فقد مارست ضغطاً شديداً على بلغاريا لعدم التقدم نحو عاصمة الدولة العثمانية كما تدخلت النمسا ، وكذلك رغبة الدول الكبرى فى عودة السلام إلى البلقان ، الأمر الذى أدى إلى عقد هدنة بين الدولة العثمانية ودول البلقان الأربع (اليونان وصربيا وبلغاريا والجبل الأسود). وبينما كان المؤتمر منعقداً فى لندن ، قامت جماعة تركيا الفتاة بزعامة أنور باشا بثورة فى القسطنطينية ، وأُشعلت نار الحرب من جديد ، وامتازت هذه الحرب الثنائية بأن اكتسبت العصبة البلقانية انتصارين فيها على الترك ، فإن اليونانيين استولوا على " يانينا " ، وأجبر الصرب البلغار الدولة العثمانية على تسليم أدرنة ، وفى ٣٠ مايو ١٩١٣ وقعت معاهدة لندن التى بمقتضاها اقتصرت أملاك تركيا فى أوربا على القسطنطينية وشبه جزيرة غاليبولى.

وكان على هذا المؤتمر أن يضع خريطة جديدة للبلقان وأن يجعل نتائج الحرب الأولى مقبولة لدى روسيا والنمسا والمجر ، وكان لروسيا مطلب واحد ملح وهو إبعاد البلغاريين عن استانبول ، وكان أهم هدف للنمسا يكمن فى حرمان صربيا من منفذ مباشر على البحر الأدرياتيكى ، وبالتالى كانت مهمة المؤتمر الأساسية هى ترجمة شروط النمسا عملياً ، وهو تأسيس دولة ألبانية مستقلة ، وقد تم ذلك بالفعل ، وكان ذلك انتصاراً حاسماً للنمسا – المجر.

ولم تمر إلا فترة قصيرة حتى شرعت دول عصبة البلقان فى إعادة النظر فيما حصلت عليه ، وبالتالى بدأت حرب البلقان الثانية (الحرب بين دول العصبة) فى ٢٥ يونيه ١٩١٣ ، فقد أعلنت بلغاريا فجأة الحرب على الصرب واستولت على قلب مقدونيا ، ولكن سرعان ما دخلت اليونان الحرب إلى جانب الصرب ضد بلغاريا ، وكانت النتيجة هزيمة القوات البلغارية ، وانتهزت رومانيا هذه الظروف وأعلنت الحرب ضد بلغاريا وتقدمت قواتها حتى هددت صوفيا العاصمة البلغارية ، وفى نفس

الوقت تمكنت تركيا من استعادة أدرنة ، فاضطرت بلغاريا إلى عقد معاهدة بوخارست فى ١٠ أغسطس ١٩١٣ وفيها استعادت تركيا أدرنة وحصلت رومانيا على بسلستريا والجزء الجنوبى من دبروجة ، كما حصلت اليونان على جنوب مقدونيا ، وبذلك أغلقت المنافذ البحرية فى وجه بلغاريا وانضمت كريت إلى اليونان وظهرت دولة مستقلة جديدة وهى ألبانيا لتمنع وصول الصرب إلى البحر الأدرياتى.

وقد أدت هذه الحروب إلى نتائج خطيرة ستقود إلى الحرب العالمية الأولى يمكن إجمالها فيما يلى :

١- خرجت بلغاريا غير منتصرة دون أن تتحرك روسيا لإنقاذها كما كانت تأمل ، لذا فإن العلاقات البلغارية الروسية لم تعد ودية.

٢- ازدادت العلاقات التركية الألمانية قوة ومحاولة إعادة تنظيم القوات التركية على يد خبراء ألمان عسكريين ، فأثار ذلك مخاوف روسيا.

٣- نمو صربيا أرضاً وسكناً واشتداد الحركة القومية الصربية والتهابها سواء داخل الصرب أو بين الأقلية الصربية تحت حكم النمسا والمجر ، وأصبح الطلبة يشنون حملة دعاية عنيفة من أجل توحيد الصربيين كلهم تحت حكومة وطنية واحدة ، وكان أن تشكلت فى داخل النمسا والمجر عدة جمعيات سرية إرهابية لتمويل القيام بعدة عمليات اغتيال لحكام البوسنة ولغيرهم من المسئولين عن أوضاع الصرب تحت حكم هذه الإمبراطورية النمساوية المجرية وبذلك تحقق ظهور دولة الصرب الكبرى (يوغسلافيا فيما بعد) التى أصبحت الدولة الأولى فى شبه جزيرة البلقان وأصبحت القوات النمساوية لا تستطيع كلها أن تواجه روسيا فى حالة نشوب حرب معها.

وأصبحت الدولة العثمانية مهددة بالانهيار ، بعد أن أضحت دول البلقان مستقلة فعلاً ، ولم تعد تابعة لأية دولة، غير أنه ظهر فى أواخر الحرب البلقانية ١٩١٢ – ١٩١٣ اتجاه جديد بعيد عن الفكرة الإسلامية وعن الجامعة العثمانية ، هذا الاتجاه

هو الحركة الطورانية – فقد كان استيلاء الأتراك فى أواخر هذه الحركة على أدرنة ، أول عاصمة أوربية لهم (القسطنطينية) فى يوليو ١٩١٣ قد أثار ذكريات الانتصارات التركية القديمة ومجدهم – وارتفعت مكانة أنور باشا الذى كان يمثل بعث العسكرية التركية والذى أصبح بطلا وطنيا بعد انتصاره فى ١٩١٣ .

☒ **حادث سراييفو Sarajevo ٢٨ يوليو ١٩١٤**

كانت العلاقة بين النمسا وصربيا تسير من سئ إلى أسوأ والولايات اليوغسلافية المتفرقة حانقة على الحكم النمساوى ، وتوالت المؤامرات اليوغسلافية لقتل كبار الموظفين النمساويين وأخذ " بروشتلد Berchtold " وزير خارجية النمسا فى يونيو ١٩١٤ يدبر الوسائل السريعة التى تمكن النمسا من القضاء على صربيا ، وكان ولى عهد النمسا " الأرشيدوق فرانز فردناند The Archduke Franz Ferdhnand " من أكثر سياسى النمسا تشدداً إزاء المشكلة الصربية ويرى أنه لا يمكن تسويتها إلا بالقوة ، وكان يرمى إلى بسط نفوذ النمسا شرقاً حتى يبلغ سلانيك ، ورأى تمهيداً لذلك جلب البوسنة إليه فزار عاصمتها سراييفو لهذا الغرض ، و فى ٢٨ يونيو ١٩١٤ ، أطلق عليه أحد طلاب المدارس العالية وعضو جمعية اليد السوداء الصربية ويدعى " غفريلو برنسيب Gavirilo Princip " النار فقتله هو وزوجته دوقة " هوهنرج " فى أحد شوارع سراييفو فأقدمت الحكومة النمساوية ومؤيدتها ومشيرتها الحكومة الألمانية على التذرع بهذا الجرم لتخطو خطوة واسعة فى أوربا .

وكان الرأى أنه من حسن السياسة أن هذه الجريمة وإن كانت قد ارتكبت فى أرض البوسنة التابعة للنمسا ، إلا أنها كانت من تدبير " جمعية اليد السوداء " الصربية ، وأنها لقيت تشجيعاً من جانب موظفى الحكومة الصربية فهناك من القرائن ما يحمل على الاعتقاد بأن اغتيال اسكندر ملك صربيا وقرينته الملكة دراجا عام

١٩٠٣، ومصرع الأرشيدوق فى عام ١٩١٤ كان كلاهما من عمل " أفيس Avis " رئيس جمعية اليد السوداء وفى يوم ٢٣ يوليو ١٩١٤ قدمت الحكومة النمساوية إنذاراً نهائياً إلى الصرب قصد به أن يقابل بالرفض إذ كان ينطوى على تقويض استقلال الصرب وقد تضمن الإنذار عدة مطالب هى :

١- حل الجمعيات الوطنية التى تقوم بالدعاية ضد النمسا وأن تتخذ الحكومة الصربية الإجراءات اللازمة لذلك .

٢- إغلاق الصحف وأن تعطل كل نشرة تحرض على كراهية مملكة النمسا والمجر .

٣- مراقبة المدارس حتى لا ينفث الأساتذة كراهية النمسا فى نفوس الطلاب وحذف كل شئ من المعارف من شأنه أن يكون دعاية موجهة ضد النمسا والمجر وذلك سواء فيما يتعلق بهيئة التدريس أو وسائل التعليم .

٤- مصادرة الكتب المدرسية التى وضعت بقصد الدعاية ضد النمسا والمجر.

٥- عزل القواد والموظفين الذين اشتهر عنهم كراهية النمسا والذين تحتفظ الحكومة النمساوية المجرية بحق تقديم أسماءهم وإبانة أعمالهم للحكومة الصربية .

٦- القبض على شخصين نمساويين جاء ذكرهما فى التحقيق وهما من موظفى الحكومة الصربية.

٧- السماح للنمسا بالاشتراك فى التحقيق الخاص بمقتل ولى العهد ، واتخاذ الإجراءات القضائية مع من لهم ضلع – فى الأراضى الصربية – فى مؤامرة الاغتيال هذه.

ومع أن شروط الإنذار هذه كانت شديدة اللهجة ، وفيها كثير من التحدى فإن حكومة الصرب أذعنت لبعض المطالب وترددت فى قبول بعضها الآخر والحقيقة أن هذه الشروط صيغت وفى النية أن ترفض حكومة الصرب وأن يؤول رفضها إلى حر مع صربيا وهذا ما حدث فعلاً وكان أول خاطر جال فى الأذهان هو أن الحكومتين النمساوية والألمانية تريدان أن تتخذا من هذه الجريمة نكاية لسلب صربيا استقلالها ، وربما أيضاً لإقحام حرب عامة على روسيا وفرنسا قبل أن تستكمل السكك الحديدية الروسية ، وتصبح معدة للقيام بأعباء الحرب ، هذا برغم قبول صربيا سبعاً من العشر التى حواها الإنذار النهائى النمساوى ، وذلك أن الجيش الذى تعطش طويلاً إلى تأديب " أمة القتلة والسفاحين " لم يقصد أن تفلت من أنيابه هذه المرة .

وفى ٢٩ يوليو ، ومع أنباء إعلان الحرب الموجهة إلى الصرب وضرب بلجراد بالمدفعية ، شعرت روسيا بمسئوليتها عن حماية الصرب فأعلنت التعبئة العامة فى ٣٠ يوليو لحشد الثلاثة عشرة فيلقاً التى سيكون عليها أن تعمل ضد النمسا والمجر فأصبح الصدام الصربى يهدد بأن يتحول إلى صدام نمسوى روسى ، وجاء الرد من ألمانيا فى اليوم التالى فى شكل إنذار يطالب بوقف التعبئة ، وعندما رفضت روسيا ، أعلنت ألمانيا الحرب عليها فى أول أغسطس ١٩١٤ ، وكانت فرنسا مرتبطة بتحالف مع روسيا ، فقد تسلمت إنذاراً من ألمانيا يطالبها بالحياد ، ولما لم ترد على الإنذار أعلنت ألمانيا الحرب عليها فى ١٣ أغسطس ١٩١٤ وأخذت فى تنفيذ مشروعها الحربى بغزو فرنسا عن طريق اختراق بلجيكا ولكسمبورج .

وهنا رأى " شازونوف Sazonov " وزير خارجية روسيا ما يملأ قلبه فزعاً من تدابير دولتى أوربا الوسطى فى الشرق الأدنى ، فإن أميرا ألمانيا كان قد أرسل إلى ألبانيا لكى يجلس على عرشها ، وقائداً ألمانياً كان قد أوفد إلى القسطنطينية لتنظيم الجيش التركى ، فلو أن الصربيين خروا صرعى ، فما الذى كان يمنع ألمانيا من

إقامة دولة ألمانية تمتد من همبرج إلى بغداد ، فمما لا شك فيه أن الصدام النمساوى الصربى لم يكن يتعرض لوجود الإمبراطورية الروسية ، ولكنه كان يهدد المصالح الأساسية لسياستها الخارجية الموجهة صوب أفق البلقان ، فالنفوذ الروسى على الأهالى المسيحيين فى البلقان كان وسيلة للضغط استخدمتها السياسة الروسية لكى تحصل على تعديل لوضعية التفوق النمساوى المجرى فى البلقان كان سيسهل كذلك تحقيق المخططات الألمانية فى القسطنطينية ، ولذلك فإن روسيا لم تكن توافق على أن تقوم النمسا والمجر بسحق الصرب وتصبح القوة المتفوقة فى البلقان ، وهنا تأهبت الدول الأوربية الأخرى لخوض غمار الحرب العالمية الأولى .

الفصل الثانى

الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ــ ١٩١٨

☒ تطورات الحرب

كان الحلفاء فى عام ١٩١٤ يتفوقون على الدول المركزية (ألمانيا والنمسا والمجر) فى القوة العسكرية ، فقد كان لديهم ٣٠ مليون محارب ، فى مقابل ٢٢ مليون للدول المركزية ، وكان للبحرية البريطانية السيطرة على البحار. وضعت ألمانيا خطة الحرب منذ سنوات ، فهى بالتالى مستعدة لخوض غمار هذه الحرب ، فعندما أعلنت الحرب على فرنسا ، دخلت خطة الكونت فوت شليفين Schlieffen الحربية ، وهى التى وضعها فى عام ١٩٠٥ وأقرت رسمياً فى عام ١٩١٢ فى دور التنفيذ ، وتقوم على الهجوم على فرنسا أولاً عن طريق اختراق حياد بلجيكا ولكسمبورج واحتلال باريس ، ثم التحول إلى روسيا للهجوم عليها ، وهذا يعنى ترك بروسيا الشرقية معرضة لضربة من جانب روسيا الرابضة فى الشرق ، ولكن هذا الأمل كان معقوداً على صمود النمسا والمجر أمام روسيا لمدة ستة أسابيع ، تكون باريس فيها قد سقطت ويمكن بعدها إرسال الإمدادات إلى الجبهة الشرقية ، على أن روسيا انتهزت فرصة انشغال القوات الألمانية فى فرنسا ، لإنقاذ جيشين كبيرين لتطويق القوات الألمانية فى بروسيا الشرقية ، الأمر الذى اضطر ألمانيا إلى سحب ثلثى قواتها من الجبهة الغربية لمواجهة هذا الخطر .

ولما كانت الخطة الألمانية مدبرة من سنوات عدة ، فهى من ثم خطة عتيقة يمكن إحباطها لو أنها قوبلت باستعمال الخنادق والأسلاك الشائكة والمدافع الرشاشة استعمالاً صحيحاً ، ولكن الفرنسيين لم يكونوا متقدمين فى فنهم العسكرى تقدم الألمان ، فركنوا

إلى أساليب الحرب المكشوفة التى كانت متأخرة ، ولم يكن لديهم عتاد مناسب لا من الأسلاك الشائكة ولا من المدافع الرشاشة.

وكان الدفاع عن الحدود البلجيكية موكولاً بحصون " لييج Liege " وهى حصون قديمة الطراز عشر سنوات أو اثنى عشرة سنة ، وفيها استحكامات زودها بالأسلحة وركبها فى كثير من الحالات مقاولون من الألمان ، وكان العتاد فى الحدود الفرنسية الشمالية الشرقية رديئاً جداً ، وطبيعى أن شركة الأسلحة الألمانية المسماة كروب أعدت لهذه الحصون الهزيلة معاول تتمثل فى مدافع ذات ضخامة استثنائية تقذف بقنابل شديدة التفجر ، وأثبتت هذه الحصون أنها ليست إلا مجرد مصايد لحماية المدافعين ، وكان لدولتى الوسط ، والنمسا والمجر ، ما يقرب من مائة وعشرين مليوناً من السكان ، فى الوقت الذى كان فيه لخصومهم – روسيا وبريطانيا وفرنسا وبلجيكا والصرب – ما يقرب من مائتين وثمانية وثلاثين مليوناً دون حساب شعوب المستعمرات ، ، وهذا الفارق العددى ، والذى لم تكن له قيمة كبيرة فى حرب قصيرة الأمد ، ازدادت أهميته فى إمكانية استمرار الحرب لمدة طويلة ، الأمر الذى يجعل من الاحتفاظ بقوات عسكرية مُشكلة رئيسية .

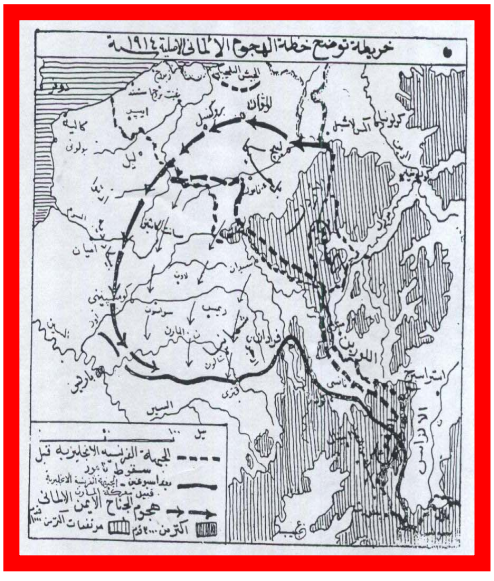

وكانت لألمانيا والنمسا والمجر فى أول العمليات ، قوات عسكرية تستطيع من الناحية العددية أن تحافظ عل التناسب مع قوات الخصوم ، وكان مجموع الأهالى الألمان مزودين بوطنية إيجابية وبشعور عميق بالعظمة والوطنية وبروح تضحية فى صالح الدولة وبتقاليد عسكرية قوية ، أضف إلى ذلك أن ألمانيا كانت مركز التحالف الثلاثى المذكور حتى وإن كانت كل من النمسا

والمجر لا تمثلان مركز ثقل لألمانيا.

أما بريطانيا فقد جاهدت قدر الاستطاعة فى سبيل حفظ السلام فى بداية الحرب ، فعلى حد قول " فشر " أنه لا يمكن أن توجه إليها تهمة السعى إلى إشهار الحرب ، فإنه كان أمراً لا مفر منه ، فعند إقحام فرنسا فى الحرب نجد أن الشعب البريطانى نفسه كان لا يريد الحرب حتى أنه لولا غزو ألمانيا لبلجيكا لحل بصفوف الوزارة والبرلمان والأمة الانشقاق وتفرق الكلمة.

قام الفرنسيون بهجمة فاشلة فى جبال الأردن الجنوبية وتأرجحت الجيوش الألمانية حول المسيرة الفرنسية حتى أيقن الناس أن جيوش لا قبل لأحد بمقاومتها وسقط آخر حصن فى ليبج فى ١٦ أغسطس ، وبلغ الألمان بروكسل فى ٢٠ أغسطس ، وعند مونز Mons أصيب الجيش البريطانى الصغير المكون من سبعين ألفاً والذى وصل إلى بلجيكا بضربة قاضية من قوات ساحقة.

كانت ألمانيا هى التى احتفظت بالمبادءة فى العمليات الحربية خلال فترة تزيد على ثمانية عشر شهراً ، وكانت حملة العمليات الحربية تميزت بالمجهود الكبير الذى بذله الجيش الألمانى بمعاونة الجيش النمساوى المجرى لهزيمة القوات العسكرية الروسية التى لم تتمكن فرنسا وبريطانيا منذ دخول تركيا الحرب واستمر الهجوم لفترة خمسة أشهر دون أن تتمكن محاولات فتح الجبهات الجديدة التى قام بها حلفاء روسيا – الهجمات الفرنسية فى آرتوا وفى شمبانيا والهجوم البريطانى الفرنسى على الدردنيل – ولم تدخل إيطاليا الحرب ، وكانت النتائج الحربية ضخمة ، ما دام الجيش الروسى قد أجبر على أن يترك علاوة على ذلك الجزء من " غاليسيا " الذى كان قد احتلته فى عام ١٩١٤ ، الأراضى البولندية واللتوانية من الإمبراطورية ، ويفقد بين القتلى والجرحى والأسرى ما يزيد على ١,٧٠٠,٠٠٠ رجل ، أى نصف قوته المحاربة تقريباً ، ويترك

بين أيدى العدو جزءاً من مدفعيته ، ولمدة شهور ستبقى القوات الروسية غير قادرة على القيام بهجوم من جديد.

أما إيطاليا فقد احتفظت بحيادها فترة من الوقت نظراً لأن إعلانها الحرب ضد دول الوفاق فى ذلك الوقت لم يكن هناك ما يبرره ، خاصة وأنها أعلنت " أنها لا تستطيع أن تساعد حلفاءها فى التحالف الثلاثى (ألمانيا والنمسا) فى حرب عدوانية من جانبهم ، وأنها ملتزمة بتحالف دفاعى فقط ، وإن كنا نرى فيما بعد أنها دخلت الحرب إلى جانب دول الوفاق (فرنسا وروسيا وبريطانيا) [٨] ، وفى نفس الوقت كانت إيطاليا ترغب فى الحصول على نقاط استغناء على شواطئ البحر المتوسط وخاصة فى ليبيا وشرقى المتوسط ، وكانت تخشى أن تسيطر دولة أخرى على البحر المتوسط ، وفى الواقع أن بريطانيا كانت تراقب أبواب المتوسط إذ كانت تسيطر على قناة السويس ومضيق جبل طارق ، كما كان لها قوة بحرية كبيرة فى البحر المتوسط ، وهذا يعنى أن الشواطئ الإيطالية يمكن أن تكون فى حالة الحرب تحت رحمة الأسطول الحربى البريطانى ، وقد برر هذا حياد إيطاليا فى عام ١٩١٤ حينما نشبت الحرب الأولى [٩].

وبذلك فإن بريطانيا رأت ضرورة تأمين مركزها فى شمال الخليج العربى وجنوب فارس ، ولكى يتحقق ذلك ينبغى لها أن تسيطر على البصرة فى مطلع الحرب ، ففى نهاية شهر سبتمبر ١٩١٤ وافقت حكومة " مستر اسكويث Mr. Asquith " على إرسال حملة من الهند البريطانية إلى الخليج العربى وذلك استناداً إلى المذكرة التى قدمها آنذاك " سير آرثر هرتزل Sir A. Hirtzel " من قسم الشئون السياسية " بوزارة الهند India Office " فى اليوم الثانى من سبتمبر ١٩١٤ ، والتى أكد فيها أن الدولة العثمانية ستنضم إلى دول الوسط وأن المسألة لآ تعدو أن تكون مسألة وقت قبل أن تعلن الدولة العثمانية موقفها ، وركز هرتزل على أنه من الخطورة ترك شمال

الخليج العربى دون إحكام السيطرة البريطانية عليه لما قد يؤدى إليه ذلك من نجاح الدولة العثمانية .

الجدير بالذكر أن حكومة الهند البريطانية فى بداية الحرب بذلت جهوداً كبيرة من أجل مستقبل الجانب الشرقى من الدولة العثمانية ، ومنها وضع مخطط استراتيجى للدفاع عن العراق بعد أن يتم نجاح البريطانيين فى ضمه إلى ممتلكاتهم .

أما الدولة العثمانية فقد دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا ، بعد تورطها فى حرب الموانى الروسية على البحر الأسود فى ٢٩ أكتوبر ١٩١٤ ، فأعلنت روسيا الحرب عليها ، وانضمت كل من فرنسا وبريطانيا إلى جانب روسيا وأعلنتا الحرب على الدولة العثمانية فى ٥ نوفمبر ، مما جعل الدولة العثمانية بدورها تعلن الحرب على الدولتين فى ١١ من نفس الشهر ، وبالتالى أعلنت بريطانيا زوال السيادة العثمانية وقيام الحماية البريطانية على مصر ، وبذلك أصبح إشرافها تاماً على القناة ، وبذلك صار الصراع علنياً وشمل القتال كل قارات العالم خاصة بعد أن دخلت ميدان الصراع كل من اليابان والتى لم يكن التحالف البريطانى اليابانى يلزمها بدخول الحرب ولكنها رأت فى دخول الحرب فرصة سانحة لها لاحتلال مستعمرات ألمانيا فى الصين ، والمحيط الهادى فتشفى بذلك غليلها من كثرة الإهانات التى ألحقت بها من الجانب الألمانى ثم دخلت الولايات المتحدة الأمريكية الحرب فيما بعد – وكان تدخلها فى ٦ أبريل ١٩١٧ أمراً حاسماً إذ جاء بمثابة تعويض عن قرب تخلى روسيا عن الحلفاء.

وكانت تركيا هى الدولة الأولى من بين هذه الدول التى دخلت فى الحرب ، و فى ٢ أغسطس ١٩١٤ كانت حكومة تركيا الفتاة برئاسة أنور باشا ، قد عقدت مع ألمانيا معاهدة تحالف سرية ضد روسيا ، وفى ١١ أغسطس كانت قد سمحت للطرادين الألمانيين (جوين وبرسولا) اللذين تعقبهما الأسطول البريطانى بعبور الدردنيل الذى ظل مغلقاً فى وجه السفن الإنجليزية ، وكانت قد أقفلت المضايق فى ٢٦ سبتمبر فى

وجه السفن الإنجليزية ، وفى وجه الملاحة التجارية ، أى أنها كانت قد منعت وصول المهمات الحربية التى كانت الجيوش ال روسية تنتظرها بقلق ، وقد أجلت دخولها الحرب واستمرت نحو ثلاثة أشهر مترددة ، ولا شك فى أن تركيا كانت تخشى كل شئ فى حالة انتصار روسيا : فبريطانيا رغم أنها كانت فى الماضى ، وقد حمت هذه الإمبراطورية العثمانية ضد الأطماع الروسية ، إلا أنها وجدت نفسها مضطرة لأن تترك روسيا تعمل حتى لا يتفكك التكتل ، ، وعلى العكس من ذلك لم تكن المصالح العثمانية تخشى أى شئ من انتصار ألمانيا ، والتى كانت ببنائها لسكة حديد بغداد ، قد أسهمت فى تدعيم الإمبراطورية ، والتى كانت تظهر أمام العالم أجمع على أنها تحمى الإسلام [١٣] ، بل أن البريطانيين كان عليهم أن يلتزموا بالسيطرة والدفاع عن الخط الحديدى المتجه إلى بغداد وذلك فيما بين ميناء الإسكندرونة والموصل [١٤] .

وقد كان أحرى بالسلطان أن يواصل سياسة الحياد ، ولكن نفوذ أنور باشا وزير الحربية ، وظهور الطرادين الألمانيين فى مياه البسفور ، والإكراميات الألمانية التى نثرت فى عديد من الدوائر التركية ، والمضايقة التى سببتها بريطانيا لتركيا بحجزها فى أحواضها البحرية بارجتين كان صنعهما قد اكتمل ، كل هذه الأمور دفعت تركيا أن ضربت الثغر الروسى العظيم " أوديسا " فى ٢٨ أكتوبر ١٩١٤ بواسطة طرادان ألمانيان كان قد بيعا صورياً لتركيا ، وبهذا ورطت تركيا ودخلت الحرب فى جانب ألمانيا والنمسا فى اليوم التالى ، وكانت عواقب دخولها الحرب غاية فى الخطورة ، فإن روسيا التى كانت تملك قوات من الرجال لا حصر لها ، نقصتها المعدات الميكانيكية لمواصلة حرب حديثة ، فما حل خريف سنة ١٩١٤ ، حتى كانت قد استنفذت إحتياطيها من الذخائر ، إذ لم يكن فى مقدورها أن تسد سوى ثلث مطلوبها اليومى من الذخائر مما تنتجه مصانعها [١٥] .

بدأت الحرب على نحو مأساوى بالنسبة للأتراك لأن أنور باشا لم يأخذ بنصيحة الألمان وأخذ على شن هجوم ضد روسيا فى منطقة القوقاز على أمل أن يثير التمرد بين مسلمى أواسط آسيا مما يساعد على تحقيق آماله بشأن الطورانية الشاملة Pan Turan – وتمكن الروس من استعادة توازنهم عقب الهجوم الأول ، ثم عانت القوات التركية من البرد ، وعلاوة على ذلك كان الأتراك فى جميع أرجاء الأناضول الشرقية يتعرضون للتهديدات بسبب العصيان المسلح الذى كان يمارسه الرعايا الأرمن الذين راحوا يدمرون وسائل المواصلات والاتصالات ويشكلون فرق تطوع من أجل مساعدة الروس ، فاضطر الأتراك إلى إصدار الأوامر بترحيل جميع السكان الأرمن من الأناضول الشرقية إلى الأماكن الشمالية من سوريا ، وتم قتل مئات الآلاف من الأرمن ومات الكثيرون منهم بسبب الجوع وسوء الأحوال الجوية والأمراض [١٦] ، وهذا ما يطالب به الغرب بصفة عامة تركيا فى الوقت الحاضر بالاعتراف بمذبحة الأرمن حتى يمكن إدانتها فى مجلس الأمن وعلى مستوى العالم ، الأمر الذى رفضته تركيا رفضاً باتاً .

وقد تسبب دخول تركيا الحرب جانب ألمانيا ودول الوسط فى مساندة إنجلترا وفرنسا أعمال المقاومة ضدها فى البلقان ، وكان الثمن الذى دفعته تركيا هو التخلى عن المنطقة [١٧] ، كما تسبب دخول تركيا الحرب ضد روسيا أن أنفذ الحلفاء أسطول بريطانى لاقتحام الدردنيل ، وجيشاً إلى شبه جزيرة غاليبولى Gallipoli خط الدفاع الاستراتيجى عن القسطنطينية وضم هذا الجيش نحو ٣٠٠٠ رجل مصرى حققوا نجاحاً عظيماً للقوات الإنجليزية ، وفى تقرير من وينجت Wingate إلى بلفور Balfour يبين أنه عندما زاد الطلب على أهل الريف خلف خطوط القتال فى غاليبولى وفرنسا وسيناء والعراق وفلسطين نظراً لقدرتهم على تحمل الأعباء اليدوية الشاقة ، أنه خلال الفترة من سبتمبر ١٩١٥ إلى آخر مارس ١٩١٦ تم جمع نحو ١٩٥٣٧ عاملاً (زاد العدد ليصبح ٧٢٥٤٨ فى ٣١ مارس ١٩١٧ ثم زاد إلى ٩٧٥٧٨ فى ٣١ مارس

١٩١٨ وزاد مرة أخرى فى ٣٠ يونيو ليبلغ نحو ١٠٦٨٥٠ عاملاً [١٨] ، وهناك تقرير آخر يوضح أن ما تم جمعه من عمال التراحيل كان نحو ١٤٦٠٠ عاملاً شهرياً [١٩] ، فى حين أن أحمد شفيق فى حولياته قدرها نحو نيفاً ومليون فرد [٢٠] ، كما أعلن السير مورای عن حاجته إلى ١٢٠٠٠ فلاح مصرى شهرياً لفيلق العمال و ٥٠٠٠ فلاح شهرياً لفيلق النقل بالجمال وأوضح أنه لا يمكن تحقيق ذلك إلا عن طريق التجنيد الإجبارى [٢١] ، أيضاً طلب اللواء هربرت أعداداً أخرى من الرديف للعمل فى فرقة التشهيلات المساعدة.

ناهيك عن استخدام القوات البريطانية كثير من المجالات المصرية مثل الأفراد والدواب ووسائل النقل وعلف الدواب رغم أنف المصريين للخدمة فى كثير من ميادين القتال وكان لهؤلاء دور كبير فى انتصار الحلفاء ، ليس هذا فحسب ، فقد قدمت مصر مدرسة البوليس لاستعمالها مستشفى حربية ، هذا جانب المستشفيات المصرية ودور جمعية الهلال الأحمر المصرى فى الحرب، لصالح الجرحى الإنجليز وحلفائهم ، كما تم استخدام قناة السويس لصالح الحلفاء، أيضاً قامت السلطة العسكرية البريطانية بتقييد الحرية التجارية المصرية مع دول العالم ، وأن القوات البحرية والحربية البريطانية يجوز لها أن تباشر جميع حقوق الحرب فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية ، وكل ما يجرى الاستحواذ عليه فى الموانى المصرية أو فى الأرض المصرية من سفن حربية أو تجارية أو بضائع يجوز إحالته على إحدى محاكم الغنائم البريطانية، وكان الغرض من اقتحام المضايق إنشاء ممر بين البحر المتوسط والبحر الأسود مع الاستيلاء على العاصمة التركية ، لإنقاذ روسيا من عزلتها ، وتمكين الدول الغربية من الاتصال بها حتى يمكن تطويق ألمانيا فى كل مكان ، وعزل تركيا عن حلفائها ، فعندما دخلت تركيا الحرب واعتدى الأسطولان الإنجليزى والفرنسى على مضيق الدردنيل رغم تحصينه ومضيق البسفور ، فقد كانت هناك آراء بأنه يمكن منع الأسطول من الاقتراب

من المضايق ، أوعلى الأقل منعه من الإنزال البرى ، مع التخوف من حدوث إنزال برى فى حالة وجود أسطول قوى ، وخاصة إذا تمكن العدو من اكتساب موقع على الساحل.

ولكن هذه الحملة (حملة الحلفاء) لم تنجح ، فقد انهزم الأسطول الإنجليزى هناك فى ١٨ مارس ١٩١٥ ، وفشلت الحملة البرية فى اقتحام غاليبولى واضطرت إلى الانسحاب النهائى (١٨ ديسمبر ١٩١٦ – ١٩١٧) وعجزت روسيا عن مد يد المساعدة لحلفائها كما كانوا يتوقعون ، لذا عمد الحلفاء إلى مهاجمة تركيا فى إمبراطوريتها فى الشرق الأوسط فقد استولوا على الجزء الأكبر من العراق ودخلوا بغداد ، واستولوا فى فلسطين على يافا وبيت المقدس بمساعدة الآلاف من العمال المصريين الذين قامت بجمعهم السلطات البريطانية فى مصر حيث قاموا بتعبيد الطرق إلى فلسطين ، ثم استخدمتهم فى العراق وفرنسا، كما تصدت القوات المصرية للأتراك وطردهم من سيناء ، بل كان للقوات المصرية دور كبير فى فشل الحملة التركية على قناة السويس فى فبراير ١٩١٥ من خلال فرقة العمال وفرقة الجمالة المصرية – ومساعدة القوات الإنجليزية فى تمهيد الطرق وعبور سيناء إلى فلسطين.

وفى اليمن حيث الحكم العثمانى ، سارعت بريطانيا بالاتفاق مع الأدريسى فى أبريل ١٩١٥ ، وتوجه أسطولها لمساندة تحركات الأدارسة ضد الأتراك فى المنطقة الساحلية حتى تضمن عدم التعرض لطريقها البحرى إلى الهند ، ولمحطة الفحم الهامة فى عدن ، وللقاعدة البريطانية الحربية هناك ، وعدم سيطرة الأتراك على جزر مدخل البحر الأحمر مثل جزيرة بريم ، وتجدر الإشارة إلى أن القوات العثمانية النظامية التى هاجمت لحج قدرت بنحو ألفين وثلاثمائة جندى معظمهم من الترك والسوريين مقسمة إلى ثلاثة آلايات ، ولما كان العرب هناك يدينون لبريطانيا ويجب عليهم تقديم المساعدات للإنجليز ، فقد ضايق الأدريسى فى عسير انتصار الترك فى لحج لأنه كان يخشى أن

يؤدى ذلك إلى انتصارهم ورفع معنوياتهم فى الجبهة الشمالية فى اليمن حيث يقوم بدوره فى محاربتهم لصالح الإنجليز ٠

حاول الأتراك أن يجذبوا الشريف حسين إلى جانبهم عن طريق التأكيد بأن الأمانى التركية العربية غير متعارضة ، ولكن كان هذا قبل حملة جمال باشا على قناة السويس ، وبعد فشل هذه الحملة تحرك الأتراك إلى نوع من التهور إزاء العرب وشنقوا عدداً من زعمائهم فى عام ١٩١٥ رغم المجهودات التى بذلها الشريف حسين لتخفيف حكم الإعدام ، وانتهز الإنجليز الفرصة ليعلنوا أنهم يقاتلون الأتراك من أجل تحرير العرب.

تعاقدت بريطانيا مع العرب من خلال مراسلات : الحسين مكماهون ، (بين الشريف حسين وسير هنرى مكماهون) والتى بدأت ١٤ يوليو ١٩١٥ وحتى ١٠ مارس ١٩١٦ فقد شجعت قيام الثورة العربية ضد الأتراك وغذتها ومولتها كى تساعد الحلفاء على كسب الحرب ، فقد كانت الفكرة المسيطرة على الحلفاء " لا شئ يهم سوى أن نكسب الحرب " ، وذلك بعد أن وعدت الشريف حسين باستقلال البلاد العربية والاتفاق على الحدود التى تشملها ، فمن ضمن ما ذكره مكماهون للشريف حسين " أن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لى أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوى إبرام أى صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة الألمان والأتراك " وقد وافق الشريف حسين على ذلك وأعلن الحرب على تركيا ، بل وقام بإلقاء المنشورات المحرضة للضباط والجنود العرب العاملين فى الجيش التركى فى فلسطين عام ١٩١٥ لقتال القوات التركية بدلاً من قتال العرب والحلفاء ، وفى نوفمبر ١٩١٦ زار عدن مبعوث مكى وطالبوا بريطانيا بالدفاع عن لحج ضد عدوان الترك وحتى يجذب تأييد العرب لمواجهة مزاعم الدعاية التركية الألمانية ، كما أن الشريف حسين كان يخشى أن يؤدى فقدان الثقة فى بريطانيا

إلى عدم تأييد العرب لثورته ضد الدولة العثمانية ، ولم يعلم الشريف حسين والعرب أنها خدعة حتى وقعوا فى شرك الاستعمار البريطانى الفرنسى .

الجدير بالذكر أنه فى نفس العام ١٩١٥ وقعت إتفاقية سرية فى لندن بين إنجلترا وفرنسا وروسيا ، تعترف فيها بأن تكون منطقة المضايق وما يحيط ها من أراض من نصيب روسيا بعد نهاية الحرب ، وذلك ترغيباً لها على مواصلة القتال إلى جانب الحلفاء ، كما عقد الحلفاء معاهدة سرية ثانية فى مايو ١٩١٦، وهى التى عرفت باسم معاهدة سايكس – بيكو ، وهى الاتفاقية التى أخذت شهرتها من اسمى الرجلين اللذين انتدبا للتفاوض على بنودها وهما السير مارك سايكس Sir Mark Sykes عن بريطانيا ، والمسيو جورج بيكو M. George Picot عن فرنسا ، وكانت هذه الاتفاقية عبارة عن مذكرات تبادلتها دول الوفاق الثلاثى – بريطانيا وفرنسا وروسيا – بخصوص نصيب كل منها فى أملاك الدولة العثمانية إذا ما انتهت الحرب لصالحهم ، وقد جرت المباحثات المبدئية الخاصة انجلترا وفرنسا فى لندن فى ربيع ١٩١٦ بين كل من سير إدوارد جراى Sir Edward Grey وزير الخارجية البريطانية والمسيو بول كامبون M. Paul Cambon السفير الفرنسى فى لندن ، ثم استكملت المباحثات فى القاهرة بين جورج بيكو ومارك سايكس واشترك فيها قنصل روسيا الذى طلب السفر إلى بطرسبرج لعرض المشروع على الحكومة الروسية ، وقد نصت المعاهدة على أن تكون حصة روسيا من أملاك الدولة العثمانية " القسطنطينية وجزءاً من الأرض على ضفتى البسفور وقسماً كبيراً من أراضى شرق الأناضول يكون الولايات الأربع للحدود الروسية العثمانية " ، ونصيب فرنسا جانب كبير من جنوب الأناضول ومنطقة الموصل فى العراق ، وأما إنجلترا فلها البلاد الواقعة بين الخليج العربى والمنطقة الفرنسية ثم حيفا وعكا ، وتوضع فلسطين تحت إشراف دولى

كشف النقاب لأول مرة عن هذه المعاهدة السرية عندما عثر عليها فى ملفات وزارة الخارجية الروسية بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧ ، وقد أصدر وزير الخارجية أمراً بنشرها ، فتم نشر المعاهدات المتعلقة منها باستانبول وآسيا الصغرى ، وقد أجاب بلفور وزير الخارجية البريطانى على الأسئلة التى وجهها إليه مجلس العموم البريطانى ، حيث قال : " ما كان ينبغى نشر هذه الوثائق التى نحن بصددها ، هذا وإنى لا أنوى إعادة نشرها " ، ثم أضاف " لا شك فى أن عدداً من هذه الوثائق ليس له أية علاقة هذه البلاد ، إنما يتعلق بشئون حكومات حلفائنا ".

الجدير بالذكر أن جمال باشا قائد القوات العثمانية فى الشام أرسل نص الاتفاقية السرية (سايكس - بيكو) فى كتابين سلم أحدهما إلى الأمير فيصل بن الشريف حسين والآخر إلى جعفر باشا العسكرى مقترحاً عقد صلح منفرد مع العرب ، فأرسلهما الشريف حسين إلى المفوض السامى البريطانى فى القاهرة ، فكان الرد (أن هدف الأتراك بذر بذور الشك والريبة بين الحلفاء وبين العرب الذين يكافحون تحت لوائكم والمكافحين ضد المظالم العثمانية ، وأن الحكومة البريطانية تؤكد تمسكها بتعهدها المتعلق بتحرير الشعوب العربية) يلاحظ أن بريطانيا مازالت تسوف لتكسب العرب إلى جانبها رغم غدرها بهم من خلال المعاهدة السرية المذكورة.

وفى مصر قام فون كريستشاتاين بشن هجومه الأخير على قناة السويس فى صيف ١٩١٦ ، ولكنه تعرض للهزيمة ، وأصبحت القوات البريطانية التى صارت تحت قيادة الجنرال مورای فى وضع يسمح لها بطرد الأتراك من سيناء ، وبحلول ديسمبر ١٩١٦ وصلت إلى العريش ومنها إلى غزة .

ولكن بخروج روسيا من الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٧ استبعدت من الاتفاقية ، وأعلن القائمون على الثورة البلشفية فى روسيا أن العهد الجديد قد نفض يده من كل المعاهدات العدوانية التى عقدتها روسيا القيصرية مع غيرها من الدول

الأجنبية ، وأن هذا العهد يريد إقامة علاقات تعاون مع الشعوب واستنكار اغتصاب الدول الكبرى لأراضى الدول الصغرى وبالتالى تنازلت روسيا عن نصيبها فى ممتلكات الدولة العثمانية بمقتضى معاهدة لندن السرية فى عام ١٩١٥ ، وانفردت إنجلترا وفرنسا بالتقسيم .

وفى بداية عام ١٩١٧ ، توقف التقدم الألمانى ضد الحلفاء ، وكانت الحروب مشتعلة على كل الجبهات ، وكان العثمانيون يحاربون فى تسع جبهات وهم فى حالة يرثى لها من قلة الزاد والعتاد ، فى الوقت الذى كان فيه حلفاء الدولة العثمانية لا يقدمون ما وعدوا به ، ذهب وفد عثمانى للقاء السلطان السابق (عبدالحميد) وطلب منه النصيحة بما يجب عمله ، فكان رد السلطان : " إن القضايا التى تحدثتم فيها تعتبر أموراً طبيعية لطريق منفرد تم السير فيه ، لقد تعقبتم – من بعدى – سياسة مختلفة تماماً عن سياستى ، جعلتم مشكلة البوسنة والهرسك تخرج من إطارها الذى رسمته أنا لها وهو أنها مشكلة نمساوية – روسية ، فجعلتموها مشكلة عثمانية – روسية ، وأخرجتم مشكلة كريت من كونها مشكلة إنجليزية – روسية ، وجعلتموها مشكلة عثمانية – يونانية ، ووقعتم فى خطر كبير عندما أزلتم بأنفسكم الخلاف بين الكنيستين اليونانية والبلغارية ، وبذلك أوجدتم الفرصة أمام تحالف البلقان ، وجعلتم الباب مفتوحاً لكى تقوم كل من الصرب والجبل الأسود وإيطاليا بإثارة الألبان الذين حافظوا على علاقاتهم بالدولة العثمانية ببعض الامتيازات الخاصة ، وجعلتم حق القرار فى مجلس " المبعوثان " مسرحاً لنتائج خطيرة من شأنها تقديم الإمكانات الحيوية لاتحاد غير المسلمين ، وبكل هذه الأخطاء خرج محور التوازن السياسى الذى تستند إليه الدولة عن مجراه ، ولو لم تحدث حرب البلقان لما حدثت الحرب العالمية الأولى " ، وقال : " إن المنتصر فى هذه الحرب هو الجانب الذى يملك القدرة البحرية الحربية ، والمصادر الطبيعية لدى الألمان محدودة ، وحدودنا طويلة ولذلك نجد مشقات كثيرة فى الدفاع عنها ، ذلك لأننا نستورد السلاح واحتياجاته ، وإننا الآن مجبرون على أن نتلقى هذه

النتائج التى ظهرت بالفعل ولا بد من التسليم باضطرارنا لهذا ، ثم ما معنى استشارتكم لى بعد أن تكدست النتائج التى أسفرت عنها الأحداث السابقة.

الجدير بالذكر أن الضباط العرب العاملين فى الجيش العثمانى انضموا إلى قوات الثورة العربية ، وذلك لأن جمال باشا قام بسبب إخفاقه فى حملته على مصر بأن ألقى القبض على عدد كبير من الناس وقدمهم إلى محكمة عسكرية فى عالية بجبل لبنان وحكم على ١٣ منهم بالإعدام فى أغسطس ١٩١٥ ببيروت ، وفى ٥ أبريل ١٩١٦ قام جمال باشا بأعدام ٢١ شخصية منهم سبعة فى دمشق و١٤ فى بيروت من بينم عبدالحميد الزهراوى عضو مجلس الأعيان الذى ترأس المؤتمر العربى فى باريس ، مما عجل بصيحة العرب للثورة العربية ضد العثمانيين ، وقد وصلت الضباط العرب المنضمين للثورة بعض المعدات من الحلفاء بعد أن أدركوا أهمية الثورة لهم ، حيث قيدت هجوم الجيوش العثمانية على قناة السويس ، كما حالت دون نجاح الحملة العثمانية الألمانية إلى جنوب الجزيرة ، وواصلت الجيوش العربية تقدمها حتى وصلت إلى العقبة فى يوليه ١٩١٧ .

إلا أن الثورة العربية خابت فى تحقيق أهدافها بإقامة الدولة العربية المستقلة ، وذلك بسبب تآمر بريطانيا وفرنسا عليها بعملية التقسيم السرية سالفة الذكر وفى نفس الوقت حدثت نكبة الدولة العثمانية فى حرب البلقان أمام الدول الأربع (اليونان وبلغاريا والجبل الأسود والصرب) ، وعلى حد قول السلطان السابق عبدالحميد : " أن الذى هزمنا ليس الدول الأربع ، وإنما تدخل الجيش فى السياسة " ، وقال : " أن سقوط سالونيك يعنى سقوط إستانبول ، وهذا يعنى ضياع الدولة العثمانية ".

ناهيك عن وصول نبأ هدنة مودروس ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ ، حيث رفع قومندان باب المندب هذا النبأ الوارد من حاكم جزيرة ميون البريطانى فى حينه إلى سعيد باشا قومندان لحج ليتخذ الإجراءات اللازمة تبعاً لما يراه ، ونتج عن ذلك انسحاب الدولة

العثمانية من اليمن نهائياً فى نهاية الحرب العالمية الأولى ، وبالتالى خرجت الإمبراطورية العثمانية من الحرب إثر هدنة مودروس ، ولم يكن فى مقدور طلعت وأنور ، اللذان عقدا هذه المعاهدة ، أن يقوما بمفاوضات الصلح ، لأنهما كانا فى أعين الأعداء المسئولين الرئيسيين عن دخول تركيا الحرب ، أما فريد باشا الذى قبض على أزمة الحكم فى ٤ مارس ١٩١٩ بيد أن ثقته بمبدأ ويلسون الذى نص على أن تتمتع الأجزاء التركية من الإمبراطورية العثمانية بالسيادة الكاملة ما لبثت أن منيت بخيبة أمل فاضحة ، وفى ١٥ مايو ١٩١٩ احتل اليونان أزمير بالاتفاق مع الحلفاء.

إلا أنه وعلى الرغم من تخوف ألمانيا من خزلان إيطاليا لها ، ففى مايو ١٩١٥ دخلت إيطاليا الحرب ضد النمسا ، بعد أن كانت قد أعلنت حيادها عند نشوب الحرب ، فقد أغراها الحلفاء على الانضمام إليهم لتخفيف الضغط عن روسيا بالاشتباك مع النمسا ، وعقدت معاهدة معها كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا (معاهدة لندن) التى تقضى بإعطاء إيطاليا منطقة الترنتينو Trentino والتيرول الجنوبى حتى ممر برنر Prenner وتريستا Trieste وشبه جزيرة استريا Istria وشمال دلماشيا ، وميناء فالونا Valona فى ألبانيا وجزر الدوديكانيز Dodecanese فى بحر إيجه Aegean Sea ، كما سمح لها بتوسيع ممتلكاتها فى أريتريا والصومال ولكن إيطاليا واجهت بعد هجومها على النمسا حملة مشتركة من الدول المركزية بقيادة القائد الألمانى " بيلوف Below " وهزمت إيطاليا هزيمة شنعاء فى كاربوريتو Carporetto فى ٢٤ أكتوبر ١٩١٧

وكان الدور الثانى من أدوار الحرب حملة مدبرة تدبيراً أقل إحكاماً ترمى إلى تطويق ميسرة جيوش الحلفاء والاستيلاء على ثغور القنال الإنجليزى إلى الساحل فيما يشبه السابق ، ثم انطلق الألمان بما لهم من تفوق عظيم فى المدافع والعتاد محاولين إنزال ضربة قوية بالإنجليز بالقرب من " إيبر Ipres " ومنع المدد الآتى من إنجلترا

إلى فرنسا ومن ثم امتد كل من الجيشين غرباً وكادوا أن يحدثوا ثغرة فى صفوفهم لولا أن صمد لهم الإنجليز.

وشن الألمان على الفرنسيين هجوماً هائلاً دام طيلة النصف الأول من عام ١٩١٦ حول فردان ، ولكن الألمان أصيبوا بخسائر فادحة ثم صدتهم القوات الفرنسية بعد أن تقدموا فى الخطوط الفرنسية بضعة أميال ، وتعادلت الخسائر الفرنسية خسائر الألمان ، وكان المشاة الفرنسيون يرددون قولهم " لن يمروا " وبعد أن فشل الألمان فى اختراق جبهة الحلفاء الغربية ، وبعد هجوم فاشل قام به الحلفاء دون الاستعداد له بما يلزمه من عتاد ومواد ، عاود الألمان التفاتهم إلى روسيا ، وأصابوا الروس بسلسلة من الضربات الفادحة استحدثوا فيها طريقة جديدة من الحشد الشديد للمدفعية ، فهزموهم فى جنوب الجبهة الروسية أولاً ثم فى شمالها

☒ حرب الغواصات ودخول الولايات المتحدة الحرب ١٩١٧

كانت اتجاهات الحكومة الأمريكية فى الأيام الأولى لنشوب الحرب تدعو إلى أن تظل الولايات المتحدة بعيدة عن هذه الحرب التى أشعلها محترفو السياسة من الأوربيين ، وظهرت الصحافة فى الولايات المتحدة – غداة نشوب الحرب الأوربية – تشيد بابتعاد الأمريكيين عن الحرب ، وتهزأ من هؤلاء الأوربيين الذين يخوضون حرب شاملة ليس لها مبررات قوية من وجهة نظر الصحافة الأمريكية. ومن أسباب تدخل الولايات المتحدة الحرب الآتى :

كان الرئيس ويلسون قد استلم من الحكومة الألمانية مذكرة تعلن فرض الحصار على سواحل الجزر البريطانية وسواحل فرنسا ، وتعلن السفن المحايدة ستتحرك على مسئوليتها فى بحر المانش ، وبحر الشمال ، وبحر إيرلندا ، والحوض الغربى من البحر المتوسط ، أى أن حرب الغواصات التى كانت قد بدأت فى ١٩١٥ والتى أوقفت منذ مايو ١٩١٦ حتى لا تتعرض للمصالح الأمريكية ستعود من جديد ، وسيقومون بها

" بدون أى تحديد " ورد الرئيس ويلسون بقطع العلاقات الدبلوماسية ولكنه كان يأمل فى أن يكون ذلك كافياً لإعادة ألمانيا إلى صوابها ، وأنه لن يقوم بالدفاع عن حرية البحار بقوة السلاح إلا فى حالة ما إذا تبعت التهديد الألمانى ، وكانت الأحوال الاقتصادية هى التى أدت إلى أول رد فعل للمصدرين الأمريكيين أمام المخاطر التى يعنيها إعلان حرب الغواصات بغير حدود ، وهو وقف الحركة فى المنطقة التى أعلن فيها الحصار ، وهذا القرار شل عمليات التصدير الموجهة صوب فرنسا وصوب بريطانيا ، وتسبب فى " تخمة اقتصادية " فى الموانئ الأمريكية المطلة على المحيط الأطلنطى ، والتى ضاقت بالبضائع التى لم تعد السفن التجارية تنقلها ، وبدأ من الضرورى لعلاج هذه الحالة ولتشجيع أصحاب السفن على العودة إلى الحركة وإعطاء السفن التجارية الوسائل اللازمة لكى تدافع بها عن نفسها ضد هجوم الغواصات ، ولذلك فإن مسألة تسليح السفن التجارية الأمريكية طرحت أمام البحث إلى أن حصل الأسطول التجارى بقرار رئاسى على التصريح بحمل المدافع [٤٧] .

استخدمت الغواصات لإغراق سفن الأعداء فى المياه الإنجليزية فى ٤ فبراير ١٩١٥ ، وفى أبريل أغرقت الغواصات الألمانية الباخرة لوزيتانيا **Lusitania** على مقربة من ساحل أيرلندا وعليها ألف راكب منهم أكثر من مائة أمريكى ، وعندما تحرك الرأى العام ضد ألمانيا أوقفت عمل غواصاتها ، ولكنها عادت إلى العمل من أول مارس ١٩١٦ وفى ٢٤ مارس أغرقت الباخرة ساسكس **Sussex** ، ثم لجأ الألمان إلى حرب الغواصات بهدف إغراق أية سفينة تجارية دون سابق إنذار وذلك لتجويع بريطانيا ، ففى الأشهر الأخيرة من عام ١٩١٦ أغرقت الغواصات الألمانية ما حمولته ٣٠ ألف طن كل شهر ، وفى بداية عام ١٩١٧ كان لدى الألمان نحو ١٢٠ غواصة ارتفع عددها إلى ١٣٤ فى أكتوبر ١٩١٧ [٤٨] ، وكان تصعيد حرب الغواصات التى كانت تشنها البحرية الألمانية تعنى زيادة الخسائر الاقتصادية بالنسبة للأمريكيين وتصعيد عدد المتعطلين خاصة فى موانئ أمريكا الشمالية حتى لقد طغت موجة السخط

الأمريكى ضد الألمان على الأعمال البريطانية العسكرية التى أضرت بالمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة ، فالواقع أن كل من الحلفاء ودول الوسط أضر بطريقة أو بأخرى باقتصاديات أمريكا ، وهناك العديد من الحوادث التى وقعت ضد الاقتصاد الأمريكى على يد الإنجليز فقد وسعت بريطانيا من مفهوم " الممنوعات " التى يجب أن تصادرها حتى لا تصل إلى ألمانيا ، فأدخلت فى قائمة " الممنوعات " المواد التى تشتريها الدول المحايدة من الولايات المتحدة بقصد إرسالها إلى ألمانيا [٤٩] ، وبهذا فإن العامل الاقتصادى أعتبر من أهم العوامل التى دفعت الولايات المتحدة إلى دخول الحرب إلى جانب دول الوفاق ، خاصة بعد أن سمحت الولايات المتحدة للمصارف الأمريكية بتقديم قروض لدول الوفاق ، كما أن قضية " زيمرمان Zimmermann " تعتبر الحدث الثانى الذى عجل بدخول الولايات المتحدة الحرب ضد ألمانيا .

أن قضية زيمرمان مساعد أمين سر الدولة الألمانية فى وزارة الشئون الخارجية ، فقد أرسل زيمرمان إلى سفير ألمانيا فى مكسيكو برقية يقترح فيها على المكسيك أن تكون حليفة لألمانيا فى حالة نشوب الحرب بين ألمانيا والولايات المتحدة ، وبعد استرجاع الأراضى التى أخذتها الولايات المتحدة من المكسيك عام ١٨٤٨ " تكساس وأريزونا والمكسيك الجديدة " وأضاف زيمرمان بأنه يمكن من خلال المكسيك الدخول فى مفاوضات مع اليابان لتتخلى عن دول الوفاق وتتحالف مع ألمانيا ، إلا أن برقية زيمرمان وقعت فى يد المخابرات البريطانية وسلمت إلى رئيس الولايات المتحدة الذى أذاعها ، وقد كان أثر هذا الحادث كبيراً فى الولايات المتحدة ، فقد ظهرت موجة استياء كبيرة ضد ألمانيا ، عموماً أن هذه الأحداث قد أدت إلى تطور الرأى العام الأمريكى لصالح دول الوفاق ، إلا أن تصميم ألمانيا على مواصلة حرب الغواصات هو الذى دفع الولايات المتحدة إلى دخولها الحرب.

أما عن أبعاد التدخل الأمريكى فى الحرب فإنه غير كل حسابات الألمان ، إذ أن حملة السفن التجارية الموجودة من أجل تموين الجزر البريطانية قد زادت بنسب هامة ، ففى فترة رئاسة ويلسون الثانية كان لروزفلت الذى أصبح رئيساً للولايات المتحدة فيما بعد دوراً هاماً حيث ظل ينادى بوجوب الاستعداد الكامل فى حالة اضطرار الولايات المتحدة للاشتراك فى الصراع ، وعندما حدث ذلك بالفعل فى عام ١٩١٧ رمى بكل ثقله فى المعركة لكسب الحرب ، كما عمل على تأييد مشروع بث الألغام فى بحر الشمال حيث نجح هذا المشروع رغم أنه تم متأخراً ، وأصبح الأسطول التجارى الأمريكى كله تحت تصرف منظمات النقل المشتركة للحلفاء ، كما دخلت كل دول أمريكا اللاتينية الحرب بدخول الولايات المتحدة ، وأخذت فى مصادرة السفن التجارية الألمانية التى كانت قد التجأت إلى موانيها منذ ١٩١٤ ووضعتها فى خدمة دول الوفاق أو فى خدمة الولايات المتحدة ، وأخيراً فإن الدول الأوربية المحايدة قد أنذرت بأنها ستحرم من السلع الأمريكية ، ما دامت سفنها ترفض الإبحار ، ولا شك فى أنه كانت هناك أسباباً أخرى لفشل حرب الغواصات ، تقنينية وتكتيكية.

وكان لدخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء أهمية كبيرة ، عوضتهم فيما بعد انسحاب روسيا من الميدان ، وأخذت الخسارة تقل رويداً رويداً عندما نجح الحلفاء فى تحطيم عدد كبير من الغواصات الألمانية وهو السلاح الذى كانت ألمانيا تستخدمه بنجاح، كما أحكم الحلفاء الحصار البحرى على ألمانيا بفضل عون الأسطول الأمريكى ، كما خففت القروض الأمريكية من متاعب الحلفاء وقلقهم المالى ، كذلك سلب ظهور جيش أمريكى جرار حسن العدة والتجهيز فى الميدان الغربى فى آخر عام من أعوام الحرب – سلب الدولتين الوسطين آخر فرصة لإبرام صلح ملائم لهما.

أيضاً كان من الفوائد التى جنتها دول الحلفاء من دخول الولايات المتحدة الحرب أن قويت الروح المعنوية لديهم على اعتبار أن الولايات المتحدة كانت تضم رصيداً بشرياً ومالياً وعسكرياً ضخماً كفيلاً بقلب موازين الحرب ضد ألمانيا ، وكذلك مع أن الأسطول الأمريكى كان صغيراً نسبياً ، إلا أن دخول أمريكا الحرب جعل هذا الأسطول مسئولاً عن سلامة سفن الحلفاء فى مسطح كبير من المياه يخفف من أعباء الأسطول الإنجليزى ، كما عمل الأسطول الأمريكى على منع الغواصات الألمانية من إغراق السفن الأمريكية

كان على حكومة ويلسون أن تعد مئات الألوف من الجند ومئات السفن وعشرات الألوف من المدافع وأكداس مكدسة من الذخائر لكى ترسل إلى جبهة القتال فوراً ، ولهذا شرعت الحكومة فى تشكيل لجان حرب متخصصة فى مواجهة هذه المشكلات الرئيسية فظهرت الهيئات والمجالس التالية :

١- مجلس الدفاع القومى Council of National Defense

٢- هيئة التموينات العامة General Munitions Board

٣- هيئة اقتصاديات الحرب War Industries Board

٤- إدارة التغذية Food Administration

وفى ميدان إنتاج الطائرات كان من المقرر أن يصبح سلاح الجو مؤلفاً فى يوليو ١٩١٨ من ٢٢ ألف طائرة حسب الخطة الموضوعة لذلك ، ولكن تبين أن الرقم مبالغ فيه ، حتى أن الدول الكبرى المتحاربة نفسها لم تكن الواحدة تملك أكثر من ٢٥٠٠ طائرة ، وكان طبيعياً أن يصل عدد الطائرات الأمريكية التى ساهمت فى الحرب حتى عقد الهدنة هو ربع العدد المقترح من قبل فقط

☒ الثورة الروسية ١٩١٧

كانت الظروف الداخلية فى روسيا من أهم الأسباب التى أدت إلى قيام الثورة الروسية ، فقد كان هناك تذمر عام فى البلاد ، حيث عم السخط المنظمات الطلابية فى الجامعات الروسية ، كذلك الطبقة الوسطى كانت تأمل فى إحداث تغييرات دستورية بعيدة المدى ، أضف إلى ذلك مطالبة الفلاحين بضرورة وضع قوانين عادلة ، وبالرغم من هذه الظروف إلا أنه عند قيام الحرب تجاهلت الأحزاب السياسية تلك الظروف والخلافات ، وظهرت على الساحة روح جديدة من الولاء الوطنى للقيصر ، ولكن هذا الولاء لم يستمر طويلاً ، ففى ١٩١٥ زحف الألمان تجاه روسيا عبر بولندا ، وتلقت القوات الروسية العديد من الهزائم التى أثرت فى الروح المعنوية لهذه القوات والأحزاب والروس جميعاً حتى بلغ الأمر أن انتصار روسيا فى الحرب أصبح خيال بعيد المنال طالما أن الطبقة الأرستقراطية لا تزال تسيطر على إدارة البلاد الروسية

فى ١٥ مارس ١٩١٧ أرغم قيصر روسيا على النزول عن عرشه ، ثم بدأت سلسلة من الأحداث بشغب عام فى " بترغراد " فى ٨ مارس ، وانقطاع الصحف عن الظهور ، ثم اعتصام عمال الترام فى ١٠ مارس ، وفى ١١ مارس أعلنت أورطة عسكرية عصيانها ، ثم حدث فى اليوم التالى تمرد الحرس القيصرى ، وكانت هذه الثورة ثورة قام بها الروس ضد الجوع والشقاء الذى انتابهم ، كما استعادوا إلى أذهان الناس الخسائر الهائلة التى حاقت بجيوشهم ، والأربعة الملايين من القتلى والجرحى ، واختلاس أموال الدولة ، وسوء توزيع موارد البلاد ومنتجاتها ، والشكوك القوية التى خامرت النفوس بأن القيصر تعاون مع الألمان خفية تحت تأثير " راسبوتين " الخليع الفاجر ، وأخيراً حينما تذكروا طرق القمع ارجعية التى استخدمها " بروبوبوف Propopoff " وزير الداخلية ، وآخر مشيرى القيصر وأقلهم فطنة وحصافة .

وكان أعضاء مجلس الدوما قد رفضوا قبيل تنازل القيصر إطاعة أوامره بالانفضاض وانتخبوا فى ١٤ مارس حكومة وقتية برئاسة الأمير " لفوف Lvov " تضم أغلبية الحزب الديمقراطى الدستورى ، وقد حاولت هذه الحكومة أن تحكم البلاد ، وتدير دفة الحرب بعد سقوط القيصر ٠

وتمكن البلشفيون فى مؤتمر السوفييت من السيطرة بقوة منطقهم على أهواء الناس البسطاء الجائعين ، وكان برنامج الحزب الذى ألفته هذه الجماعة واسع المدى ، وهو توفير الغذاء للجميع ، وإبرام صلح عاجل ، وتوزيع الأراضى على الفلاحين ، وإقامة دكتاتورية عمالية ، ولهذا ففى الوقت الذى كان فيه كيرنسكى لا يألو جهداً فى إثارة همم الجيش لمواصلة الحرب ، وكان البلاشفة يسعون إلى إفساد النظام الحربى وبث روح الهزيمة فى نفوس الجند ، وكان شعار الثورة الجديد " لا فتوح جديدة ، ولا غرامات حربية " وقد نجحوا فى ذلك حتى انهارت الجبهة الروسية أمام هجمات العدو آخر يوليو ١٩١٧

أما منظما هذه الثورة ، فكانا منفيين نكرتين رجعا حديثاً إلى روسيا هما " اليانوف Ulianoff " الذى دعا نفسه " لينين Lenin " و " براونشتين Braunstein " الذى اتخذ لنفسه اسم " تروتسكى Trotsk " وأنه ما انقطعت ثلاثة أشهر على قبضهما السلطة فى روسيا حتى كانا قد أخرجاها من صفوف القتال ، وسحقا الطبقات الغنية والوسطى ، وفضا هيئة نيابية كنت قد دعيت لوضع دستوراً برلمانياً لجمهورية روسية ٠

شكلت الثورة حكومة مؤقتة عرفت باسم " المجلس السوفيتى " انتخب لينين رئيساً للمجلس وتروتسكى وزيراً للخارجية واهتمت الثورة بنشر المبادئ الشيوعية فى خارج روسيا وتمكين العمال فى المصانع والفلاحين فى الأرض ، كما قامت الثورة بالانسحاب من الحرب بجانب التفرغ للبناء الداخلى للدولة الجديدة ٠

وهكذا كانت روسيا حين اتخذت النظام الشيوعى عام ١٩١٧ تتخلى عن تقاليدها التى درجت عليها إذ اتخذت ولأول مرة فى تاريخها عقيدة غريبة (الشيوعية) التى تستطيع أن توجه نداءً مزدوجاً إلى الفلاحين والفقراء وفى كل من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ففى استطاعة المتحدث الروسى الرسمى أن يقول أولاً لفلاحى آسيا إذا اتبعتم النظام الروسى فإن الشيوعية ستمدكم بالقوة لكى تقفوا فى وجه الغرب لأن روسيا الشيوعية تستطيع أن تقف أمامه ، أما النداء الثانى الذى تغزو به الشيوعية الفلاحين الآسيويين فهو ادعاء الشيوعية أنها تستطيع أن تقضى على التباين الكبير بين الأقلية الغنية والأغلبية التى يكاد يقتلها الجوع والحرمان فى الدول الآسيوية.

وكانت الجماهير الروسية مصرة على إنهاء الحرب ، وقد ظهر إلى عالم الوجود " بتروجراد " هيئة تمثل العمال والجنود العاديين ، هى " السوفييت " وكانت هذه الهيئة تطالب بمؤتمر دولى من الاشتراكيين يعقد فى استوكهلم ، وكثر فى برلين حوادث الشغب من أجل الطعام ، واستبد السأم من الحرب بالألمان والنمساويين. وفى أبريل ١٩١٧ قام الفرنسيون بهجوم فى شمبانيا أخفق دون اختراق صفوف الألمان وتكبدوا أفدح الأثمان ، وبينما روسيا تتداعى طيلة عام ١٩١٧ ، كان الشعب الأمريكى يتحول بسرعة إلى أمة حربية عظيمة ·

على كل حال ، فإن خروج روسيا من الحرب بسبب الثورة الروسية شجع القيادة الألمانية على الاستفادة بالقوات الألمانية على الجبهة الروسية ، وهى نحو أربعين كتيبة أو ٤٠٠ ألف جندى لتعزيز الميدان الغربى ، وتوجيه ضربة قاصمة للجيش الإنجليزى والفرنسى عند نقطة اتصالهما ، ثم دحر كل منهما على حدة.

وفى ٣ مارس ١٩١٨ عقدت معاهدة صلح بين كل من روسيا البلشفية وألمانيا ، هى معاهدة برست ليتوفسك Breast – Litovsk التى نصت على تخلى روسيا عن

دول البلطيق (أستونيا ولاتفيا وليتوانيا وفنلندا وعن بولندا) والجلاء عن أوكرانيا واستقلالها ، وتنازلت روسيا لتركيا عن القوقاز (باطوم وقارس وأردهان).

وقد وقع الهجوم الألمانى يوم ١٠ مارس ١٩١٨ ، فحطم الجيش الريطانى الخامس ، وأصبحت القوات الألمانية على بعد ٢٠ ميلاً من " أميان Amiens " وأصبح الخط الحديدى الموصل إلى أميان تحت القصف الألمانى ، ولكن أمكن وقف الزحف الألمانى أمام أميان ولو نجح لانفصلت القوات الفرنسية عن القوات الإنجليزية.

وبعد هزيمة النمسا والمجر فى نهاية الحرب ، تأسست الدولة اليوغسلافة لأول مرة حيث جمع فيها السلاف الصقالبة الجنوبيين ، وكانت فرحة المسلمين كبيرة لهذا الحدث كان هدفهم التخلص من الاستعمار النمساوى ، وبعد قيام يوغسلافيا ، غدر الأرثوذكس بالمسلمين ، وتحت شعار الإصلاح الزراعى ، صادروا جميع أراضى المسلمين عام ١٩١٨ وأعطوها للفلاحين الأرثوذكس ، بل أن هذه المملكة الجديدة التى ضمت البوسنة والهرسك ، نجد أن الحكومة الجديدة تمارس تصفية المسلمين جسدياً

☒ الدور النهائى للحرب وهزيمة الألمان ١٩١٨

أثناء الفترة الواقعة بين مارس ويوليو١٩١٨ نفذ الألمان أربع عمليات حربية كبيرة متعاقبة وفى أربع اتجاهات على الجبهة الفرنسية ، وقد نتج عن ذلك ناهيك عن مقاومة الحلفاء أن استنفذت القوات الألمانية لطاقتها فى حين كانت قوات الحلفاء العسكرية تزداد ، كما أصبح عنصر الزمن ضد الألمان ، وفى سبتمبر ١٩١٨ تحركت القوات المتحالفة على الجبهات الأخرى فى اليونان وبلغاريا وسوريا والعراق ، وسرعان ما انهارت المقاومة فى الجبهات البلغارية والتركية والنمساوية والألمانية ، واتجهت دول الوسط إلى طلب الهدنة فقد هجم " هيج Haig " على خط القائد الألمانى " هندنبرج Hindenburg " وتقدم البلجيكيون بقيادة الملك " ألبرت Alpert " لمهاجمة الألمان ، كما تقدم الجنرال " فيجال Vegal " الفرنسى من " سونسون

Sonssons " من " فردان Verdun " والجنرال " كتلنو" من " أردين Ardennes " ولم يأت يوم ٢٩ سبتمبر حتى فر الجند الألمان من الميدان وبلغ عدد الأسرى الذين وقعوا فى أيدى الحلفاء نحو نصف مليون بل أكثر.

وفى نفس اليوم أعلن هندنبرج ولوندروف للإمبراطور أنه لم يعد فى طاقة جنودهما مواصلة الحرب ، وتم طلب الهدنة والصلح لأن الجيش كان مهدداً بكارثة وقد أطلق لودندورف على يوم ٨ أغسطس ١٩١٨ يوم هجوم هيج على الألمان " اليوم الأسود للجيش الألمانى " لأن البريطانيين الذين منوا بالهزيمة مرتين انتقلوا من الدفاع إلى الهجوم ، ولأن الألمان طردوا من مواقع كانوا يعدونها منيعة ، وقد تلت ذلك سلسلة من الهجمات طيلة سبتمبر ١٩١٨ كان النصر فيها حليفاً للحلفاء فى كثير من الميادين ، ففى جبهة سالونيك شن الإنجليز والفرنسيون والصربيون هجومهم على البلغار فى ١٥ سبتمبر ، وانتهى فى ١٩ منه بتسليم بلغاريا وخروجها من الحرب ، وهذا يعنى انهيار الجبهة الشرقية وانهيار النمسا والمجر.الجدير بالذكر أنه بالرغم من أن نار الحرب مستعرة فقد أخذت الحكومة الألمانية تعد الإصلاحات الدستورية الجديدة ، ففى سبتمبر ١٩١٨ وجه الإمبراطور إلى مستشاره " فون هرتلنج " خطابه الشهير يستحثه على إجراء الإصلاحات الدستورية ، وجاء المستشار الجديد " ماكس دوباد " وشرع فعلاً فى وضع القوانين الدستورية الحديثة وذلك فى أكتوبر ١٩١٨ وتقرر فيها:

١- أن مستشار الإمبراطورية لا يصح أن يبقى فى منصبه إلا إذا كان حائزاً على ثقة الرايشستاج ٠

٢- أن المستشار مسئول عن كل الأعمال التى يجريها الإمبراطور وأنه مسئول هو والوزراء عن أعمال الحكومة أمام مجلس ارايشستاج والبوندسرات ٠

٣- ليس للإمبراطور إعلان الحرب وعقد المعاهدات إلا بعد موافقة مجلس الرايشستاج والبوندسرات ، بعد إن كان له الانفراد بإعلان الحرب فى حالة حدوث هجوم على حدود البلاد .

٤- خضوع إدارة القوات الحربية لإشراف الب رلمان .

جاءت هذه الإصلاحات فى وقت قد اختمرت فيه فكرة الثورة ، التى هبت فى البلاد فى أوائل نوفمبر ١٩١٨ بين بحارة ثغر كيال الحربى وألفوا مجلساً للجنود له سلطة الأعمال الحربية ، وانضم إليهم العما الذين ألفوا مجلساً للعمال وأعلنوا الإضراب العام ، وامتدت الحركة إلى هامبورج ولوبك وبريم وكولون وهانوفر وماجد بورج وبرنسويك وليبزيج ودرسدن ، وفيما بين ٤ و ٩ نوفمبر عمت الثورة ألمانيا ، وأصبحت السلطة فى أيدى العمال والجنود ، ولم نجد الثورة مقاومة ، على السلطة العسكرية فى برلين قد استعدت للمقاومة ، فأعلنت الأحكام العرفية فى ٥ نوفمبر ، ومنعت فى ٧ منه اجتماع مجلس العمال والجنود ، على أن الاشتراكيين الديمقراطيين الذين كانوا يناوؤن النظام الإمبراطورى أوفدوا الوزير الاشتراكى " شيدمان " إلى المستشار " ماكس دوباد " يطلب نزول الإمبراطور وولى العهد وعدول الحكومة عن مصادرة الاجتماعات .

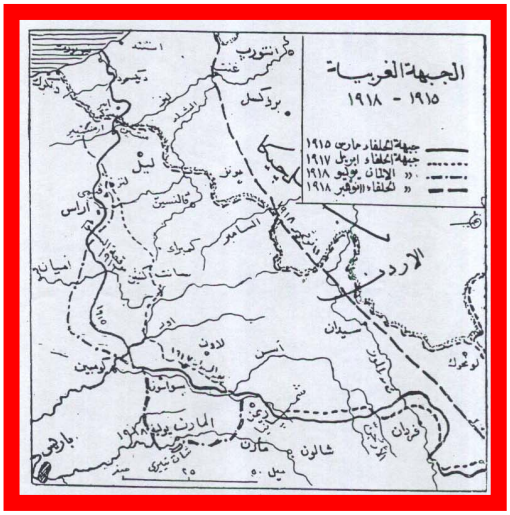

وفى ٩ نوفمر انعقد مجلس العمال والجنود فى برلين وكان أول قراراته إعلان الاعتصاب العام ، فلم يكن فى وسع المستشار مقاومة هذه الحركة ، وبالفعل خابر الإمبراطور الذى نزل عن العرش فى ذلك اليوم التاريخى (٩ نوفمبر) ، وأعلن للمستشار رسميا نزوله وكذلك نزول ولى

العهد ، وأنه سيستمر فى منصبه حتى تعيين الوصى على ولى ال عهد الجديد ، وفى نفس اليوم ذهب الهر " أيبرت " زعيم الاشتراكيين الديمقراطيين إلى المستشار ماكس وطلب منه أن يدع له منصبه محافظة على النظام العام (المستشارية) ، وبالفعل نزل عنها ماكس وتقلدها الهر إيبرت ، وبعدها وقف الهر شيدمان على درجات سراى الرايشستاج وأعلن انتهاء مُلك آل هوهنزلرن ونادى (فلتحيا الجمهوريى الألمانية) ورددت الجماهير هتافه ، وكا ن ذلك بمثابة إعلان الجمهورية الألمانية الجديدة التى بدأ تاريخها فى يوم ٩ نوفمبر ١٩١٨ ، وألف أيبرت الوزارة الجديدة ، وتدخل الاشتراكيون المستقلون فى تأليفها فاشترطوا أن يكون مصدر السلطة العامة مجالس العمال والجنود ، وأن تؤلف الوزارة من الاشتراكيين دون سواهم ، ولما كان الاشتراكيون المستقلون لديهم القوة الفعلية ، اضطر الاشتراكيونالديمقراطيون إلى الإذعان مؤقتاً لطلباتهم أخذ الديمقراطيون يتحينون الفرصة لإقصاء العنصر البلشفى (الاشترايين المستقلين) عن الحكم ، وذلك عن طريق عقد جمعية وطنية مؤسسة بطريق الانتخاب العام لاعتقادهم أن الأمة الألمانية لا تقبل نظاماً

بلشفياً قائماً على حكم طبقات العمال مصدره سلطة " مجالس العمال والمجندين " ، وتمت الدعوة إلى الانتخابات العامة للجمعية الوطنية وحدد لإجرائها يوم ١٩ يناير ١٩١٩ ، وقد أسفرت الانتخابات عن انتخاب ٤٢٣ نائباً (من بينهم ٣٨ سيدة) وفاز حز الاشتراكيين الديمقراطيين بـ ١٦٥ ، و ٧٤ من الديمقراطيين و ٨٩ من حزب الوسط و ٢٢ فقط من الاشتراكيين المستقلين و ٤٢ من الحزب الوطنى و ٢٢ من حزب الشعب و ٩ من غير هذه الأحزاب ، واجتمعت الجمعية فى فايمار فى ٦ فبراير ١٩١٩ ، وقد اختارت الحكومة هذه المدينة لتكون الجمعية بعيدة عن برلين خوفاً من الفتن والقلاقل التى قد يثيرها المستقلون ، وكان يراد من الجمعية أن تبت فى مسألة الصلح الذى قرره الحلفاء فى مؤتمر فرساى وأن تضع دستوراً للبلاد.

وبسبب هذه الهزائم طلب الألمان عقد الصلح فأرسلت ألمانيا مذكرة بطلب الصلح إلى الرئيس ويلسون فى ٣ أكتوبر ، وقبل نهاية الشهر وقعت تركيا الهدنة ، حيث أن الجماعات الوطنية فى استانبول عبثاً حاولت أن تعمل على إنقاذ البلاد ، فقد عقد مؤتمر وطنى فى العاصمة ضم ثمانية أحزاب وعدداً كبيراً من الكتل الصغيرة ، ولكن هذا المؤتمر لم يأت بشئ ، وما كان الخلاص ليأتى إلا من الأناضول حيث سكانه الأتراك المتجانسين الذين ثاروا ضد اليونان الذين اقترفوا من الفظائع فى أزمير شيئاً لم يُسمع بمثله من قبل ، عصابات تركية من المجاهدين (باش بوزق) يقودها " الحدَّاد أفه محمد ، ويوروك على " ، وسرعان ما التحقت بهذه العصابات قوات نظامية على رأسها ضباط من هيئة أركان الحرب ، وتمكنوا جميعاً من أن يشغلوا أعداءهم فى حرب عصابات صعبة المراس .

وفى ٢١ يونيو ١٩١٩ وجه مصطفى كمال أتاتورك – المتمرس بالحروب - الدعوة لعقد مؤتمر تركى عام فى سيواس ، وقبل أن يتمكن هذا المؤتمر من الانعقاد افتتح أتاتورك مؤتمر أرضروم فى ٢٣ يوليو ، وهو اليوم الذى اعتبر عيد تركيا الوطنى ، وفى ٧ أغسطس أصدر هذا المؤتمر الأول قراراً بالمحافظة على سلامة الأناضول التركى ودعوة القوات الوطنية للدفاع عنه ، ثم أن مؤتمر سيواس انعقد بعد ذلك فى ٤ سبتمبر برئاسة

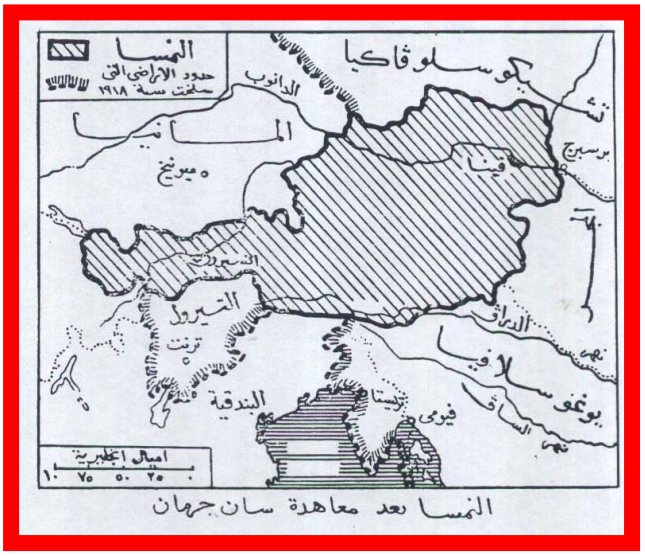

أتاتورك وصدق المؤتمر على قرارات أرضروم بتعديل طفيف ، واستطاع أتاتورك أن يبسط نفوذه على كل الأناضول ،

وفى نفس الوقت كانت النمسا والمجر قد انسحبتا أمام بريطانيا فى هزيمة منكرة فى ٣ نوفمبر ، ودخلت القوات البريطانية كل خطوط الألمان ووصلت إلى شمال فرنسا ، ووصل الأمريكيون إلى الحدود الفرنسية فى سيدان ، فى حين كانت القوات الاحتياطية الفرنسية تهدد اللورين [٦٤] ، وهنا أعلن الرئيس ويلسون وقف الحرب بقوله : " أعزائى أبناء وطنى ، لقد تم توقيع الهدنة صباح اليوم ، فقد تم إنجاز كل ما كانت تحارب من أجله أمريكا ، من الواجب علينا الآن بكل السبل المعنوية والمادية أن نعمل على ترسيخ الديمقراطية العادلة فى العالم كله ".

فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ أعلنت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها بعد أربع سنوات وربعاً ، قتل فيها أكثر من ثمانية ملايين فرداً ، كما مات أكثر من عشرون أو خمسة وعشرون مليوناً آخرين بسبب المصاعب والفوضى ، وقاسى عشرات الملايين مما ألم بهم من ضعف بسبب سوء التغذية والشقاء [٦٦] ، وقد جاء فى هذه الهدنة :

١- يتم إيقاف العدوان براً وجواً فى خلال ٦ ساعات من توقيع الهدنة .

٢- يتم انسحاب القوات الألمانية من المناطق المحتلة فى كل من بلجيكا وفرنسا ولكسمبورج ، بالإضافة إلى الإلزاس واللورين ، على أن يتم التنفيذ فى خلال ١٥ يوماً من توقيع المعاهدة .

٣- إذا لم تنسحب القوات الألمانية من الأماكن المذكورة سابقاً سيتم معاملتهم كسجناء حرب .

كان طلب الصلح على أساس شروط الرئيس الأمريكى ويلسون التى كان أعلنها كدستور للتسوية وعرفت باسمه وهى كالتالى :

١- العدول عن المفاوضات السرية ، واتباع سياسة تقوم على الصراحة .

٢- الاعتراف بحرية الملاحة فى البحار سواء كان ذلك فى زمن السلم ، أو الحرب .

٣- وضع الحوافز الاقتصادية ، وفتح باب التجارة لجميع الأمم على قدم المساواة .

٤- تخفيض التسليح ، فلا يبقى من الأسلحة إلا القدر الذى يكفل الأمن فى داخلية البلاد .

٥- تسوية المشكلات الاستعمارية بطريقة عادلة نزيهة أساسها مراعاة مصالح الأمم ، سواء كانت الشعوب سائدة أم مسودة .

٦- إخلاء أراضى روسيا ودعوة هذه الدولة مهما كان شكل حكومتها إلى الدخول إلى جامعة الأمم " عصبة الأمم " .

٧- الجلاء عن الأراضى البلجيكية ، وتعويض بلجيكا عن الأضرار التى لحقت بها .

٨- الانسحاب من الأراضى الفرنسية ، وتعمير ما خرب ودمر ورد مقاطعتى الألزاس واللورين إلى فرنسا .

٩- توسيع أملاك إيطايا ، بما يحقق أمانيها القومية .

١٠- تخويل الشعوب التى تستظل بالعلم النمساوى حق تقرير المصير .

١١- إخلاء رومانيا وصربيا والجبل الأسود ، ومنح الصربيين منفذاً إلى شاطئ البحر ، وتحقيق الأمانى القومية لشعوب البلقان ٠

١٢- تخويل الشعوب التى تتألف منها الدولة العثمانية ، والتى لا تمت بصلة إلى العنصر التركى حق تقرير المصير ، واعتراف الدول بحرية الملاحة فى مضيق الدردنيل والبسفور ٠

١٣- إعادة دولة بولندا حرة مستقلة ومنحها ممراً يربط داخلها بالبحر ٠

١٤- إنشاء عصبة الأمم ، مهمتها تعاون الحكومات فيما بينها ، على إقرار السلام العالمى ، فلا تعتدى دولة على أخرى ، قبل أن تضع مشاكلها موضع البحث والفحص أمام العصبة.

خدعت الشعوب ببريق هذه المبادئ التى أعلنها الحلفاء كى يستميلوا الدول إلى نصرتهم فى الحرب ، حتى إذا ما تم لهم النصر وانعقدت مؤتمرات الصلح كانت هذه المبادئ قد أصابها الهزال والضعف بين أيدى الاستعمار فى أوربا أمثال كليمنصو الفرنسى ولويد جورج البريطانى وأورلندو الإيطالى وظلت السرية تخيم على جو المؤتمر حتى أعلنت قراراته ، ولم يتحقق من المبادئ التى أعلنها ويلسون سوى إقرار ميثاق عصبة الأمم.

عقدت الهدنة فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ ودخلت أساطيل الحلفاء مياه الدردنيل والآستانة فى نوفمبر ، واحتلت جيوشهم حصون الدردنيل والبسفور ، وأصبحت العاصمة العثمانية تحت رحمة قوى الحلفاء الذين تدخلوا فى شئون الدولة العثمانية ، وظهرت مطامع اليونان والإنجليز ، ونقض الحلفاء شروط الهدنة فجاء احتلال اليونان لأزمير فى مايو ١٩١٩ ضربة قاتلة مصوبة إلى قلب الأمة التركية ، وكان الاحتلال بإيعاز من الإنجليز وإقرار الحلفاء.

وإذا نظرنا إلى مصير المستعمرات ، نجد إن مصيرها يتغير تبعاً لنتائج الحروب الأوربية الاستعمارية ، فبعد انتهاء الحرب حصلت بريطانيا على مستعمرة أفريقيا الشرقية الألمانية ، وعلى ربع مساحة مستعمرة توجولاند وجزء من مستعمرة الكميرون ، أما فرنسا فقد استولت على بقية مستعمرة توجولاند وعلى جزء من مستعمرة الكميرون أكبر مما استولت عليه بريطانيا ، وقد حصلت كل من بلجيكا والبرتغال على جزء من مستعمرة أفريقيا الشرقية الألمانية ، كذلك فاز اتحاد جنوب أفريقيا بمستعمرة جنوب غرب أفريقيا الألمانية، هذا بجانب التقسيمات التى تمت أثناء الحرب وغيرها فى قارات أفريقيا وآسيا خاصة.

الفصل الثالث

اتفاقيات السلام ومعاهدات الصلح

☒ مؤتمر السلام ١٩١٩م

افتتح المؤتمر فى يناير ١٩١٩ فى باريس برئاسة " كليمنصو " رئيس وزراء فرنسا للاتفاق على شروط الصلح ، وقد حضر المؤتمر مندوبو الدول التى حاربت فى صفوف الحلفاء ، كما حضره مندوبون من الأمم والشعوب التى وعدت بالحرية والاستقلال مثل : البولنديين والعرب واليهود الذين منوا بوطن قومى فى فلسطين [٧١] والصين وتايلاند وليبيريا وكوبا والبرازيل وبنما وجواتيمالا وهندراوس ، وقبلت عضوية دول جديدة وهى تشيكوسلوفاكيا وبولندا ، أما الدول التى فرض عليها عدم المشاركة فى مؤتمر الصلح فهى الدول المنهزمة : ألمانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا والدول المحايدة وروسيا ، ويرجع استبعاد روسيا إلى خروجها من الحرب من تلقاء نفسها ، وقد ساعد ذلك الحلفاء على وضع خريطة جديدة لأوربا الشرقية دون تدخل روسيا .

وقد بدأ المؤتمر جلساته فى ١٨ يناير ١٩١٩ ، ووقعت معاهدة فرساى مع ألمانيا فى ٢٨ يونيو ، وكانت آخر جلسة للمؤتمر فى ٢١ يناير ١٩٢٠ [٧٢] ، وكان أشهر أعضاء المؤتمر مندوبو الدول الكبرى ، حيث كان لكل منهم وجهة نظر ، وأشهر الشخصيات هذه :

١- جورج كليمنصو G.Clemenceau الفرنسى كان فى العقد التاسع من عمره ، فظ الأخلاق ، تمثلت فيه أطياف سياسات فرنسا القديمة : سياسات ريشيليو ومزران ولويس الرابع عشر ودانتون ، وكان يرى أن ألمانيا فى عام

١٩٤٠ سيكون لديها من الرجال الذين فى سن القرعة العسكرية ضعف ما سيكون لفرنسا ، لذا كان يرى تعويض فرنسا من أضرار الحرب ، وسلامتها فى المستقبل وطالب بمنح فرنسا قواعد على ضفتى الراين تكون لها بمثابة رؤوس حراب ، ولكن لقى معارضة قوية من جانب ويلسون ولويد جورج حيث أوضحا أن ذلك معناه " خلق ألزاس ولورين جديدين وبذر حرب مقبلة.

٢- لويد جورج L. George رئيس وزراء بريطانيا ، كان يميل إلى عدم إرهاق ألمانيا بتعويضات يستحيل الحصول عليها ، وكانت مهمته شاقة ، لأنه كان عليه أن يقرب مسألة الخلاف بين كليمنصو الذى يرغب فى استعمال مبدأ القوة وبين ويلسون الذى يرغب فى صلح يستند إلى النظريات الخيالية ، والمبادئ الفلسفية.

٣- ويلسون Woodrow Wilson الرئيس الأمريكى : و كان يرغب فى صلح يقوم أساساً على قاعدة من النظريات والمبادئ ، فهو فيلسوف نظرى موهوب العقل ، كما كان أستاذاً للقانون ، وكانت صلابته فى المؤتمر نعمة ونقمة ، فأحياناً كان المؤتمر ينزل على إرادته فتتحقق الآمال المنشودة ، وأحياناً كان يضع أحكاماً ، لا تصلح بحال من الأحوال فتصبح نقمة.

وقد حدد فى سلسلة من الخطب البليغة السامية المقاصد أهداف الحلفاء من الحرب ، وأبان فيها عن المؤسسات السياسية الجديدة التى رغب فى إنشائها بأوربا ، وأوضح أن العدو هو " روح العسكرية البروسية " وأن الهدف هو " جعل العالم مأموناً لقيام الديمقراطية " ومنه تعلم الحلفاء أنهم يجاهدون ، لا لإرجاع الإلزاس واللورين إلى فرنسا فحسب ، وإنما من أجل بعث دولة بولندية مجددة ذات اتصال بالبحر ، ومن أجل إقامة جمهورية جديدة فى تشيكوسلوفاكيا ، وهو الذى حدد " النقاط الأربع عشرة ، وهو الذى

تفاوض مع الحكومة الألمانية قبيل عقد الهدنة بخصوص التسليم ، وكانت ثمة نقطة ضعف وحيدة فى مركز الرئيس ويلسون وضح أمرها للأمريكيين ، وهى أنه لم يكن يمثل جميع مواطنيه ، فقد كان ديمقراطياً ومثالياً ، على حين أن الذين كانت بيدهم مقاليد الأمور فى الولايات المتحدة لم يكونوا لا هذا ولا ذاك ، ، وكانت هذه المعاهدات تحمل طابع مبادئ ويلسون ، فقد رسمت خريطة أوربا الجديدة طبقاً لمبدأ تقرير المصير.

٤- أورلندو **Orlando** رئيس وزراء بريطانيا كان عميق الفكر شعر بثقل مهمته فى المؤتمر ، خاصة وأنه وجد بجواره ثلاثة من السياسيين الذين لا تلين لهم قناة ، إذ وجد أن نصيب إيطاليا فى الحرب لم يتناسب مع آلامها وتضحياتها ، وكان ينظر إلى بلاده وما بها من فرقة فى الداخل ، وشعب مزقته الأحزاب المتناثرة ولذا فضل الانسحاب من المؤتمر تاركاً نائبه " سونينو **Sonnino** " ممثلاً لبلاده فى المؤتمر.

وفعلاً وقعت معاهدة الصلح فى صالة (المرايا) فى قصر (فرساى) فى ٢٨ يونيه ١٩١٩ ، واكتظت حدائق القصر بجمهور الناس ليلقوا نظرة على أقطاب السياسة الذين استعذبوا إذلال ألمانيا ، حتى لا تقوم لها فى المستقبل قائمة، أما عن شروط التسوية فكانت كالتالى :

١- شروط تسوية فرساى The Versailles Settlement مع ألمانيا :

بموجب معاهدة فرساى استعادت فرنسا الإلزاس واللورين ، وبالتالى حصلت على ثلاث أرباع إنتاج ألمانيا من الحديد ، كما حصلت على استغلال الفحم فى أقليم السار لمدة خمسة عشر عاماً على أن يوضع هذا الإقليم تحت إدارة عصبة الأمم أثناء هذه الفترة ، وأن يتحدد مصير تبعته باستفتاء عام يجرى فى عام ١٩٣٥ ، وقد جاء

الاستفتاء الذى أجرى فى تلك السنة لصالح ألمانيا ، لأن واحداً فى المائة فقط من سكان إقليم السار من غير الألمان ، كما تم الاتفاق على تجريد منطقة الراين إلى عمق خمسين كم من السلاح.

أن رغبة إنجلترا والولايات المتحدة كانتا تعارضان المخططات الفرنسية التى تهدف إلى الانتقام من ألمانيا ، بفصل أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين عن ألمانيا ويجعلها تكون تحت إشراف عصبة الأمم ، ولكن تخضع لاحتلال عسكرى مشترك من جانب الحلفاء، وهذا الحل وإن كان يضمن أمن فرنسا ، إلا أنه يتعارض مع مبادئ ويلسون ، لذا رفضته كل من بريطانيا والولايات المتحدة ، لأنه سيدفع ألمانيا إلى أن تفقد الأمل وتلقى بنفسها فى أحضان روسيا ، ولكن لويد جورج اقترح إبدال هذا الضمان الإقليمى بضمان عسكرى ودبلوماسى ، فألمانيا التى سينقص عدد قوات جيشها إلى ١٠٠,٠٠٠ جندى ، ستحرم من الطيران ومن الدبابات ومن المدفعية الثقيلة ، وستحرم من حق وضع قوات أو إنشاء تحصينات فى أقاليم الضفة اليسرى لنهر الراين.

كما اشترط المؤتمر أنه يجب أن تتخلى ألمانيا عن ممتلكاتها فيما وراء البحار ، وأن تسلم أسطولها لصالح الحلفاء وأن تدفع تعويضات حربية عظيمة ، وأن تدفع مبالغ طائلة لإصلاح ما دمرته الحرب ، وانتدبت لجنة متحالفة للإشراف على عملية نزع السلاح ، وكان مقرراً أن يُسلم الأسطول للبريطانيين فى ٢١ يونيه ١٩١٩ ، ولكن الضباط النوتية لم يطيقوا تلك الفعلة ، وبدلاً من أن يسلموه ، أفلتوا به وأغرقوا سفنهم عند سكابا فلو Scapa Flow على مرأى من البريطانيين.

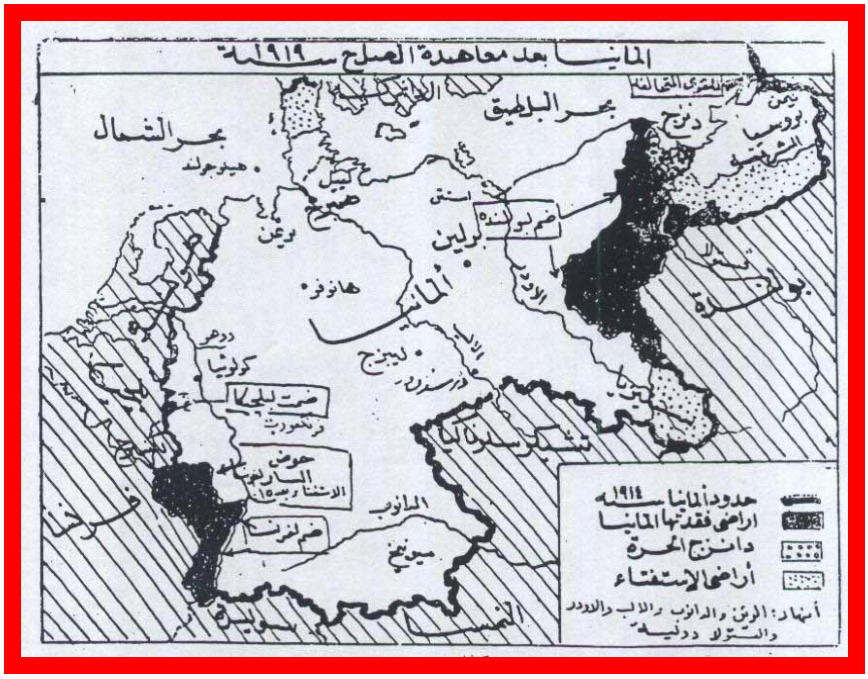

شكل رقم (٤) يوضح الحدود الألمانية بعد معاهد باريس ١٩١٩م

أيضاً بموجب هذا الصلح تخلت ألمانيا لبولندا عن بروسيا الغربية وإقليم بوزن ، ومن ناحية أخرى أصبح البولنديون يتصلون بالبحر مباشرة ، كما ضم إقليم سيليزيا لبولندا وإقليم شلزويج للدنمارك ، وبضياع سيليزيا من ألمانيا حرمت من أكبر مورد للزنك والرصاص ، كذلك حرمت من جميع مستعمراتها ، كما وضعت مصانع الذخيرة الألمانية تحت إشراف الحلفاء ، وأشرف الحلفاء على التعليم فى ألمانيا ، وتعهدت ألمانيا بأن تسلم معظم سفنها التجارية ومقدار كبير من الموارد الأولية كجزء من التعويض للحلفاء ، وحرم على ألمانيا تحصين الشاطئ الشرقى لنهر الراين ، أما الشاطئ الغربى فقد قرر الحلفاء احتلاله مدة لا تقل عن خمس سنوات ولا تزيد على ١٥ سنة وذلك للتحقق من أن ألمانيا تنفذ شروط الصلح بكل دقة.

وعلاوة على ذلك أرغمت ألمانيا على أن تعلن " أنها هى التى أشعلت نيران الحرب ، فكانت المسئولة عن جميع محنها وويلاتها ، ولم يكتف الحلفاء بذلك ، بل أمضوا فى

تأديب ألمانيا ، فتولوا محاكمة عدد كبير من زعماء ألمانيا ، واكتفوا فى المادة (٢٢٧) من المعاهدة باتهام " ولهلم الثانى Wleim 11 " إمبراطور ألمانيا السابق ، بارتكاب جريمة كبرى ضد الأخلاق الدولية ، وقدسية المعاهدات ، وقرروا محاكمته أمام محكمة خاصة ، ولكن الإمبراطور كان قد فر إلى هولندا التى رأت حماية لاجئها الكبير ورفضت تسليمه إلى الحلفاء.

٢- معاهدة سان جرمان مع النمسا ١٠ سبتمبر ١٩١٩ :

وفيها مزقت إمبراطورية النمسا والمجر تمزيقاً تاماً ، وبقى من ورائها دويلة صغيرة هى النمسا التى تعهدت بعدم الانضمام إلى ألمانيا وامتدت رومانيا امتداداً بالغاً وراء تخومها الشرعية حتى سويداء ترنسفانيا ، ومنحت بولندا معظم غاليسيا ، وعادت بوهيميا إلى الظهور بعد إضافة سلوفاكيا وموارفيا فظهر تحت اسم تشيكوسلوفاكيا ، وأصبح الصربيون والكرواتيون وسكان الجبل الأسود دولة يوغسلافيا الجديدة. وكانت النمسا أعظم الدول خسائر نتيجة لاندحارها فيها فقد ط وحت عاصفة الهزيمة بالأسرة المالكة والجيش والإمبراطورية ، ولم يبق من الإمبراطورية النمساوية ، (وهى الإمبراطورية العريقة الأصول التى حكمت دهراً طويلاً خمسة عشر جنساً ، وفرضت سطوة القانون على وسط أوربا) غير جمهورية صغيرة تألفت من ستة ملايين نسمة.

٣- معاهدة نايى مع بلغاريا ٢٧ نوفمبر ١٩١٩ :

تقلصت مساحة بلغاريا بموج هذه المعاهدة بعد أن فقدت تراقيا الغربية Thrace التى كانت قد انتزعتها من تركيا فى حرب ١٩١٣ وكانت تعتز بها لأنها منفذها إلى بحر إيجة ، وقد ضمت هذه المنطقة إلى اليونان ، كما سلمت ثلاث مناطق صغيرة فى حدودها الغربية إلى يوغسلافيا وهكذا أصبحت بلغاريا ، التى كانت تتطلع لزعامة دول

البلقان فى ١٩١٢ – ١٩١٣ من أصغر الدول فى تلك المنطقة، وقد فرض الحلفاء على بلغاريا تخفيض التسليح وتسليم الإسطول ، ودفع تعويضات باهظة.

٤- معاهدة تريانون مع المجر ، يونية ١٩٢٠ :

بدأ الحلفاء مفاوضاتهم مع المجر فى نفس الوقت الذى بدأت فيه المحادثات مع النمسا ، ولكن توقيع معاهدة تريانون مع المجر لم يتم إلا فى يونيه ١٩٢٠ ، وذلك لأسباب أدت إلى اضطرابات سياسية داخل المجر عطلت تكوين حكومة مستقرة يعترف بها المجلس الأعلى للصلح فى باريس .

وقد تسلم المندوون المجريون صورة المعاهدة المقترحة فى يناير ١٩٢٠ وبموجبها فقدت المجر حدودها القديمة التى وزعت على يوغسلافيا ورومانيا وتشيكوسلوفاكيا وانضم جزء منها إلى النمسا نفسها.

وحرمت المجر من المنفذ الذى كانت تعتز به على البحر وهو ميناء فيوم الذى ترك ساسة المؤتمر مصيره إلى المفاوضات اتى تقرر إجراؤها بين يوغسلافيا وإيطاليا ، وبذلك انكمشت مساحة المجر ، وأصبحت دولة مغلقة صغيرة المساحة بعد أن كانوا عشرين مليوناً ، واضطر ثلاثة ملايين مجرى إلى الانتماء إلى حكومات أجنبية بحكم سكنهم فى المناطق التى انتزعت من المجر ، كما يلاحظ أن شروط معاهدة تريانون تماثل نفس الشروط التى فرضت على النمسا فى معاهدة سان جرمان ، ورغم محاولة المندوبين الاحتجاج على تلك الشروط ، إلا أن معارضتهم ضاعت سدى ، واضطروا إلى التسليم ووقعوا المعاهدة فى " قصر تريانون " الكبير القريب من حدائق فرساى.

٥- معاهدة سيفر Treaty of Severs مع الدولة العثمانية ١٠ أغسطس ١٩٢٠ :

كانت هذه المعاهدة التركية عسيرة الإنشاء مستحيلة التنفيذ ، وقعت عليها حكومة تركية أسمية فى القسطنطينية ، ولكن حكومة تركية حقيقية أخرى تكونت فى أنقرة

ورفضت التوقيع عليها ، وغزا جيش رومى منطقة أزمير ، وكانت تركيا قد وقعت على معاهدة مودروس عام ١٩١٨ ، ثم عاد الحلفاء فأجبروها أن توقع على معاهدة سيفر محل المعاهدة الأولى ، وأقيمت فى القسطنطينية رقابة مشتركة للحلفاء (يناير ١٩٢١) وتبخرت حكومة القسطنطينية التركية ، وأنشأت الحكومة التركية الأساسية فى أنقرة علاقات سياسية مع البلاشفة فى موسكو ، وتواصل ازدياد عدوان اليونان الذى حاول الاستيلاء على القسطنطينية ، وشرعوا فى هجوم عظيم على أنقرة يرمون من ورائه إلى القضاء على الأتراك إلى الأبد ، وتهديد الملاحة بين مرمرة والبحر المتوسط وتقدم هجومهم حتى اقترب من أنقرة ثم تزلزل وتداعى أمام الأتراك ، وفر مع الجيوش حشود من السكان اليونانيين الآسيويين ، ولم يبق لليونان شئ فى آسيا، حيث كانت خسائر اليونان فى معركة (أين أوكى) على سبيل المثال ، فى ١١ يناير ١٩٢١ نحو ٤٠٠٠ قتيل و١٥٠٠ أسير ، وفى معركة (اين أونو ودوملوبينار) التى أراد بها اليونان الضغط على تركيا لقبول معاهدة سيفر بالقوة القهرية بلغ عدد قتلى_اليونانيين ١٣٠٠٠ قتيل ووصل إلى أثينا وحدها ٢٦٤١ جريحاً يونانياً عدا ما وصل إلى أزمير وبروسه وأزميد وباندرمه وغيرها وكانت هزيمة الي ونان منكرة.

وفى يناير ١٩٢٠ انعقد مجلس المبعوثان بعد أن كان قد تعطل لمدة عام ، وانتخب ر شاد حكمت بك رئيساً له فى فبراير ثم توفى وانتخب خلفاً له جلال الدين عارف بك فى مارس ، وقد شرح عارف فى خطبة له بمناسبة انتخابه رئيساً لمجلس المبعوثان ، الحالة النفسية للشعب التركى ومصير الخلافة الإسلامية الذى ارتبط بقرار الحلفاء بشأنها ، ثم أشار إلى الادعاء بوقوع مذابح فى أرمينية فى أطنة بأنها إدعاءات كاذبة ، وذكر شروط الهدنة وطلب السير على مقتضاها حتى يمضى عقد الصلح وأشار إلى مبادئ ويلسون وإلى أن الأمة العثمانية حيت بأسلحتها المنتصرين ومعهم هذه المبادئ ثم أظهر الثقة فى عدالة الحلفاء ومطالبتهم بالعمل بمبدأ الإنجيل " دع ما لقيصر لقيصر

" ، وختم خطبته بدعوة النواب أن يستمروا فى القيام بواجباتهم التى فرضتها عليهم الأمة و ذكر أن التاريخ رقيب عليهم .

وفى ٢٨ يناير أعلن مجلس المبعوثان (الميثاق الوطنى) الذى تضمن القواعد التالية :

١- تنازل الدولة العلية عن البلاد ذات الأكثرية العربية ويقرر مصيرها حسب إرادة سكانها .

٢- يعين مستقبل تراقيا الغر بية بواسطة استفتاء السكان منها .

٣- قبول القواعد الخاصة بحقوق الأقليات .

٤- أمان الآستانة وبحر مرمرة وصيانتها من كل سوء وقبول فتح البواغيز بشرط المحافظة على هذه القاعدة – لحرية التجارة والمواصلات الدولية .

٥- استفتاء السكان بشأن قارس واردهان وباطون المتنازع عليهم مع أرمينيا.

٦- الاعتراف بالاستقلال التام للدولة وحريتها التامة لترتقى حركتها الوطنية والاقتصادية .

الجدير بالذكر أن مجلس المبعوثان احتج على الاحتلال البريطانى للآستانة ودون هذا الاحتجاج فى محاضر جلساته ، ولم يكن من الممكن أن يتداول المجس ويصدر قراراته بجانب سلطة الحلفاء ، فقرر فى ١٩ مارس ١٩٢٠ إيقاف جلساته وتشتت أعضاؤه ، ثم اشتد الضغط على السلطان ففقد كل نفوذ وهيبة واستقالت وزارة صالح باشا فى ٣ أبريل لأنها لم تقبل مسايرة الحلفاء.

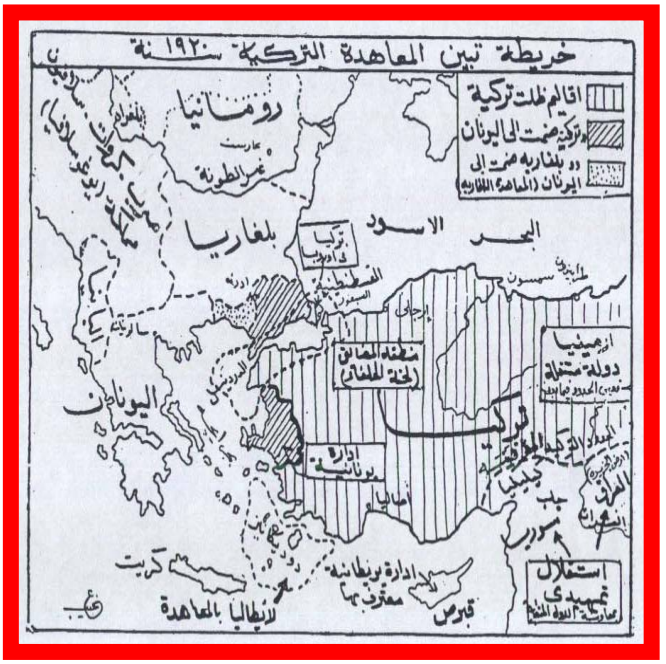

شكل رقم (٥)

وهو عبارة عن خريطة توضح معاهدة ١٩٢٠م

فى ٥ أبريل تألفت الوزارة الجديدة برآسة " الداماد فريد " المشهور بخصومته للحركة الوطنية وزعمائها وخضوعه للسياسة الإنجليزية . وكان شعار مصطفى كمال أتاتورك " تركيا للترك " وانضم إلى مؤامرة خلع السلطان عبدالحميد وكانت العبرة التى استخرجها من الحرب العظمى هى أن تركيا هزمت لأنها سمحت لنفسها أن تتورط فى حبائل الدول الغربية ، وأنها ظلت جامدة متأخرة لا تساير موكب الحضارة ، وأنها أنهكت قواها فى حكم الشعوب غير التركية ، ورأى العلاج فى ذلك التحرر من الحكم الأجنبى ، والإصلاح الداخلى ، وإذكاء روح القومية التى ترتكز على أسس تركية فى وطن الأتراك الأصلى ، فقد هلكت هلاكاً أبدياً المطامع الإمبراطورية القديمة التى تمثلت فى أنور باشا وعصابته ، فإن الأتراك أبعدوا من ضفة قناة السويس وطردوا من العراق وفلسطين وسوريا ، وألقى الأسطول البريطانى مراسيه فى مضيق الدردنيل ، وغدا السلطان دمية فى أيدى الساسة البريطانيين ، ولم يبق لمواطنيه سوى أسيا الصغرى.

وأقام أتاتورك حكومة فى ٢٤ أبريل ١٩٢٠ واتخذ أنقرة عاصمة له ، وأعلن انفصاله عن السلطان ، وصمم على أن يبدأ حياة جديدة لبنى وطنه فى هضاب الأناضول، وكانت سياسته تهدف إلى تحويل تركيا تحويلاً كاملاً دون النظر إلى أية عواقب نحو الأخير بطريقة الحياة الغربية فقد ظهرت فى تركيا تشريعات خاصة بتحرير المرأة واستخدام الأبجدية اللاتينية بدلاً من الأبجدية الغربية وذلك خلال الفترة ما بين عامى ١٩٢٢ ــ ١٩٢٨.

وفى حين أن السلطان أصدر أوامره للقوات التركية بعدم مقاومة اليونانيين راح مصطفى كمال يجمع العون والتأييد لقضية الاستقلال التركى ، وعلى الرغم من أن الشعب التركى كان فى غاية الإرهاق بسبب دخوله فى حروب شبه مستمرة على مدى ثمانية سنوات إلا أنه قد أثير لمواصلة الكفاح بسبب التقدم اليونانى نحو الأراضى الرئيسية فى الأناضول ، وكان الشعب التركى يرفض الشروط القاسية الواردة فى معاهدة سيفر التى جعلت تركيا عاجزة ومحرومة من بعض أغنى أقاليمها ، والتى سمحت لليونان بموجبها أن تستولى على الجبهة الأوربية من الدردنيل وأزمير وإعطاء الأرمن حق إنشاء دولة لهم فى الأناضول ، وفى معركة " سقاريا " فى ٥ سبتمبر ١٩٢١ كان أتاتورك مع أركان حربه فى مدينة (ايستانوس) غربى أنقرة ، وعلى أثر هجوم الأتراك بأربعة أيام شعر اليونانيون بعجزهم وأخذوا يرتدون إلى الوراء واستطاع (عصمت باشا ونورالدين باشا وغالب باشا) أن يلقنوا الجيش اليونانى هزيمة منكرة ، حيث فقدوا فى هذه المعركة آلافاً عديد ة من الجنود وانتهت المعركة باندحار اليونانيين .

و فى ١٣ أكتوبر ١٩٢١ تم التوقيع على معاهدة " قارص " بين تركيا وروسيا والحكومات القافقاسية (أذربيجان والكرج وأرمينيا) ، وكانت المعاهدة بشأن توطيد العلاقات بين تركيا وهذه الحكومات وإزالة أسباب النزاع بينهم ، كما قبلت الجمهوريات

القافقاسية إلغاء الامتيازات الأجنبية فى تركيا ، وتركت تركيا ثغر باطوم ومدينتها والأراضى الخاصة بإقليم باطوم فى شمال الحدود التركية لحكومة الكرج بشرط : الحرية الدينية والمدنية لكل جماعة قاطنة فى هذه البلاد والاستقلال الداخلى الواسع لها ، ومرور التجارة التركية عبر هذا الثغر.

والخلاف حول مصير الدولة العثمانية كان خلافاً قديماً منذ منتصف القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، حول ما أطلق عليه اسم " المسألة الشرقية " ، لذا فإنه عندما انضمت الدولة العثمانية إلى ألمانيا بدأ الحلفاء يتفاوضون حول تقسيم تلك الدولة وتركتها فتمت عدة اتفاقيات خلال الحرب دلت على تقسيمها ، ولأول مرة تقبل بريطانيا ، قبل الانقلاب الشيوعى فى روسيا ، أن تستولى روسيا على القسطنطينية ، وعلى الأجزاء العثمانية فى أوربا وبعض الجزر فى بحر إيجه وجميع الجزر التى فى بحر مرمرة وعلى الساحل الأسيوى فى البسفور أما بريطانيا وفرنسا فقد كانت أنظارهما موجهة نحو الشرق الأوسط ، ووضعت بريطانيا أنظارها على جنوب العراق وعلى ساحل فلسطين ، أما فرنسا فتطلعت إلى ساحل سوريا وولاية إطنة.

أما إيطاليا فكانت تطمع فى الاستيلاء على جزر الدوديكانيز فى بحر إيجة ، وقد تنازلت تركيا بموجب معاهدة سيفر على سيادتها على الشعوب غير التركية التى كانت تحكمها واعترفت بالدول الجديدة التى نشأت من الحرب فى مصر والسودان وقبرص وبحر إيجه ، وبالحماية الفرنسية على المغرب وتونس ، وتنازلت من كل حقوقها فى بلاد العرب وسوريا ، وفلسطين والعراق ، وذلك فى المؤتمر الذى عقده الحلفاء فى " سان ريمو " بإيطاليا فى ١٥ مايو ١٩٢٠ ، تقرر وضع العراق وفلسطين بعد ذلك تحت الانتداب البريطانى ، مع الالتزام بتنفيذ وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسى ، واضطر فريد باشا إلى أن يقبل فى ١٠ أغسطس بتوقيع معاهدة سيفر بعد أن هدده الحلفاء بإخراج الأتراك من

أوربا كلها إذا ما رفض ، والواقع أن هذه المعاهدة كانت تعنى لو نفذت بحذافيرها ، القضاء على وجود الأتراك القومى أيضاً ، ذلك بأنها لم تقض بسلخ الولايات العربية عن الإمبراطورية العثمانية فحسب ، بل قضت بأن تمنح إزمير والأقسام الداخلية التابعة لها إستقلالاً داخلياً ، وأن تصبح أرمينيا دولة مستقلة ، ووافقت الدولة العثمانية على أن تستولى اليونان على بعض الجزر العثمانية فى بحر إيجة ، وعلى جانب من تراقيا الشرقية ، ويكون حكم دولى خاص لمضيقى الدردنيل والبسفور ، وتحديد القوات العثمانية بما لا يزيد عن خمسين ألف مقاتل ، ويلغى الأسطول العثمانى عدا بعض السفن لمراقبة المصايد ، وأن تسيطر الدول المتحالفة على الموانئ والطرق المائية والخطوط الحديدية ، وفى نفس الوقت تم الاتفاق بين الحلفاء على أن تُعطى قيليقية وكردستان الجنوبية لفرنسا ، وعلى أن يعطى الأناضول الجنوبى حتى منطقة إزمير لإيطاليا.

٦- معاهدة لوزان ٢٤ يوليه ١٩٢٣:

وفى مؤتمر لوزان عام ١٩٢٣ تمكن عصمت باشا من إضعاف معاهدة سيفر وخلع الامتيازات الأجنبية ، وقد استند عصمت باشا فى ذلك المؤتمر على رجال الدولة الفرنسية ومساندتهم السياسية والحربية ، ولم يقف فوز فرنسا عند القضية التركية والبولونية ، بل وفى احتلال مقاطعات الراين أيضاً وإجبار ألمانيا على دفع الأقساط المالية فى أوقاتها.

انشغل الأتراك بإنقاذ ما يمكن إنقاذه من بلادهم فى مواجهة إنجلترا وفرنسا وإيطاليا واليونان والتخلص من القيود التى فرضها عليهم المنتصرون فى اتفاقيات سيفر ولوزان حتى استطاع أتاتورك أن يبنى جمهورية تركية علمانية تضم الأناضول كله وقطعة صغيرة على الجانب الأوربى تضم استانبول التى لم تعد مقراً للخلافة إذ ألغى أتاتورك الخلافة فى عام ١٩٢٤ ونقل العاصمة إلى أنقرة.

وفى النهاية توصل أتاتورك إلى معاهدة لوزان فى ٢٤ يوليه ١٩٢٣ التى أنهت حالة الحرب وحددت الحدود مع بلغار يا واليونان ، ودعت إلى تحديد للحدود التركية العراقية والتركية – السورية ، ووافق الحلفاء على إلغاء الامتيازات الأجنبية ، كما تم توقيع (ميثاق المضايق) الذى يضمن حرية المرور فيها زمن السلم والحرب ، وبمقتضى هذه المعاهدة تم جلاء القوات الفرنسية والبريطانية والإيطالية عن الأراضى التى كانت تحتلها من الجمهورية التركية الجديدة.

الفصل الرابع

أوروبا بين الحربين

أسدل الستار على الحرب العالمية الأولى عندما وقعت ألمانيا الهدنة مع الحلفاء يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ ، وانتهت بذلك أكبر حرب عالمية إلى ذلك الحين ، فقد اشتركت فيها ثلاثون دولة واستمرت أربع سنوات ونصف ، وقد أدت تلك الحرب إلى تغيير كل شئ اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً ، فالحرب نار تخرب وتعمر ، تهدم وتبنى.

ومن الناحية الاقتصادية ، فقد تهدم نظام الاقتصاد الأوربى الذىكان له دور مسيطر فى حياة العالم الاقتصادى قبل الحرب ، ففيما يختص بالقوى الأوربية المنتجة ، فإن النظام الاقتصادى الأوربى فقد فى الحرب ثمانية ملايين ونصف ممن تتراوح أعمارهم بين ٢٠ و ٤٠ عاماً ، أى ممن يمثلون القوى العاملة الأساسية ، وفيما يختص بوسائل الإنتاج ، فقد دمرت الحرب المصانع والآلات وحتى الأرض ، ومن ناحية الإنتاج نفسه ، فقد رصدت الدول المحاربة جميع مواردها الخام لحاجة الحرب التى استمرت أربع سنوات ونصف ، وعندما انتهت الحرب كان الطلب على المواد الأولية والغذائية والمصنوعات الاستهلاكية يتجاوز العرض بكثير ، كما دمرت الحرب معظم الخطوط الحديدية ، فضلاً عن وسائل النقل الرية والبحرية. وكان لمعاهدات الصلح بعد الحرب أثرها اقتصادياً ، فقد أثرت تعديلات الخريطة الأوربية الجديدة فى توزيع المواد الأولية ومصادر الطاقة بين الدول ، وعرقلت الحواجز الجمركية العلاقات التجارية ، وظلت عملية استيراد المواد الأولية من خارج أوربا صعبة نتيجة لضعف وسائل الدفع.

ورغم أن العالم قد تغلب فى عام ١٩٢٣ على أزمة التأقلم فى أوربا وفى خارجها ، إلا أن أوربا كانت بعيدة عن أن تستعيد المكان الذى كانت تحتله قبل عام ١٩١٤ فى

الاقتصاد العالمى ، وابتداء من عام ١٩٢٤ امتدت عملية استعادة الأوضاع الاقتصادية الطبيعية إلى أغلب أنحاء العالم. نتج عن معاهدة فرساى مع ألمانيا إلى اقتطاع أراضى غنية من ألمانيا – لصالح فرنسا مقابل التعويضات المفروضة على ألمانيا وهى إقليم الراين ووادى الروهر عام ١٩٢٣ لاستثمار المناجم التى بها ، وهى مشكلة مقترنة بالأزمة الاقتصادية ، حيث قصد بها إرهاق ألمانيا حتى تأمن فرنسا شرها ، ونتج عن ذلك إثارة الشعب الألمانى فأضرب عمال المناجم فى تلك المناطق بتحريض من الحكومة الألمانية ، مما أدى إلى اشتباكات دموية ، ولكن فرنسا سيطرت على الموقف فى الوقت الذى ترتب عليه انهيار فى الاقتصاد الألمانى ، وفى عام ١٩٢٤ تمت تسوية مشكلة التعويضات على أساس الجلاء الفرنسى عن الروهر وتقديم قرض كبير لألمانيا وإنشاء مصرف مركزى ألمانى ، على أن موضوع التعويضات وكان سببه المباشر " ألمانيا " أدى إلى أن دافعى الضرائب الفرنسيين يسخطون على الألمان عندما ارتفعت ضرائبهم فقيل لهم أن ألمانيا ستدفع التعويضات ، وخدع الفرنسيون ولم ينالوا سوى اللوم الأدبى لطلبهم تعويضات ، ولما رأى الفرنسيون ذلك قاموا بسلسلة من التنازلات فى التعويضات لإرضاء الألمان ، وفى النهاية تخلت فرنسا عن أى دعوى بشأن التعويضات. واجهت ألمانيا أزمة اقتصادية أخرى ، وهى مشكلة التضخم النقدى ، نتيجة لإصدار كميات هائلة من الماركات وتدهور قيمة المارك ، حتى أصبح لا قيمة له ، على أثر احتلال فرنسا لمنطقة الروهر ، وفقد الكثيرون ثرواتهم ، خاصة أفراد الطبقة المتوسطة ، ووقفت حركة التجارة ، ورفض الفلاحون نقل منتجاتهم إلى المدن ، وأغلق معظم التجار محلاتهم التجارية، مما كان له أكبر الأثر على الاقتصاد الألمانى حيث خلق أزمة اجتماعية فى البلاد .

ناهيك عما فقدته ألمانيا فى الحرب : نحو ١٥ % من قوتها العاملة (مليون و ٧٠٠ ألف) واستنفذت أثناء الحرب مخزونها من المواد الأولية ، وفقدت أسطولها التجارى الذى صادره الحلفاء ، أما مصانعها فقد بقيت سليمة ، بل أنها كانت تستحوذ

فى نهاية الحرب على أجهزة تفوق ما كانت تملك عام ١٩١٤ بفضل ما أنتجت من صناعات حديثة ، كصناعة البترول التركيبى ، والحرير الصناعى وذلك لعدم اجتياح الحرب للأراضى الألمانية إلا فى بداية سبتمبر ١٩١٤ فى جزء صغير من بروسيا الشرقية . مما لا شك فيه أن ما أصاب ألمانيا أصاب جميع الدول الأوربية ولكن بدرجات متفاوتة ، وبطبيعة الحال كانت ألمانيا فى المقدمة لأنها المتسببة فى ذلك ، أما فرنسا فكانت أيضاً خسائرها جسيمة لأنها كانت مسرحاً للحرب ، فقد فقدت ٢٠ % من قوتها العاملة (مليون و ٣٥٠ ألف) وتعطل فيها ما يقرب من أربعة ملايين هكتار (١٠ ملايين فدان) من الأرض ، وأصبحت بحاجة إلى إصلاح لتعود صالحة للزراعة.

حددت لجنة التعويضات بتأثير فرنسا وبلجيكا ، مجموع التعويضات التى تفرض على ألمانيا بمبلغ ٦,٦٠٠ مليون جنيه ، ولكن كان من الأساليب التى استقر رأى الألمان عليها للتملص من دفع دين مستحيل خيالى كهذا أن يعملوا على تدهور قيمة عملتهم ، على أن التضخم المالى سلاح غير مأمون ، وهو معرض لأن يفلت زمامه من سيطرة الحكومات إذا التُجئ إليه ، فقد بلغت قيمة الجنيه الإنجليزى فى أول يناير ١٩٢٣ نحو ٨٠ ألف مارك ثم تضاعفت هذه القيمة فضاعت بذلك ثروات طائلة ، وقد لفتت صفة المأساة النقدية وضخامتها أنظار العالم إليها ، مما أدى إلى سوء الموقف الاقتصادى العام بين فرنسا وألمانيا ، وقد قضى الجيش الفرنسى لحوض الروهر على الصناعة الألمانية ، كما حالت المقاومة السلبية لعمال المناجم وأصحابها دون انتفاع فرنسا بهذه " الضمانات المنتجة ".

أما بالنسبة لبريطانيا فقد حدثت بها أزمة اقتصادية حادة عام ١٩٢٠ ولمدة عامين ، قبل أن تعود إلى حالة الاتزان الاقتصادى، رغم أن خسائرها فى الحرب لم تكن كبيرة مثل ألمانيا وفرنسا فقد بلغ ما فقدته من رجالها العاملين ١٠ % فقط ، وبقيت غالبية

آلاتها سليمة ، ولكن المشكلة المالية فيها كانت مستفحلة بسبب استدانتها مبالغ جسيمة من الولايات المتحدة تقرب من ستة آلاف مليون دولار.

وكان إضراب العمال عام ١٩٢٦ واسع النطاق وحيث أعلنت تجمعات عمالية عديدة تأييدها لإضراب عمال المناجم وهى : عمال السكك الحديدية والنقل ، وعمال المطابع ، وعمال مناجم الحديد والصلب ، وعمال البناء ، كما أض رب بعض المشتغلين فى الميدان التجارى ، وأصبح الإضراب الوسيلة التى تكشف مدى صلابة العمال فى مواجهة أصحاب رؤوس الأموال والدولة ، ورغم صمود حكومة المحافظين أمام هذا التكتل العمالى ، عن طريق إدارة المحطات والمراكز الصناعية والسيطرة على أحواض الشحن والتفريغ والمواصلات الداخلية ، فإن سيطرتها لم تكن كافية بسبب تفتيت الأحزاب ، لذا أصدرت الحكومة مرسوماً فى عام ١٩٢٧ بعد شرعية الإضطرابات المؤيدة أو الإضرابات التى تحرج الحكومة ، وتهدد الأمة.

أما روسيا فقد بلغت خسائرها فى القوى البشرية عدة ملايين ، وتوقف كثير من مصانعها ، وتوقف تصدير الحاصلات الزراعية وأصابها شلل فى النقل. أما بالنسبة للولايات المتحدة فقد كانت المستفيد الأول من الحرب بسبب حاجة الدول الأوربية المتحاربة والمحايدة إليها ، مما جعلها أكبر تاجر فى العالم ، وبسبب دخولها الحرب متأخرة ، وابتعاد أراضيها عن مسرح الحرب ، فقد تضاعف إنتاجها الزراعى والصناعى والتعدينى وقفزت صادراتها بين ١٩١٣ و١٩١٨ من ثلاثة آلاف مليون دولار إلى سصتة آلاف مليون تقرياً ، وفى عام ١٩١٩ كان فى يد الولايات المتحدة نصف الذهب العالمى ، وكانت دائنة للدول الحليفة بـ عشرة آلاف ملي ون دولار.

☒ ظهور الدول القومية الجديدة

إذا كان إنشاء عصبة الأمم من أهم التغييرات التى ظهرت على المسرح السياسى العالمى بعد الحرب ، فإن إرضاء المشاعر القومية لشعوب أوربا الوسطى والشرقية

مما لم يسبق له مثيل ، يعتبر من أهم التغييرات التى شهدها هذا المسرح أيضاً. وهذه الظاهرة تمثل أهم فارق بين مؤتمر فيينا ١٨١٥ ومؤتمر الصلح ١٩١٩ ، ومن الواضح أن تجاهل المشاعر القومية وإغفال إرادة الشعوب طوال القرن التاسع عشر قد ظل يحرك الأحداث فى أوربا بالحركات القومية والدستورية ، ولكن يرجع الفضل فى إقرار القوميات فى مؤتمر الصلح ١٩١٩ إلى نضال القوميات الطويل على طول القرن التاسع عشر من أجل تحقيق وحدتها وحريتها ، كما يرجع إلى مبدأ تقرير المصير الذى جاء فى مبادئ الرئيس ويلسون فى أثناء الحرب.

وبناء على مبدأ الحقوق فى تسويات الصلح يسرت المعاهدات لبعض الأمم لأن تصبح دول ، فبعد الحرب العالمية الأولى وسقوط الإمبراطورية الروسية ، بقى الأوكرانيون محرومين من حرية تقرير مصيرهم ، وظلوا مقسمين وخاضعين لأمم " أعلى تطوراً وأكثر وعياً قومياً " الروس والألمان فوق كل شئ ، والتشيك والرومانيين أيضاً ، وقد منحوا شيئاً من الحكم الذاتى داخل الاتحاد الاشتراكى للجمهوريات السوفيتية ، الذى تحولت إليه الإمبراطورية الروسية ، ولكن البولنديين أنكروا الحكم الذاتى على الأوكرانيين الكثيرين عندهم مع نمو وعيهم القومى بفضل توطنهم السابق فى أوستريا ، وهو الحكم الذاتى الذى وعدتهم به القوات المتحالفة المنتصرة فى ١٩١٩ ، بل أن الإدارة البولندية قد رفضت أن تطبق عليهم أقل حقوق الأقلية فى أن يستعملوا اللغة الأوكرانية وهو الحق الذى منحه لهم مجلس الحكم البولندى فى ١٩٢٤.

☒ قيام النازية فى ألمانيا

فى ٢٨ سبتمبر ١٩١٨ لم يعد الجيش الألمانى قادراً على مواصلة الحرب ، فطلبت القيادة العليا للجيش من القيصر " وليم الثانى William 11 " التقدم إلى رئيس الولايات المتحدة بطلب الهدنة والصلح وقد قبل وليم الثانى التنازل عن العرش فى ٩

نوفمبر ١٩١٨ وفى ذلك الوقت كانت القوى السياسية تحرك الثورة وتتمثل فى الاشتراكيين الديمقراطيين Social Democrats والسبارتاكيين Spartacists

وبعد هزيمة ألمانيا فى الحرب انهار النظام القديم وحدثت فى البلاد عدة ثورات داخلية ، تحولت ألمانيا بعدها إلى النظام الجمهورى ، واعتقد الزعماء الألمان أن الوقت قد حان لإدخال النظم الديمقراطية ووضع دستور للبلاد يضمن لها البعد عن الديكتاتورية الروسية التى لا تؤمن إلا بالحرب ، وفى ربيع عام ١٩١٩ تم انتخاب الجمعية التأسيسية من مختلف الأحزاب واجتمعت الجمعية التأسيسية فى " فايمار Weimar " وأصدرت ألمانيا دستوراً عرف " بدستور فايمار The Weimar Constitution " أقر الحكم الجمهورى ، وانتخب الزعيم الاشتراكى " فردريك أيبرت Friedrich Ebert " رئيساً للجمهورية ، وحاول الشيوعيون قلب نظام الحكم ، كما حدث فى روسيا بعد هزيمتها ، ولكن الحكومة استطاعت أن تقضى على محاولات الشيوعيين ومؤامراتهم ، ثم لقيت معارضة من الرجعيين ، من أحزاب اليمين الذين تمكنوا من الاستيلاء على برلين ، وفر الرئيس " أيبرت " إلى " درسن ثم إلى شتوتجارت " ولكن هذا الانقلاب لم يلق نجاحاً ، حيث تمكنت حكومة فايمار من العودة إلى الحكم من جديد وقد نتج عن معاهدة فرساى تمزيق الأمة الألمانية بين أكثر من دولة مجاورة ، وتطلع الألمان إلى استعادة وحدتهم ، كما ترتب عنها اقتطاع أراضى ألمانية غنية ، ومطالبة فرنسا بالحصول على التعويضات ، وهى مشكلة مقترنة إلى حد بعيد بالأزمة الاقتصادية ، وقد ترتب عليها احتلال فرنسا للراين والرور (الروهر) ١٩٢٣ مقابل تعهد ألمانيا بدفع التعويضات المقررة ، وفى ١٩٢٤ تمت تسوية مشكلة التعويضات على أساس الجلاء الفرنسى عن الرور وتقديم قرض كبير لألمانيا وإنشاء مصرف مركزى ألمانى ، وقد دفعت ألمانيا جزء من التعويضات مما أدى إلى إعادة النظر من قبل الحلفاء فى طبيعة العلاقات مع ألمانيا.

وفى نفس الوقت أراد بعض الفرنسيين إصابة ألمانيا بالخراب إلى الأبد وتمنى آخرون لو أن التعويضات لم تدفع لكى تبقى الجيوش المحتلة فى الراين ، وقيل لدافعى الضرائب الفرنسيين أن ألمانيا ستدفع بالنسبة للحرب وكانوا ساخطين على الألمان عندما ارتفعت ضرائبهم ، وخدع الفرنسيون فى النهاية ولم ينالوا سوى اللوم لطلبهم تعويضات ، ولما رأى الفرنسيون ذلك قاموا بسلسلة من التنازلات فى التعويضات لإرضاء الألمان وفى النهاية تخلوا عن أى دعوى بشأن التعويضات.

وتمادى الألمان فى إظهار مزيد من عدم الرضا ، انتهى بالفرنسيين إلى تنازلات فى ميادين أخرى – غير نزع السلاح وتميز الفرنسيون فى سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية بنقص فى الثقة فى قادتهم وفى أنفسهم.

وفى صيف ١٩٢٩ جرت مفاوضات أدت إلى إنهاء احتلال قوات الحلفاء لأرض الراين بتاريخ ٥ يونيه ١٩٣٠ ، كما تخلت فرنسا عن الرقابة على نزع سلاح ألمانيا ، ومن ناحية أخرى طالب الألمان بإعادة إقليم السار إلى ألمانيا ورفع الحظر من تسليح الراين ، وأن تبرهن فرنسا على أنها دولة مسالمة من خلال تخفيض قواتها المسلحة، وقد ظلت أحوال ألمانيا معرضة لأزمات داخلية سياسية واقتصادية واجتماعية مهدت فى نهاية المطاف لظهور " أدولف هتلر Adolf Hitler " وحزبه النازى على مسرح السياسة الألمانية الدولية.

اضطلع هتلر بأعباء منصبه الجديد بحماسة ، وأنشأ على التعاقب حزب العمال الألمانى ، ثم حزب العمال الألمانى القومى الاشتراكى ، وهو اختصار الذى تحول إلى الحزب القومى الاشتراكى " الحزب النازى " ، الذى أصبح هتلر رئيساً له ، وكان ذلك الحزب يقدم لناس توليفة مخلطة تجمع بين الاشتراكية والوطنية ومهاجمة اليهود والنشاط الإرهابى والوعود الضخمة ، وفى ١٩٢٣ أخذ الحزب القومى الاشتراكى ينمو بنسب هائلة ، كما كون هتلر تحالفاً مع الجنرال لودندورف الذى كان يثير عند الناس دائماً فكرة خوض حرب انتقامية ، فحدث عصيان فى محاولة طائشة للاستيلاء على السلطة فى ميونيخ والزحف على برلين ، ولكن الحركة فشلت حيث جرح هتلر فى ذراعه من رصاص البوليس ، وأخذ لودندورف أسيراً ، ودخل هتلر سجن لاندسبرج لمدة ستة أشهر ، كتب فيها كتابه " كفاحى Mein Kampf " ، قال عنه " ولز " أنه كتاب أمى أشبه بإنتاج تلامذة المدارس ، كتاب رخيص تافه وفى ١٩٣٠ / ١٩٣١ خر النظام بأجمعه منهاراً بسبب الكساد العالمى الكبير ، وهنا وافت هتلر فرصته الثانية ، وكانت أدواته المباشرة هى حركات الشباب التى ازدهرت فى ألمانيا.

☒ إيطاليا الفاشية

توطد النظام الفاشى فى إيطاليا تدريجياً منذ أكتوبر ١٩٢٢حتى ١٩٢٩ حين وضعت أغلب مؤسسات الدوة الأساسية كل فى مكانها بعد أن خرج الإيطاليين من مؤتمر

الصلح من معاهدة فرساى دون أن يحققوا أهدافهم التوسعية ، فقد انتهت الحرب بخيبة أمل ريطانيا إزاء موقف الحلفاء المعارضين للأطماع الإيطالية ، وإزاء الأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها البلاد بعد الحرب ، وقد عانت إيطاليا من نقص شديد فى الحديد والفحم وعدم توازن الميزانية وارتفاع الأسعار ، ونقص كبير فى الكميات المعروضة من المواد الغذائية وإزاء هذه المشاكل تعددت الاضطرابات فى ١٩١٩ – ١٩٢٢ ، ولكن الاضطرابات كانت دليلاً على حالة الروح الثورية .

وبالرغم من الفوائد التى حصلت عليها إيطاليا فى مؤتمر السلام ، إلا أنها كانت تشعر بخيبة أمل ، حيث منعت معارضة الرئيس ويلسون إيطاليا من الحصول على ما كانت تهدف إليه فى قضية البحر الإدرياتيكى ، كما قاومت كل من بريطانيا وفرنسا الأطماع الإيطالية ، ولكن الأسباب الداخلية كانت أهم فى أصل الحركة الفاشية.

ولما كان البرلمان الإيطالى ينتخب بطريقة التمثيل النسبى ، وتعددت الأحزاب الإيطالية وكثرت ، وضعفت الو زارات ، ولكن شطراً وافراً من النشاط الذى كان ينبغى أن يخصص لبحث المسصائل القومية الكبرى ، ضاع سدى فى سفسطات ومناقشات عقيمة ، مما أدى إلى بروز " بنيوتو موسيلينى " فى سماء إيطاليا ، الذى كان أول أعماله تأليف حزب يشد أزره وسماه " الحزب الفاشستى Fascisti " عام ١٩١٩ الذى نما وازدهر فى مقر جريدة كان يصدرها فى ميلان ، وبسط نفوذه وسيطرته على الدهماء ، وأخذ الفاشست الذين ارتدوا قمصاناً سوداء يغتالون أحياناً خصومهم ، وأحياناً يضربونهم ، وأحياناً يجبرونهم على تجرع زيت الخروع ، وأحياناً يهجمون بالطريقة الإيطالية القديمة على بيت أحد الأحرار ، ويعملون فيه يد النهب والتخريب ووجد الحزب الفاشستى فى جنود الحرب القدامى الساخطين بسبب أهمال أمرهم ، أتباعاً ومريدين ينضمون إلى فرقه.

وفى ٣٠ أكتوبر ١٩٢٢ زحف موسولينى على روما وقبض على زمام الدولة واحتفظ للملك بسلطاته الاسمية ، وأصر موسولينى على أهمية الدولة التى يجب أن تكون سيادتها مطلقة وفعالة ، وأكد عزمه على إعادة عظمة إيطاليا ، وأعلن مخططاته منذ أن قدم تصريحاته العامة الأولى بعد استيلائه على السلطة ، ورأى أن معاهدات الصلح ليست أبدية ، ومن الواجب إعادة النظر فيها فى اليوم الذى يظهر أنها لا تتمشى مع الحقائق ، ومن هذه النظرة المتشائمة نبتت مبادئ العمل ، فمن ناحية يجب على الحكومة الإيطالية أن تسيطر على البحر المتوسط ، وقفزت مشكلة الأدرياتيك إلى الصف الأول من بين هذه الأهداف المتعلقة بالبحر المتوسط ، ومن ناحية ثانية ، سيكون إعادة إنشاء النمسا والمجر خطراً على المصالح الإيطالية ، لأن هذا الاتحاد لن يتردد فى التوسع تجاه الأدرياتيك · ويقول تايلور : " الفاشية لم تملك أبداً الدفعة التى لا تزحم ، ودع جانباً القوة المادية للاشتراكية الوطنية أن كل شئ عن الفاشية خداع ، فالمأزق الاجتماعى الذى أنقذت منه إيطاليا خدعة ، والثورة التى قبضت بها على الحكم

كانت خدعة ، أما قدرة موسولينى وسياسته فكانت خدعة جميعاً ، كان الحكم الفاشستى فاسداً عاجزاً ، وكان موسولينى نفسه أكذوبة متبجحاً خاطئاً بلا أفكار أو أهداف ، وعاشت إيطاليا الفاشية فى حالة من إنعدام الشرعية ، وأنكرت السياسة الفاشستية الخارجية منذ البداية ، مبادئ جنيف، وفى ١٩٢٣ ضم موسولينى جزر الدوديكانيز ، وفى ١٩٢٤ استولوا على فيوم.

https://drive.google.com/file/d/1IeveLCYGuiXft76bJVEk8XUXbsawTjLY/view?usp=sharing

الفصل الخامس

الأزمة الدستورية في بريطانيا عام ١٩٣٦م

في الوقت الذي سقطت فيه معظم عروش القارة الأوروبية عقب الحرب العالمية الأولى، زادت الملكية في بريطانيا قوة وتمكناً في نفوس الشعب البريطاني؛ حيث أن ملك بريطانيا يتمتّع بمركز سامي يستمدّه من الإمبراطورية التي هو رمزها ونقطة الاتصال بين أجزائها، وقد وضحت المكانة التي يشغلها العرش في عام ١٩٣٥م عندما احتفل الشعب بمرور خمسة وعشرين عاماً على تتويج الملك "جورج الخامس" "George V" (١٩١٠-١٩٣٦)م؛ ذلك الاحتفال الذي أظهر البساطة والروح القوية التي تمتّع بها الملك وزوجته "الملكة ماري"، غير أن تلك المكانة قد تعرّضت لصدمة غير مسبوقة في العام التالي مباشرة بعد وفاة جورج الخامس حيث حاول ابنه الملك الجديد "إدوارد الثامن""Edward VIII" الزواج من أمريكية مطلقة تدعى مدام "واليس سيمبسون" "Wallis Simpson"، محدثاً بذلك أزمة دستورية زعزعت عرش الإمبراطورية البريطانية وأثارت عاصفة من التساؤلات عن حقوق الملك وواجباته في ظلّ دستور غير مكتوب، وهو ما ستتناوله الدراسة بالتفصيل.

وُلِد "إدوارد ألبرت كرستيان جورج أندرو باتريك ديفيد" "Prince Edward Albert Christian George Andrew Patrick David" في ٢٣ يونيه عام ١٨٩٤م، وعُرف بين أسرته باسم "ديفيد". كان إدوارد يتمتع بجاذبية ظاهرية منذ طفولته، غير أنه قد أثبت منذ صغره تمرده على الموروث الملكي الذي كان يملي عليه كل تصرفاته؛ فكان إدوارد يعترض على ارتداء الملابس الرسمية والالتزام بالتقاليد الملكية حتى أنه تذمّر ذات مرة وهو في سن العاشرة قائلاً: " كنت

أتمنى لو لم أكن أميراً". لم يكن من الغريب أن يكبر إدوارد ليصبح كارهاً لقيود الملكية غير مكترثاً بواجباته والتزاماته كوليّ للعهد؛ حيث اعتاد في شبابه حضور الحفلات الراقصة في الملاهي الليلية وفي بيوت أصدقائه، فضلاً عن شغفه بالصيد وسباق الخيل، مما لفت أنظار العامة إلى وليّ العهد الذي يتصرف بطيش وحرية لم يعتادها الشعب الانجليزي المحافظ. وعلى الرغم من ذلك ازدادت شعبية الأمير إدوارد عندما رأى الجميع اهتمامه البالغ بشئون الدولة أثناء الحرب العالمية الأولى حيث طلب بإلحاح شديد المشاركة في صفوف القتال، إلا أنّ ذلك لم يكن مسموحاً لوليّ عهد بريطانيا؛ ليس خوفاً على حياته فحسب، بل أيضاً خوفاً من أن يُؤخذ أسيراً فيكون بذلك ورقة ضغط رابحة لدى الأعداء. ونزولاً على رغبة الأمير الشاب تم تكليفه ببعض المهام الإدارية التي نجح في آلية تنفيذها بدقة، هذا بالإضافة إلى حرصه على زيارة جرحى الحرب للتخفيف عنهم. بالأخذ في الاعتبار العديد من تصرفات إدوارد الطائشة قد تكون رغبته الشديدة في المشاركة في الحرب درباً من التهور والرغبة في تجربة كل ماهو ممنوع، وليست بالضرورة برهاناً على وطنيته وانشغاله بهموم دولته.

بينما كان جورج الخامس في فراش الموت، قام ولي العهد إدوارد بإلغاء توقيت "ساندرينجهام" "Sandringham" الذي كان معمولاً به في بريطانيا منذ عام ١٩٠١م؛ فكانت هذه بداية غير موفقة لوليّ العهد الشاب الذي استفز رجال الحكم ولفت نظرهم مبكراً لطبيعته المتمردة الكارهة للتقاليد الملكية. يجدر الذكر أن رئيس الوزراء "ستانلي بولدوين" "Stanley Baldwin" كان حينها في سنّ السبعين ووزير المالية "نيڤيل تشامبرلين" "Neville Chamberlain" في أواخر الستينات، بينما كان إدوارد الثامن في الأربعين من عمره، لم تكن تلك الفجوة بين الأجيال في صالح الملك الشاب الذي لم يلق الحماس المتوقع من رجال الدولة بسبب صغر سنّه وعلاقاته غير اللائقة مع العديد من السيدات المتزوجات، لذا رأى رجال

الدولة أنه ينبغي على إدوارد أن يلتزم بكل مسئوليات وتقاليد منصبه الجديد كملك لعرش بريطانيا مهما كان كارهاً لتلك التقاليد.

اعتلى إدوارد الثامن العرش في ٢٠ يناير عام ١٩٣٦م وتنازل عنه في ١٠ ديسمبر من نفس العام، ورغم انشغال العالم بأسره بالقضايا الكبرى التي وقعت في هذا العام- مثل غزو إيطاليا لإثيوبيا والحرب الأهلية الإسبانية وازدياد التحركات النازية في أوروبا- إلاّ أن اهتمام الحكومة والشعب البريطاني كان منصبّاً على قضية زواج ملكهم الشاب، ورغم أنّ "قانون الزواج الملَكي" "Royal Marriages Act" الصادر عام ١٧٧٢م اشترط أن يحصل أفراد الأسرة الملَكيّة على موافقة الملك في حال رغب أحدهم في الزواج، إلا أنه أغفل تحديد مواصفات وإجراءات زواج الملك نفسه، ممّا ساهم في تصعيد أزمة زواج الملك إدوارد.

ازدادت شعبية إدوارد في بريطانيا والأراضي الخاضعة لها عندما كان وليّاً للعهد، حتى أنه اشتهر باسم "الأمير الساحر" "Prince Charming" بين الأجيال الشابة التي عقدت آمالاً كبيرة على الملك الشاب ذو الآراء العصرية، غير أن تولّيه العرش لم يكن على هوى رجال الدولة نظراً لمعرفتهم بشخصيته المتمردة وتصرفاته الطائشة التي لا تتناسب مع مفهومهم التقليدي عن التاج البريطاني، فقد تحدث رئيس الوزراء بولدوين مع زعيم المعارضة "كليمنت أتلي" "Clement Attlee" في حفل تنصيب الملك عن قلقه تجاه مدى استعداد الملك الشاب للالتزام بسياسة الدولة، فلم يقتنع بولدوين بكفاءة إدوارد لتولي الحكم، كما لم يعجبه جرأة إدوارد في التعبير عن آرائه في القضايا السياسية دون الرجوع لمستشاريه، خاصة فيما يتعلق بتأييده لخلق علاقات ودية بين بريطانيا وألمانيا وهو الأمر الذي تسبب في خلق عداوة شديدة بينه وبين كثير من رجال الدولة. أما عن أعضاء الطبقة الارستقراطية فلم يعجبهم

المستوى المنحدر لذوق إدوارد خاصة فيما يتعلق بمرافقة السيدات المتزوجات، حتى أنهم وصفوا قصر باكينجهام بأنه "ملهى ليلي على الطراز الأمريكي".

على الرغم من شعبية الملك إدوارد لأسباب عديدة منها جاذبيته وتواضعه واستعداده لكسب أصدقاء من كافة الطبقات بالإضافة إلى حرصه على تحسين أحوال الشعب، إلّا أنه لم يمتلك التفكير أو المنطق السليم سواء في اختيار أصدقائه أو في تعبيره عن آرائه السياسية، ولم يتعامل مع الملَكيّة بنفس التقدير مثل والده جورج الخامس الذي حظي بحب وتقدير الشعب البريطاني كونه تجسيداً لقيم ومبادئ العصر الفيكتوري. ارتبط إدوارد في حياته بثلاث علاقات حب قوية قبل أن يتعرف على الأمريكية واليس سيمبسون؛ كانت أول علاقة له عام ١٩١٥م بسيدة متزوجة تدعى "الليدي كوك" "Lady Coke" والتي كانت تكبره باثنى عشر عاماً واستمرت علاقته بها لثلاث سنوات. أما علاقته الثانية فكانت أيضاً مع سيدة متزوجة تدعى "فريدا دودلي وورد" "Freda Dudley Ward" والتي تعرّف عليها صدفة في حفل راقص في مارس عام ١٩١٨م أثناء إجازته من الجيش واستمرت علاقته بها لمدة ستة عشر عاماً. أما العلاقة الثالثة وهي الأشهر فكانت مع سيدة أخرى متزوجة أيضاً وهي"الليدي فيرنيس" "Lady Furness"– وشهرتها "ثيلما"- التي قدمت بنفسها لاحقاً مدام واليس سيمبسون إلى إدواردون أن تتوقع أن تحل الأخيرة محلها بين عشية وضحاها.

وُلِدَت "بيسي واليس وارفيلد" "Bessie Wallis Warfield" في عام ١٨٩٦م في مدينة "بالتيمور" "Baltimore" بولاية ميريلاند الأمريكية وكانت تنتمي لعائلة من الطبقة الوسطى. تزوجت واليس للمرة الأولى في الولايات المتحدة، وعندما فشل زواجها ذهبت إلى أوروبا حيث تعرفت على زوجها الثاني "إرنست سيمبسون" "Ernest Simpson". قابل إدوارد مدام واليس سيمبسون للمرة

الأولى عن طريق عشيقته الثالثة فيرنس التي طلبت من سيمبسون أن تراعي الأمير وتقوم بتسليته أثناء غيابها خارج انجلترا لعدة شهور في ربيع عام ١٩٣٤م؛ ومن هنا نشأت علاقة الحب بين إدوارد ومدام سيمبسون، وعندما اعتلى إدوارد العرش كانت علاقتهما قد توطّدت تماماً.

لم تفهم واليس سيمبسون الإجلال الذي تتمتع به الأسرة المالكة بسبب نشأتها وانتمائها الطبقي، لذلك لم تُعامل إدوارد بالوقار والتقدير الذي اعتاد عليه مما جعله ينجذب إليها رغم جمالها المتواضع، وازداد ارتباطه بسيمبسون عندما بدأت صداقتهما تتوطد؛ حيث اندهش أصدقائهم في إحدى الحفلات التي كان دائماً ما يقيمها إدوارد حينما ضربته سيمبسون على يده بطريقة مازحة لتوبّخه أمامهم لمجرد أنه تذوّق الطعام دون استخدام شوكة. استغلّت سيمبسون فهمها لشخصية إدوارد الضعيفة وفرضت سيطرتها وذوقها الشخصي على استراحته المفضلة في "فورت بيلفيدير" "Fort Belvedere"فقامت بطرد بعض الخدم وأعادت ترتيب المنزل بالكامل، بل تجرأت سيمبسون ذات مرة في إحدى حفلات إدوارد في "قلعة بالمورال" "Balmoral Castle" باسكتلندا وسارعت لتستقبل أخيه "ألبرت دوق يورك" "Albert, Duke of York"- الذي سيخلف إدوارد لاحقاً ليصبح "الملك جورج السادس" "King George VI"- وزوجته "إليزابيث" "Elizabeth" فور وصولهما وكأنها سيدة المنزل، مما أغضبهما كثيراً، حتى أن ألبرت قال أنه قد "خسر صديقه الأقرب بوفاة والده الملك جورج الخامس والآن هو على وشك خسارة صديقه الآخر"، مشيراً إلى إدوارد الذي تمادى في منح سيمبسون صلاحيات ليست من حقها. يجدر الذكر هنا أن دعوة إدوارد لسيمبسون للإقامة في قلعة بالمورال أثار غضب الأسرة المالكة والمجتمع الانجليزي بأسره نظراً للأهمية التاريخية التي حظيت بها بالمورال حيث أنها كانت الاستراحة الخاصة للملكة فيكتوريا ومن بعدها الملكة ماري- والدة الملك إدوارد-؛ لاشك أن تقديس المجتمع البريطاني للعائلة الملكية لم يكن في صالح

سيمبسون على الإطلاق حيث جعلها ذلك دائماً في وجهة نظر الجميع منبوذة لأنها لا تنتمي لتلك الطبقة.

في رحلة الملك إدوارد وأصدقائه على يخت "ناهلين" "Nahlin" في صيف عام ١٩٣٦م التقط بعض الصحفيّين صوراً له في زي السباحة مع سيمبسون؛ ومن هنا انتشرت الشائعات خاصة عندما لوحظ غياب زوج سيمبسون عن الرحلة. ورغم أن الصحافة الانجليزية تناولت تلك الأحداث بأسلوب موضوعي، إلّا أن الصحافة الأمريكية قد سارعت في نشر الشائعات مرفقة بصور الرحلة مع تغطية مستمرّة للعلاقة التي تطورت سريعاً بين الملك وسيمبسون. هكذا بدأ اسم واليس سيمبسون يتردد كثيراً في الدوائر المحيطة بالملك الشاب الذي أصرّ على تقديمها إلى المجتمع الملكي، فقام بدعوتها أكثر من مرة إلى حفلات البلاط في حضور رئيس الوزراء والوزراء وغيرهم من رجال الدولة. كان هدف إدوارد أن يمهد تدريجياً لمدام سيمبسون أن تكون ملكة انجلترا، فكانت الخطوة الأولى لتحقيق ذلك هو تهيئة سيمبسون اجتماعياً وتقديمها للمجتمع الارستقراطي؛ لذا قام إدوارد بدعوتها في حفلة بقصر "سينت جيمس" "St. James" في ٢٧ مايو عام ١٩٣٦م؛ حيث ظهر اسمها في صحيفة البلاط الملكي للمرة الأولى ضمن قائمة المدعوين، وكان الغرض من دعوة سيمبسون لتلك الحفلة كسر الحاجز بينها وبين بولدوين، وهو مالم يتحقق.على الرغم من ذلك حاول إدوارد مرة أخرى وقام بدعوة سيمبسون دون زوجها في حفلة عشاء أخرى مما لفت أنظارهم وأثار فضولهم وزادت التساؤلات والشائعات حول طبيعة العلاقة بين الملك وسيمبسون. وعلى الرغم من تعوُّد الجميع على علاقات إدوارد الطائشة مع سيدات متزوجات، إلا أن رجال الحكومة قد رأوا حتماً أن تلك التصرفات لا تليق به الآن وقد أصبح ملكاً للبلاد والإمبراطورية بأسرها، فيجب أن تتماشى سلوكياته مع قدسية هذا المنصب.

☒ موقف الحكومة /رئيس الوزراء

كانت سيمبسون بالنسبة للحكومة الانجليزية تُمثل خطراً على الأمن القومي البريطاني، فكيف لهم أن يضمنوا ولائها لملكهم ولبلادهم وهي أمريكية؟ ليس هذا فقط، بل كانت هناك شكوك حول تعاونها مع جماعات سرية في ألمانيا حيث حاولت السفارة الألمانية أكثر من مرة التقرب من سيمبسون وكسب صداقتها، وقامت أيضاً بدعوتها مع الأمير إدوارد إلى عشاء فاخر في ١٠ يوليو ١٩٣٥م. كما حاول سفير ألمانيا "يواخيم فون ربينتروب" "Joachim von Ribbentrop" - وهو أحد قيادات ألمانيا النازية- كسب ودها ولكنها لم تكن تظهر له مودة على الإطلاق. لذا كانت سيمبسون وأصدقائها تحت المراقبة باستمرار، بل كانت المراسلات التي تتم بين الحكومة والملك تحت رقابة شديدة من الحكومة لضمان عدم وصول سيمبسون إليها، أما عن المراسلات المُوجهة إلى الملك في فورت بيلفيدير فقد كانت تُرسل أولاً إلى وزارة الخارجية "Foreign Office" لحجب أية معلومات غاية في السرية.

بدأت علاقة الملك بسيمبسون تمثل مصدر تهديد حقيقي لدى الأسرة المالكة ورئيس الوزراء بولدوين و"رئيس أساقفة كانتربيري" " Archbishop of" Canterbury، عندما تقدمت سيمبسون بطلب الطلاق من زوجها في ٢٧ أكتوبر عام ١٩٣٦م، وحصلت بالفعل على موافقة المحكمة على إنهاء إجراءات الطلاق في ٢٧ أبريل عام ١٩٣٧م؛ فقد تأكد للجميع حينها أن هناك نية مُبيّتة للزواج بين الملك وسيمبسون وأنه يجب على الحكومة أن تتدخل قبل انتشار الخبر وتصاعد الأزمة. تحدث بولدوين مع الملك بشكل صريح مقترحاً عليه أن يطلب من مدام سيمبسون تأجيل طلب الطلاق في الوقت الحالي، ولكنّ الملك رفض ببساطة شديدة قائلاً أنّ هذا من شأنها فقط ولا يحقّ له التدخّل لمجرّد أنه صديقها. رغم أن ردّ الملك جاء هادئاً واثقاً، إلا أنّ حديث بولدوين قد أثار قلقه بالفعل تجاه الرأي العام تحديداً حيث أرسل إلى "اللورد بيفربروك "Lord Beaverbrook" وطلب منه المساعدة في منع الصحف من متابعة أخبار طلاق سيمبسون حتى لا يكون ذلك سبباً في إثارة الرأي العام

ضدها؛ أي أن يظنّ الناس أنها تحاول أن تمهّد الطريق لإدوارد حتى يقدم على الزواج منها، وبناءً عليه قام بيفربروك بمراسلة العديد من الصحف في انجلترا وأيرلندا وفرنسا لحظر نشر أية أخبار عن طلاق سيمبسون. يجدر الذكر أنّ الصحافة البريطانية- رغم أنها حرة وغير خاضعة للحكومة وتعبّر عن اتجاهات مالكيها- اختارت التزام الصمت الشديد تجاه علاقة الملك بسيمبسون لسببين؛ أوّلاً تجنّب المسائلة القانونية بتهمة السبّ والقذف، وثانياً احترام الصحافة الانجليزية للحياة الخاصة للملك. وحتى الصحف الأمريكية التي اهتمت بمتابعة أخبار الملك مع سيمبسون- والتي أسمتها جريدة التايمز "الملكة والي" "Queen Wally"- كانت تصل إلى بريطانيا دون الصفحات التي تتناول أخبارهما. وهو ما دفع النائب الاشتراكي "إلين ويلكينسون" "Ellen Wilkinson" إلى توجيه سؤالاً رسمياً إلى السير "والتر رانسيمان" "Walter Runciman" رئيس لجنة التجارة بمجلس العموم عن الصحف الأمريكية المرموقة التي تصل إلى لندن بعد تمزيق ثلاث أو أربع صفحات منها، فما كان من السير رانسيمان إلا أن ردّ قائلاً : "لا علاقة للجنتي بهذا الأمر".

على الرغم من كلّ التدابير التي اتخذها إدوارد للتعتيم على أخباره مع سيمبسون ظهرت الشائعات التي أفادت أن سيمبسون قد افتعلت بالاتفاق مع زوجها سبباً يضمن لها الطلاق، ألا وهو الزنا حيث كان ذلك هو السبب الوحيد الذي يسمح به القانون الانجليزي، ومن أهم الدلائل التي رجّحت تواطؤ زوج سيمبسون معها هو مجموعة من الخطابات السرية التي اكتشفت مؤخراً بين سيمبسون وزوجها، حيث كشفت تلك الخطابات عن علاقة ودّية بينهما حتى أنها راسلته قبل موعد جلسة طلاقهما بيومين تشرح له كيف هي "خائفة أكثر من أي وقت مضى وأن الصحافة الأمريكية قد تسببت لها بضرر كبير".

تلقى الملك خطاباً من سكرتيره الخاص "أليكساندر هاردنج" "Alexandre Hardinge" في الثالث عشر من نوفمبر في استراحته في فورت بيلفيدير كُتِبَ عليه "عاجل وسري"، وقد أثار الخطاب غضب الملك لما تَضَمنّه من تحذيرات حادّة اللهجة مُفادها ما يلي:

- أنّ الصحافة البريطانية لن تسكت طويلاً عن علاقة الملك بمدام سيمبسون، خاصة بعد انتشار الأخبار في الصحافة الأجنبية.
- أنّ المواطنين الانجليز المغتربين أرسلوا خطابات عديدة بعد وصول الشائعات إليهم أظهروا فيها رفضهم وغضبهم الشديد، مما ينذر بعواقب كارثية إذا ما أصرّ الملك على إتمام الزواج.
- أنّ رئيس الوزراء وكبار أعضاء الوزارة يبحثون رد الفعل المناسب تجاه التطور المحتمل في العلاقة بين الملك وسيمبسون؛ وأن الحكومة ستستقيل إذا ما تمسّك الملك بزواجه منها، وحينها سيتوجب على الملك إيجاد بديل قادر على تشكيل وزارة جديدة في ظل موافقة مجلس العموم الذي أجمع على رفض زواج الملك منذ البداية.
- أنّ الحل الوحيد للخروج من الأزمة الحالية هو سفر السيدة سيمبسون خارج البلاد فوراً.

لم يكن هناك مفرّ في نهاية الأمر من حدوث صدام بين الملك وبولدوين الذي علم في السادس عشر من نوفمبر بنيّة الملك في الزواج من سيمبسون. أدرك إدوارد على الفور أن عليه أن يحارب في أكثر من جبهة ليتمكن من الحفاظ على عرشه في نفس الوقت الذي يتزوج فيه من المرأة التي أحبها.

حدثت المواجهة الأولى بين رئيس الوزراء بولدوين والملك في استراحة فورت بيلفيدير في العشرين من أكتوبر ١٩٣٦م بعد انتشار أنباء عن نية سيمبسون الجادة

في طلب الطلاق من زوجها إيرنست سيمبسون؛ تحدّث بولدوين إلى الملك في البداية بمودة مؤكداً إعجابه بشخصية إدوارد، وكيف أنه يمتلك كل مواصفات الملك الجيد فيما عدا أنه مازال أعزب، أكمل بولدوين قائلاً: "أن قناعاته قد تبدو قديمة للملك الشاب ولكنه يعلم تماماً أن الشعب البريطاني ليس راضياً عن سلوك الملك في الفترة الأخيرة وأنهم يتوقعون منه مستوى أرقى من ذلك". كما حذر بولدوين الملك أنه قد وصلت إليه خطابات كثيرة من رعايا انجليز خارج وداخل بريطانيا تؤكد استيائهم من علاقة الملك بالأمريكية واليس سيمبسون وذلك مما وصل إليهم من الصحافة الأمريكية، على الرغم من ذلك لم يذكر بولدوين صراحة أنّ هناك تخوف لدى الجميع من وجود نية لدى الملك للزواج منها، بل اكتفى بالتلميح عن عدم تقبُّل الرأي العام لشخصية سيمبسون لكونها أمريكية من طبقة وسطى ومطلقة مرتين. لاشك أن حساسية الموضوع والخوف من المواجهة وتحمل العواقب منعت كلاً من بولدوين والملك على حد سواء من كشف أوراقهما والحديث بشكل صريح عما يدور في ذهنيهما؛ فعلى الرغم من عدم وجود ما يمنع الملك من الناحية الدستورية من الزواج بمن يرغب طالما أنها ليست كاثوليكية أدرك إدوارد جيداً ضعف موقفه، في الوقت الذي علم فيه بولدوين قوة موقفه؛ غير أن إدوارد كان على يقين أنه في حالة حدوث نزاع بينه وبين الحكومة سيحصل بالتأكيد على تأييد الشعب خاصة الأجيال الشابة.

بعدما عَلِمَ بولدوين بنية إدوارد للزواج من سيمبسون كان ردّ فعله عنيفاً حيث حذر الملك من زواجه بها مؤكّداً أن هذا الأمر يكاد يكون درباً من المستحيل وأن الحكومة والشعب البريطاني بأسره لن يقبلوا أن تُصبح أمريكية مطلّقة ملكة لبلادهم؛ فضلاً عن أن إدوارد بصفته الرئيس الأعلى للكنيسة لم يكن مقبولاً منه على الإطلاق أن يتزوج من مطلقة، كما أخبره بولدوين صراحة أن أقلّ واجباته تجاه شعبه أن يختار لهم ملكة تحوذ على إعجابهم واحترامهم. لم يكتف بولدوين بذلك بل أسرع لحشد الأصوات ضد الملك فتحدّث مع كل من زعيم المعارضة كليمنت آتلي ورئيس مجلس اللوردات

"فسكونت هاليفاكس" "Viscount Halifax" وآخرين ليضمن معارضتهم لقرار الملك. حصل بولدوين بالفعل على تأييد كبير من البرلمان والكنيسة ودول الدومينيون وحتى من المعارضة، حيث اجتمع في الخامس والعشرين من نوفمبر مع زعماء المعارضة ليخبرهم أن حكومته ستستقيل لو صمّم الملك على الزواج، فأكد زعماء حزبي الأحرار والعمال بدورهم أنه إذا ما حدث ذلك سيرفضون الاعتراف بالحكومة البديلة تأييداً منهم لموقف بولدوين. ربما ظنّ إدوارد أنه لم يستطع إقناع بولدوين بسبب فارق السن الكبير بينهما، فطلب من بولدوين ترتيب لقاء مع بعض أعضاء الحكومة من صغار السنّ ممن توقع أن يتعاطفوا مع موقفه؛ غير أن كل محاولات الملك لإقناعهم باءت بالفشل.

على الجانب الآخر توسّط "إزموند هارمزورث" "Esmond Harmsworth"- أحد أصدقاء الملك العاملين في مجال الصحافة - في الحادي والعشرين من نوفمبر لعرض اقتراح "الزواج المرغنطي" " Morganatic Marriage" على مدام سيمبسون، والتي وافقت بعد تردد على الفكرة كحلّ أخير لإرضاء الحكومة. أما الملك والذي كان مقتنعاً تمام الإقتناع بصلاحية سيمبسون لتكون ملكة بريطانيا، فلم يتقبّل فكرة الزواج المرغنطي إلا بعد أن أنذره بولدوين باستقالة الحكومة إذا أصرّ على الزواج منها وجعلها ملكة للبلاد، كما أنه اقتنع بعد التفكير في الأمر أن الأهم هو زواجه من المرأة التي يحبها بغض النظر عن الطريقة؛ لذا شعر إدوارد بالتفاؤل لبعض الوقت معتقداً أن اقتراح الزواج المرغنطي سيلاقي بالتأكيد قبولاً لدى الحكومة، ذلك لأنه سيحقق رغبة الملك دون أن تصبح سيمبسون ملكة للبلاد وهو وبالتالي الحل الأمثل لإرضاء كل الأطراف، على الرغم من ذلك حذر اللورد بيفربروك الملك من اقتراح الزواج المرغنطي على الحكومة مؤكداً له أنه ليس للحكومة ولا لرجال السياسة قول في زواج الملك، حيث أن الدستور أعطاه الحق في اختيار زوجته دون الرجوع للحكومة، فرأى بيفربروك أنه إذا عرض إدوارد الفكرة على الحكومة

طالباً موافقتها سيرفضونها بحجة أنها ليست منصوص عليها في القانون الانجليزي ولم تكن لها سابقة داخل بريطانيا، وأنه إذا أراد الملك أن يتزوج فينبغي عليه أن يختار زوجة تنطبق عليها القوانين الحالية للدولة.

أصرّ إدوارد على عرض الفكرة على رئيس الوزراء بولدوين في لقاءه به يوم الخامس والعشرين من نوفمبر، وقد طلب منه رأيه الشخصي ولكن بولدوين رفض أن يدلي برأيه قائلاً أنه لم يفكر في الأمر بعد ولكنه على استعداد لعرض الأمر رسمياً على البرلمان ودول الدومينيون إذا أراد الملك ذلك، وهذا ما حدث بالفعل. ولكن الموقف ازداد تعقيداً عندما تحدَث بولدوين في البرلمان مؤكداً أنه ليس من السهل أن يقبل البرلمان تشريع قانون فوري ليسمح بهذا النوع من الزواج في بريطانيا خصّيصاً لصالح الملك، مما أدى إلى حشد أصوات البرلمان جميعها ضد اقتراح الملك. بينما كان ذلك هو المبرر الظاهري لرفض بولدوين، إلا أن السبب الحقيقي لرفضه الزواج المرغنطي هو عدم ثقته في سيمبسون حيث علم جيداً أنها لن ترضى بوضع أقل من ملكة انجلترا، وقد كتب تشامبرلين في مذكراته أنه هو أيضاً كان على يقين أن الزواج المرغنطي مجرد خطوة لسيمبسون داخل القصر الملكي وسرعان ما ستكون هناك محاولات للإرتقاء بها إلى منصب ملكة انجلترا، وبالتالي تكون لها ولأبنائها كافة الحقوق الملكية. لذا عرض رئيس الوزراء الاقتراح على البرلمان في جلسة مجلسة العموم بتاريخ ٤ ديسمبر، وأكّد في خطابه أنّ الزواج المرغنطي ليس له أي أساس دستوري، وأنّ قانون الزواج الملكي الصادر عام ١٧٧٢م لم ينصّ على أي شرط لزواج الملك نفسه، إنما اشترط موافقة الملك الرسمية على زواج أي فرد من الأسرة الملكيّة.

على الرغم من عدم وجود أي شرط بقانون عام ١٧٧٢م يحدّد مواصفات زوجة الملك نفسه، حاول بولدوين بذلك الخطاب المتناقض إقناع الجميع أنّ مفهوم

الزواج المرغنطي لا يتماشى مع فحوى قانون الزواج الملكي الذي يفترض ضمناً أن زوجة الملك هي أيضاً لابدّ أن تصبح ملكة، وأن تمتد إليها بالضرورة كافة امتيازات زوجها، لذلك خوفاً من أن يستغل إدوارد قانون الزواج الملكي لاحقاً ليضمن لسيمبسون صلاحيات أكثر يوماً بعد يوم حاول بولدوين تعقيد الأمر أكثر أمام البرلمان فأكّد أنّ الحلّ الأوحد لمشكلة الملك هي أن تقترح الحكومة تشريع جديد، "وهو ما لسنا على استعداد له نظراً لضرورة موافقة دول الكومونويلث جميعها على مثل هذا التشريع"، وبالفعل أكّد بولدوين للبرلمان أن رؤساء وزراء الدومينيون في كندا وأستراليا وجنوب أفريقيا رفضوا رفضاً قاطعاً أن يتزوج الملك من سيمبسون مهما كان نوع الزواج. في نهاية الأمر بعد الحملة التي قادها بولدوين رفض البرلمان بالطبع تشريع قانون الزواج المرغنطي وازدادت الأمور تعقيداً، على الرغم من ذلك جاء رد فعل إدوارد هادئاً ولم يحتجّ على رفض البرلمان، وكانت هذه أولى علامات انهزام إدوارد حيث لم يظهر أية مثابرة أو إصرار على الحفاظ على عرشه، بل لجأ إلى الحل الأسهل وهو الرحيل.

بعد رفض البرلمان لفكرة الزواج المرغنطي تصاعدت الأزمة وسارعت الصحف في ترويج الشائعات عن رحيل الملك الذي أصبح حتمياً؛ ففي الهند نشرت صحيفة قومية باسم "أمريتا بازار باتريكا" "Amrita Bazaar Patrika" على لسان مراسلها في لندن أن الكنيسة والطبقة الارستقراطية قد انتصروا على الملك الذي وقع بالفعل على وثيقة تنازله عن العرش، وذكرت الصحيفة أيضاً أنّ الوزارة قد رتّبت بالفعل إجراءات تسليم العرش لخليفته دوق يورك على أن تتم مراسم التتويج في نفس الموعد الذي كان محدد مسبقاً لإدوارد وهو ١٢ مايو ١٩٣٧م، وأنّ إدوارد سيرحل ليتزوج من سيمبسون بعد حصولها على الطلاق النهائي ولكنه سيقوم ببثّ خطاب قبل رحيله من انجلترا، كما أكدت نفس الصحيفة أن إدوارد يحظى باحترام وتقدير الشعب في الهند، وعلى الرغم من ذلك فإن الديانة الهندوسية ضدّ الطلاق بالمرة وبالتالي لم تكن الهند لترضى عن زواج إدوارد من مطلقة، كما أكّدت صحيفة "بومباي

كرونيكل""Bombay Chronicle" أن هيبة بريطانيا ستتلقى ضربة قاصمة بسبب الأزمة الحالية، وأنه في حال زواج الملك إدوارد من سيمبسون وبقائه على العرش قد تخسر بريطانيا الهند لأنهم ضد زواج المطلقات (ملحق١). يجدر الذكر أن الحكومة البريطانية حاولت فرض رقابة شديدة على التلغرافات المرسلة من بريطانيا إلى الدومينيون تحديداً لحجب أية أخبار عن رحيل إدوارد حتى لا يكون هذا سبباً في تمرد الحكومات التابعة للعرش البريطاني.

لم يجد إدوارد التعاطف إلا من صديقين مقربين له وهما "داف كوبر" "Duff Cooper" وزير الحرب و"صامويل هور" "Samuel Hoare" وزير الخارجية السابق، حيث تعاطف كلاهما مع الملك، ولكن دون أي تشجيع يحثّه على الاستمرار في موقفه. وقد أكّد صامويل هور للملك أن رئيس الوزراء بولدوين لديه تأييد الحكومة الكامل، كما ذكر داف كوبر في مذكراته أنه اقترح على الملك التوقف عن مقابلة سيمبسون لمدة عام حتى يتم تتويجه رسمياً؛ فيكون حينها اعتاد على منصبه فلا يسهل عليه تركه، وربما يقابل غيرها في تلك الفترة كما حدث أكثر من مرة قبل ظهور سيمبسون في حياته، للأسف رفض إدوارد هذا اتباع لاعتقاده أنه من الخطأ أن يمر بتجربة لها قدسيتها وهي التتويج وارتقاء العرش دون التصريح لرعاياه عن نواياه الحقيقية.

من أبرز الشخصيات التي ساندت إدوارد في تلك الأزمة كان عضو البرلمان البريطاني عن حزب المحافظين ونستون تشيرشل حيث كانت تربطه علاقة وطيدة بالملك إدوارد رغم فارق السن. بدأت علاقة تشيرشل بإدوارد عام ١٩١١م عندما كان أميراً لويلز، وقد أثنى الأمير إدوارد على براعة تشيرشل في الإدارة العسكرية وأعجب أيضاً تشيرشل بإدوارد وحماسته، ومن هنا نشأت صداقة بين الطرفين تميزها الثقة والمودة. لجأ إدوارد في كثير من الأحيان إلى مساعدة تشيرشل في إعداد خطاباته منذ

كان أميراً وحتى تنازله عن العرش. كان موقف تشيرشل من الأزمة واضحاً منذ البداية حيث رفض رفضاً قاطعاً زواج الملك من امرأة مُطلّقة، ولكن في الوقت الذي اعترض فيه رئيس الوزراء بولدوين على مدام سيمبسون لكونها أمريكية - أكثر من كونها مطلقة- لم ينزعج ونستون تشيرشل من تلك الحقيقة، ربما لأن والدته كانت أمريكية مما مبرراً لعدم الثقة في سيمبسون. ولكنه رأى أنه لا مانع من استمرار علاقة الحب دون الحاجة للزواج. وعليه فقد تعرض تشيرشل للنقد الشديد من الحكومة ورجال السياسة بسبب موقفه الرومانسي وإصراره أن يُمنح الملك الوقت الكافي للتفكير في الأمر دون ضغط من الحكومة أو الرأي العام، فلم ير تشيرشل أن هناك حاجة لاتخاذ القرار بين عشية وضحاها، بل حاول إقناع الجميع أن منح الملك مهلة كافية قد يجعله يدرك أن علاقته بسيمبسون لا تختلف عن علاقته بغيرها وربما يقع في حب غيرها في تلك الفترة وتنتهي الأزمة من تلقاء نفسها.

تواصل المستشار الأقرب لإدوارد مع تشيرشل في يوليو ١٩٣٦م ليسأله عن رأيه في طلاق سيمبسون ثم ذهابها لقضاء إجازة مع الملك في بالمورال، وبالطبع رفض تشيرشل بشدة، بل حاول مع آخرين إقناع سيمبسون بينما كانت مقيمة في جنوب فرنسا بسحب طلب الطلاق لكنها رفضت، ورفض إدوارد اتباع نصائح تشيرشل الذي قرر بدوره الابتعاد عن الموقف. على الرغم من عدم تعاون مدام سيمبسون وعناد الملك إدوارد، وافق تشيرشل على التدخل مرة أخرى فطلب من مجلس العموم يوم السابع من ديسمبر عدم الضغط على الملك ومنحه الوقت الكافي لاتخاذ القرار الصائب، وحذّر من خطورة إجبار الملك على التنازل عن العرش حتى لا يضعف الوضع الدستوري للعرش البريطاني، ولكن لدهشته فوجيء تشيرشل برد فعل عدواني حيث صاح أغلب الأعضاء لإسكاته في وسط خطابه؛ وعلى الرغم من محاولته عرض وجهة نظره كاملة استمر الأعضاء في صياحهم حتى شعر في النهاية بالإهانة وغادر غاضباً دون أن ينهي خطابه. بعد لحظات قليلة في ساحة البرلمان اعترف تشيرشل لزميل له

من حزب المحافظين أنه يعتقد أن مسيرته السياسية قد انتهت بهذا الموقف، فقد ظن الجميع أن محاولة تشيرشل لكسب الوقت لصالح الملك هي محاولة لتحقيق طموحه السياسي من خلال الإطاحة برئيس الوزراء وقيامه بتشكيل حكومة بديلة مؤيدة للملك. لقد وصفت جريدة التايمز رد فعل البرلمان على دعم تشيرشل للملك بأنه أقوى وأعنف رد فعل في التاريخ البرلماني الحديث، وأن تشيرشل أضاع بدعمه للملك انجازاته المعروفة لدى الجميع؛ ليس هذا فقط، بل أن أمله في العودة إلى السلطة ضاع في ثلاث دقائق فقط هي مدة خطابه، وأن الكثير يرى الآن أنه لا يصلح كزعيم قومي لقلة بصيرته. كانت الأمة بأسرها معارضة لفكرة تأجيل قرار الملك لأكثر من عدة أيام، وعلى الرغم من موافقة سيمبسون أخيراً في التاسع من ديسمبر على سحب طلب الطلاق، إلا أن إدوارد أصبح بحلول ذلك الوقت أكثر إصراراً على الزواج منها.

لم يكن من السهل أن تظلّ سيمبسون صامتة وهي تشاهد عرش بريطانيا يُنزع من بين يدي إدوارد ويديها، وكانت على استعداد لفعل أي شيء لمنع إدوارد من التنازل عن العرش؛ فطلبت من الملك أن يخاطب الشعب مباشرة من خلال بثّ خطاب ودّي عبر الإذاعة يصرّح فيه برغبته في ممارسة حقه في الزواج ممّن يحب. قرر إدوارد بالفعل إذاعة خطاب موجّه إلى الشعب يطلب فيه تقدير موقفه والاعتراف بحقه في اختيار زوجة يحبها ويُعاملها الجميع بشكل يليق بزوجة الملك حتى وإن لم تصبح ملكة. نظراً لصلاحيات الملك المحدودة- والتي هي من أبرز ملامح نظام الحكم في بريطانيا - لم يكن إذاعة خطاب على الهواء مهمة سهلة حتى للملك نفسه؛ حيث اضطر إدوارد أن يرسل سكرتيره الخاص المساعد "جودفري توماس" "Godfrey Thomas" إلى المدير العام لإذاعة "بي. بي. سي." "السير جون ريث" "Sir John Reith" كي يطلب منه السماح للملك بإذاعة الخطاب في أقرب وقت، رحّب جون ريث على الفور ولكنه سارع بالسؤال عما إذا كان رئيس الوزراء وافق على ذلك أم لا، ردّ سكرتير الملك قائلاً : "هكذا ينبغي أن يتم الأمر على حدّ علمي" وعاد إلى الملك الذي فكّر سريعاً

في اللجوء إلى تشيرشل ليطلب منه المساعدة، غير أن هذا لم يكن سهلاً حيث توجّب على إدوارد أيضاً أن يحصل على موافقة رئيس الوزراء حتى تتسنّى له مقابلة تشيرشل بشكل رسمي. بالطبع لم يكن من المتوقع أن يوافق بولدوين على طلب الملك حتى لا تسنح الفرصة لعدوه اللدود -تشيرشل- أن يظهر بدور المُنقذ أمام الجميع ويخرج بالملك والإمبراطورية بأكملها من الأزمة، فقد كان بولدوين على قناعة تامّة أنّ الحلّ الأوحد للأزمة هو رحيل إدوارد نهائياً لأنه بالنسبة للحكومة لم يعد أهلاً لمنصب الملك خاصة في تلك الفترة الحرجة من تاريخ أوروبا.

لجأ إدوارد إلى صديقه اللورد بيفربروك فأرسل إليه نسخة من الخطاب الذي كان يأمل أن يحصل به على تعاطف الشعب الانجليزي والحصول على تأييده، وطلب منه مراجعته وإرساله إلى تشيرشل، وهو ما حدث بالفعل. وقد حذّر بيفربروك الملك من عرض الخطاب على بولدوين؛ ونصحه أن يطلب من بولدوين بإلحاح شديد الموافقة على إذاعة الخطاب ويؤكّد له أن هذا من أبسط حقوق الملك الدستورية. للأسف لم يستمع الملك إدوارد لنصيحة أصدقائه وتلى مسودة الخطاب كاملة في الرابع من ديسمبر أمام رئيس الوزراء بولدوين الذي أخبره بالطبع أن هذا الخطاب غير دستوري بالمرة وأنه لابد أن يستشير الوزارة أولاً؛ فانفجر إدوارد غضباً قائلاً: "أنت تريدني أن أرحل؟ أليس كذلك؟"، ردّ بولدوين بكل هدوء قائلاً: "أنا أريد ما قلت أنك تريده، وهو أن ترحل في هدوء دون أن تتسبب في انقسام الأمة حتى تجعل الأمور سلسة لمن سيخلفك". أنهى رئيس الوزراء ردّه بتهديد إدوارد أنه إذا ما أصرّ على إذاعة خطابه العاطفي على الشعب ستنقسم الأمّة بأسرها بين مؤيّد ومعارض وأنّ هذا ليس في مصلحة بريطانيا، كما حاول بثّ القلق في قلب إدوارد تجاه علاقته بسيمبسون فأخبره أن أحد المعارضين قد يقوم بتعطيل إجراءات طلاقها عمداً، وبالتالي لن يتمكن إدوارد من التواجد معها طبقاً للقانون الذي يمنعها من ممارسة أية علاقة حتى تتم إجراءات

الطلاق النهائية، في النهاية استجمع إدوارد جرأته وطلب من بولدوين السماح له بمقابلة تشيرشل ووافق بولدوين على غير المتوقع.

بعد حصوله على موافقة رئيس الوزراء بولدوين استدعى الملك إدوارد شيرشل في نفس اليوم إلى منزله بالقرب من "قلعة ويندسور" "Windsor"، وقد كان الملك في حالة مذرية وتحدث مع تشيرشل بخصوص إمكانية منحه أسبوعين للتفكير ملياً في المشكلة بعيداً عن أي ضغط، غير أن تشيرشل نصح الملك ألا يترك بريطانيا أثناء تلك المهلة حتى لا يظنّ الناس أنه ذهب لمقابلة سيمبسون، ولكنه طمأن الملك تماماً قائلاً أنه ليس هناك أي سلطة قد تحرمه من الوقت الذي يحتاجه، بل أخبره أن ستانلي بولدوين شخصية أبويّة ويعلم جيداً الضغط النفسي الذي يمر به الملك، وبالتالي لن يمانع في منحه شهر أو أكثر للتفكير حتى لا يتخذ القرار الخاطيء تحت الضغط المستمر من الحكومة والرأي العام. على عكس ما توقع تشيرشل، أكّد بولدوين أنه يجب حسم تلك القضية قبل رأس السنة، وأصرّ تشامبرلين بصفته وزير المالية على إعطاء الملك مهلة لا تزيد عن ثمانية عشر يوماً لأن الوضع الحالى يضرّ بالتجارة خاصة في هذا الوقت من العام حيث تمتليء الأسواق بالهدايا التذكارية التي تحتفي بالملك وأفراد أسرته. على الرغم من ذلك نصح ونستون تشيرشل واللورد بيفربروك الملك بتأجيل عرض الزواج في الوقت الحالي والتعهّد بأنه لن يقوم بالزواج إلا بعد موافقة الحكومة، ولكن إدوارد كعادته رفض أي تنازل عن موقفه.

حاول محامي الملك إدوارد وبعض أصدقائه الخروج من الأزمة بأية طريقة ورأوا جميعاً أن الحلّ الأمثل هو إقناع مدام سيمبسون أن تتخلى عن الملك وترحل إلى الأبد، ولكن كانت المشكلة الكبرى أن يلتقوا سيمبسون بمفردها حيث كانت في صحبة الملك باستمرار. على أية حال، بعد اشتعال الأزمة اضطرت سيمبسون إلى مغادرة انجلترا لفترة مؤقتة هروباً من الضغط الذي سلبها حرية الحركة وجعلها باستمرار في

محاولة للتخفي والهروب من الصحافة والمترصّدين، وبينما كانت في مدينة "كان" الفرنسية خاطبت إدوارد تليفونياً وطلبت منه نشر تصريح نيابةً عنها تؤكّد فيه استعدادها للتخلّي عن فكرة الزواج من الملك إذا كان ذلك سيكلّفه عرشه، وهي ما وصفته بأنه نهاية "حزينة لا تحتمل"؛ وافق إدوارد على نشر التصريح ولكنّه أكّد لها أنه لن يغير شيئاً.

في خضم تلك الأزمة أظهرت واليس سيمبسون حرصاً شديداً على بقاء إدوارد على العرش مهما تطلّب الأمر، على الجانب الآخر تعامل إدوارد مع موقف الحكومة والدولة بأكملها كتحدّ لشخصه وسلطاته، فأصبح مع مرور الوقت أكثر إصراراً على الزواج حتى عندما أدرك أن ذلك قد يكلّفه العرش. اعتقد إدوارد أن الضغط على رئيس الوزراء هو الورقة الرابحة في تلك المنافسة الشديدة على السلطة فسارع لينهي النقاش مع بولدوين مهدّداً بأنه "لا تتويج إلا مع الزواج... سوف أتزوج مدام سيمبسون، وأنا على أتمّ الاستعداد للرحيل"، يمكن القول أن الملك إدوارد لم يكن ينوي الرحيل ولكن يبدو أن تهديده جاء على هوى رئيس الوزراء والحكومة بأكملها.

أكّد رئيس الوزراء للملك أنه طالما تم رفض اقتراح الزواج المرغنطي من الدومينيون فليس أمامه إلا ثلاثة اختيارات: إما أن يُنهي علاقته بمدام سيمبسون، أو يتزوجها وتستقيل الحكومة، أو يتنازل عن العرش؛ بعد مناقشة حادّة أدرك الملك إدوارد أنه قد وصل إلى طريق مسدود، فقرّر في الرابع من ديسمبر التنازل عن العرش نهائياً وكتب في العاشر من ديسمبر وثيقة التنازل التي وقّع عليها إخوته (ملحق رقم ٢)، وأرسلها مرفقة مع خطاب شخصي موجّه للبرلمان يطلب منه تفهّم السبب الذي دفعه لاتخاذ قراره بالرحيل موضّحاً أنه لا يستطيع القيام بواجباته ومهامه كملك لبريطانيا دون المرأة التي أحبها. كما أكّد أنه قدّم المصلحة العامة للشعب على مصلحته

الشخصية، وعليه طلب من البرلمان التعجيل بالإجراءات اللازمة حتى يتسنّى لخليفته دوق يورك اعتلاء العرش في أسرع وقت.

أرسلت الحكومة على الفور تلغرافات إلى دول الدومينيون لتعلن عن تولّي "الملك جورج السادس" عرش بريطانيا خلفاً لأخيه إدوارد بعد تنازله عن العرش يوم العاشر من ديسمبر عام ١٩٣٦م، وأنه سيعتلي العرش اعتباراً من اليوم الثاني عشر من ديسمبر من نفس العام، كما تم التنبيه على كافة حكومات الدومينيون على ضرورة اتباع الإجراءات الرسمية لتنصيب الملك الجديد مثل رفع العلم وإطلاق بعض الرصاصات كنوع من التحية العسكرية أثناء التنصيب؛ هكذا حرصت الحكومة على إظهار وحدة وصلابة بريطانيا والإمبراطورية أمام العالم كله خاصة في ظل القلاقل التي تهدد أوروبا؛ وقد كانت الحكومة مُحقّة حيث أظهرت الوثائق الألمانية انشغال الدول الكبرى بالأزمة الدستورية وأثرها على موقف بريطانيا الدولي، فرأى سفير إيطاليا أنّ ما حدث سيُضعف موقف بريطانيا دون شك وأنه لن يكون من السهل على الشعب الانجليزي تجاوز تلك الأزمة، لذا أوصى أن توطّد ألمانيا وإيطاليا علاقتهما مع فرنسا في تلك الفترة، كما أكّد سفير ألمانيا أن القوى الشيوعية ستستغلّ ما حدث من إهانة لسلطة وهيبة المؤسسة الملكية لترويج مبادئها وتحقيق المزيد من أهدافها. وقد قرأت الحكومة البريطانية المشهد جيداً فتحدّث وزير الخارجية "أنتوني إيدن" "Anthony Eden" في مجلس العموم بعد تنازل إدوارد بثلاثة أيام فقط وأكد للجميع أنه قد شرح للملك الجديد الخطوط العريضة لسياسة بريطانيا الخارجية والتزاماتها تجاه الدول، وكأنّه على علم بمطامع ألمانيا والدول الموالية لها التي أرادت استغلال ضعف بريطانيا في أعقاب تلك الأزمة غير المسبوقة حتى تُنحّيها تماماً من المشهد السياسي في أوروبا.

☒ موقف البرلمان

أثارت الشائعات التي تردّدت عن زواج إدوارد وسيمبسون غضب البرلمان الانجليزي، فانصبّ اهتمام أعضاء البرلمان على الوصول إلى حقيقة الأمر، خاصة وأن رئيس الوزراء قد رفض الرد على أسئلتهم الرسمية المتعلقة بهذا الشأن. فقد اجتمع رأى الأعضاء على ضرورة الوصول إلى قرار سريع وحاسم حتى لا تتأثر التجارة الخارجية والداخلية للدولة نظراً لما تحمله الأزمة من خطر على استقرار المجتمع. كما رأى البعض أنه إذا ما ثبت صدق الإشاعات سينقسم المجتمع الانجليزي في بريطانيا والدومينيون بين مؤيد لحرية الملك في اختيار زوجته، وبين معارض له لعدم وضعه مصلحة الدولة على رأس قائمة أولوياته، وهو ما رآه الجميع كارثة تهدد استقرار وأمن بريطانيا بل والإمبراطورية بأكملها. أفصح رئيس الوزراء عن التفاصيل الكاملة لمحادثاته مع إدوارد لأول مرة في مجلس العموم يوم العاشر من ديسمبر بعد أن تلى على المجلس نصّ إعلان تنازل الملك عن العرش ورسالة إدوارد إلى البرلمان التي وصفها بولدوين بأنها أخطر رسالة وُجّهت للبرلمان الانجليزي، وأنّ تلاوتها أمام المجلس هي أصعب وأبغض المهمات التي كُلّف بها رئيس وزراء بريطاني على مر السنين.

تلى رئيس الوزراء وثيقة التنازل عن العرش في نفس يوم توقيعها بعد أن خلع جميع أعضاء المجلس قبعاتهم، وأعقبها بخطاب بليغ به تفصيل دقيق لكل الأحداث التي سبقت قرار الملك، وكانت تلك هي المرة الأولى التي يُصرّح فيها بولدوين بكافة التفاصيل عما دار بينه وبين الملك من مفاوضات ومشادّات بشأن زواجه من السيدة سيمبسون. اعترف ونستون تشيرشل لاحقاً بأنّ خطاب رئيس الوزراء ستانلي بولدوين ذلك اليوم كان خطاباً بارعاً دلّ على حنكته كبرلماني، أما عن تشيرشل نفسه فقد ألقى خطاباً في نفس الجلسة استطاع من خلاله أن يستعيد ثقة المجلس ومكانته التي كانت

أهدرت قبلها بثلاثة أيام عندما تحدّث لصالح الملك إدوارد. بدأ تشيرشل خطابه مؤكّداً أنه لم يأت على العرش ملكاً التزم بروح الدستور في جميع أفعاله وقراراته مثلما فعل إدوارد، وأنه بصفته صديق قديم للملك كان من العار عليه ألّا يحاول أن يجد له مخرَجاً قانونياً يبقيه على العرش، كما أكّد للمجلس أنّ الملك تنازل عن العرش بمحض إرادته ممّا يدلّ على شجاعته وصدقه وإخلاصه؛ ومن المحزن أن الصفات التي كانت ستجعل فترة حكمه مزدهرة، هي نفسها الصفات التي أدّت به إلى تلك النهاية، ثم أكمل تشيرشل قائلاً أنه ينبغي عليهم الآن أن ينظروا إلى الخطر الذي يواجههم من أوروبا وعدم النظر إلى الوراء.

أثار خطاب بولدوين تعجّب وغضب بعض الأعضاء حيث أكّد في نهاية خطابه المطول تقديره لحنكة الملك وذكائه في التعامل مع الأزمة وكيف أنه رفض فكرة تكوين حزب لأصدقاء الملك "King's Party" حتى لا تنقسم الأمة وأنه فضّل البقاء في فورت بلفيدير بعيداً عن لندن حتى لا تشتعل الأمور أكثر. استمر بولدوين في امتداح إدوارد وأيّده في الرأي زعيم حزب المعارضة الليبرالي "أركيبالد سنكلير" "Archibald Sinclair" الذي أثنى بدوره على حكمة الملك السياسية في التعامل مع الأزمة. فكان ذلك سبب دهشة واستياء بعض الحاضرين هو ما اعتبروه مبالغة في مدح إدوارد من قبل رئيس الوزراء ومؤيديه؛ فألقى العضو "السيد بوكانان" "Mr. Buchanan" بخطاب شديد اللهجة في نفس الجلسة انتقد فيه جميع أعضاء البرلمان ممن مدحوا إدوارد بحماسة شديدة وأثنوا على حكمته في التعامل مع الأزمة، حيث أكّد بوكانان أن تصرف إدوارد كان طائشاً ضعيفاً لا يليق بملك انجلترا، وأنه إذا كان إدوارد شخصية مثالية كما أقر غالبية الأعضاء، بل وأكّدوا على حزنهم وأسفهم على رحيله، فلماذا لم يصروا على بقائه على العرش مهما فعل؟ لماذا هُيئت له الظروف التي جعلته يتنازل عن العرش؟ لأنه ضعيف الشخصية والجميع أراد رحيله. لاشكّ أن عدم تعاون رئيس الوزراء مع الملك للوصول إلى حل يرضي جميع الأطراف

قد أوحى للبعض أن عدم تقبل رجال القصر والدولة لشخصية إدوارد كملك منذ البداية، جعلهم يتخذوا من علاقته بسيمبسون مبرراً كافياً كي يتخلصوا منه للأبد.

أثناء مناقشة أزمة زواج ورحيل الملك في مجلس العموم، تحدّث بعض الأعضاء عن ضعف المؤسسة الملكية بأكملها نظراً لأنها تعتمد في اختيار الحاكم على التوريث حتى وإن وصل إلى العرش من لا يستحق أو غير المؤهل، وهو ما حدث في حالة إدوارد الذي لم يبدِ احتراماً منذ البداية للمؤسسة الملكية وقدسيتها خاصة في دولة كبرى مثل بريطانيا. لم يكتف هؤلاء الأعضاء بانتقاد النظام الملكي، بل طلبوا من مجلس العموم استغلال الأزمة الحالية لتحويل نظام الحكم في بريطانيا إلى النظام الجمهوري، وتحدّث أحد الأعضاء عن ضعف الحجة التي تقول أنه بصدور "قانون وستمنستر" "The Statute of Westminster" في عام ١٩٣١م أصبحت المَلَكية هي حلقة الوصل الوحيدة بين بريطانيا وامبراطوريتها مترامية الأطراف؛ مؤكّداً أن الصلة القوية الوحيدة التي تربط الإمبراطورية بعضها البعض في العصر الحديث هي المصالح الاقتصادية المتبادلة وليس التاج البريطاني، حيث أنه من غير المعقول أن يعتمد بقاء الإمبراطورية البريطانية بأكملها على شخص واحد شاء قدره أن يكون من الأسرة الحاكمة، فهل مجرد ولادة شخص ما في قصر يضمن أن يكون في المستقبل الشخصية المثالية المؤهلة جيداً لشغل أهمّ وأعلى منصب في الدولة؟ فردّ وزير الداخلية "السير جون سيمون" "Sir John Simon" على هذا النقد اللاذع مؤكداً أنّ المؤسّسة الملكيّة أكبر وأهمّ بكثير من مجرّد شخص يجلس على العرش، وأنّ النظام الجمهوريّ أيضاً لا يقدم أيّة ضمانات للاستقرار ولا للحريّة المدنيّة.

أصدر البرلمان الانجليزي قانون التنازل عن العرش (ملحق رقم ٣) في اليوم التالي مباشرة لاستلام رئيس الوزراء لوثيقة التنازل، فقد كانت مسودة القانون المحتمل بحوذة بولدوين منذ الثالث والعشرين من نوفمبر، وبالتالي كان من السهل

إصدار القانون بمجرّد أن يتّخذ إدوارد قراره الأخير. وقد نصّ قانون التنازل عن العرش على أنه :"بناءً على رغبة الملك إدوارد الثامن في التنازل عن العرش بموجب توقيعه على وثيقة التنحّي في العاشر من ديسمبر والتي طلب فيها أن يتم العمل على تنفيذ هذا القرار في الحال؛ فقد تم التواصل مع حكومات الدومينيون في كندا ونيوزيلانده وحكومة الكومنويلث في أستراليا واتحاد جنوب أفريقيا وجميعهم أكّدوا موافقتهم على القرار؛ وبناءً عليه فإنّ القرار يُعمل به على الفور ويُعتبر العرش خالياً ويسلم العرش بكافة صلاحياته إلى الوريث التالي، كما يُحرم من العرش بهذا التنازل أبناء الملك وكل من هو من نسله، كما لا ينطبق عليه أو نسله قانون الزواج الملكي الصادر عام ١٧٧٢م". لاشك أنّ إصرار البرلمان على استثناء إدوارد من قانون الزواج الملكي هو في حدّ ذاته تنحية له من حياة الأسرة الملكية للأبد حيث أنه أصبح بهذا الشرط غير ملزماً بالحصول على موافقة الجالس على العرش حتى يتزوج هو أو أي من أبنائه، وكأن الحكومة قد تعمّدت قطع كل قنوات الاتصال بين الملك السابق وبريطانيا حتى لا يكون له مكان بينهم في يوم ما.

من منطلق أنه لا جدوى من مناقشة أزمة الملك إدوارد بعد تنازله عن العرش وانتهاء الأزمة رأى الكثير من الأعضاء أنه من الأولى استغلال وقت البرلمان لمعالجة قضايا أكثر عمقاً وأهميةً مثل مشاكل البطالة والفقر، وسرعان ما بدأ الجميع - خاصة في مجلس اللوردات المعروف بولائه للملكية- في امتداح الملك الجديد جورج السادس والثناء على الظروف التي جلبته إلى العرش، وكيف أنه يشبه والده الملك جورج الخامس كثيراً وهو ما يدعو للتفاؤل، كما رأى الأعضاء أيضا ضرورة انتقال السلطة إلى الملك جورج السادس سريعاً حتى يتفرغ البرلمان للقضايا الاجتماعية والاقتصادية الأكثر أهمية.

أصدر الملك جورج السادس فور تولّيه العرش في الثاني عشر من ديسمبر قراراً بمنح أخيه الملك السابق إدوارد لقب "صاحب السمو الملكي دوق وندسور""His Royal Highness the Duke of Windsor"، أما زوجته واليس وارفيلد فقد مُنحت فقط لقب "دوقة وندسور" "Duchess of Windsor" دون الصفة المَلَكية التي كانت تتوق إليها، وقد ناقش أعضاء مجلس العموم قضية اهتم بها الكثيرون بعد اعتلاء جورج السادس العرش وهي الموارد المالية التي كانت مخصّصة لإدوارد بصفته ملكاً للبلاد، ماذا سيحل بها الآن؟ وماهي مخصّصاته المالية في المستقبل بعد أن أصبح دوق وندسور؟ فأكّد المحامي العام للجميع أن كل الألقاب الملكية مثل؛ "صاحب السمو الملكي أو جلالة"، والمخصّصات المالية والقصور المَلَكية التي كانت تحت تصرّف الملك السابق ستئول بطبيعة الحال إلى الملك الجديد وأسرته، على أن يحتفظ الملك السابق إدوارد بكل ماهو في الأساس مِلكِيّة خاصة لشخصه وليس بصفته ملكاً للبلاد.

حاولت الحكومة من خلال الصحافة أن تمحو سيرة الملك السابق إدوارد من تاريخ بريطانيا حتى يضمنوا قوة ونزاهة العرش الذي يربط الإمبراطورية بأكملها كما رأى ستانلي بولدوين وغيره من رجال السياسة في ذلك الوقت؛ فأشادت جريدة التايمز بخطاب الملك الجديد مُقارنة إيّاه بغيره من خطابات ملوك انجلترا التي تمسّ القلب، بينما أهملت ذكر خطاب التنحّي الذي ألقاه إدوارد عبر الإذاعة بعد توقيع قراره والذي وصفه البعض بأنه الخطاب الأعظم على الإطلاق، كما بالغت الصحافة الانجليزية كثيراً في وصف الاستقبال الحافل للملك الجديد وزوجته، على الرغم أن شهود العيان أكّدوا عكس ذلك؛ فقد أعلنت الصحف بعد أيام من تولّيه العرش أن الملك جورج السادس ووالدته الملكة ماري وزوجته الملكة إليزابيث وابنتيه الأميرة إليزابيث –الملكة إليزابيث الحالية- والأميرة مارجريت روز سيقوموا برحلة إلى العزبة الملكية في "ساندرينجهام" لقضاء أجازة الكريسماس، وقد جرت العادة أن يحتشد المواطنون

لرؤية الأسرة المالكة والترحيب بهم خاصة في فترات الأعياد والاحتفالات؛ وعلى الرغم من الإعلان المسبق لتلك الرحلة إلا أنّ استقبال الملك وزوجته في محطة قطار لندن لم يكن على القدر المناسب على الإطلاق، فبعد وصولهم المحطة حدثت جلبة خفيفة أثارت فضول أحد المارّين فسأل "علام الجلبة؟" رد آخر قائلاً "أنه الملك الجديد والملكة"، فرد السائل بلا مبالاة "آه حقاً؟" واستمر في سيره!

لم يكن الملك السابق مجبراً على مغادرة البلاد حيث أنه تنازل عن العرش برغبته؛ وعلى الرغم من ذلك سافر إدوارد على الفور إلى باريس ليلحق بواليس سيمبسون دون أن يدرك أنه سيحكم عليه بالعيش في المنفى بعيداً عن أهله. تزوج الدوق إدوارد من الدوقة واليس وارفيلد في ظلّ غياب الأسرة الملكية في مدينة "كاندي" "Cande´" الفرنسية في الثالث من يونيه ١٩٣٧م بعدما أنهت إجراءات طلاقها من إيرنست سيمبسون. اضطر إدوارد بعد زواجه من واليس وارفيلد في البداية للعيش في ظروف مادية صعبة؛ حيث أنه لم يتلقّ مرتب رسمي من الحكومة البريطانية إلا في عام ١٩٣٨م، ولكن ما أثار غضب إدوارد هو أن الأسرة المالكة اشترطت عليه مقابل ما يتلقاه من راتب سنويّ ألّا يعود إلى بريطانيا إلّا بعد طلب الإذن من أخيه؛ فأرسل خطاباً غاضباً إلى رئيس الوزراء نيفيل تشامبرلين - الذي أعقب بولدوين- معترضاً على هذا الشرط المهين ومؤكّداً أنه ترك انجلترا برغبته وليس مرغماً على البقاء في المنفى إلى الأبد. لم يعترض إدوارد على الملأ أبداً حيث كان حريصاً على تسهيل مهمة أخيه جورج السادس، ولم يشأ أن يجعل من علاقته بالقصر مجالاً للفضائح العلنية، ولكنه قام بكتابة عدد من الخطابات لأخيه وآخرين يطلب فيها حسن المعاملة والسماح له بالعودة للعيش في انجلترا والعمل في خدمة بلاده، ولم يكن هناك ما يمنع ذلك من الناحية القانونية كما وضح المحامي العام في البرلمان.

تدخّل بعض الأطراف لمناقشة عودة الملك السابق للعيش في انجلترا فرحّب رئيس الوزراء، بل اقترح أن يتم تكليف إدوارد ببعض المهام الرسمية ليخفف الأعباء عن أخيه الملك جورج السادس. في الوقت الذي لم يبدِ الملك فيه أي اعتراض على اقتراح رئيس الوزراء اعترضت الملكة إليزابيث بشدة، حيث أنها رأت أن وجود إدوارد في البلاد يمثل تهديداً لزوجها الذي لا يمتلك شعبية وجاذبية إدوارد. كان تشيرشل حريصاً على توفير حياة كريمة تليق بالملك السابق الذي رأى أن الجميع عامله "كحمل صغير لا حيلة له" - على حد تعبير تشيرشل-. لهذا توسّط تشيرشل أكثر من مرة كي يُسمح للملك السابق بالإقامة الدائمة في بريطانيا، وعندما استحال ذلك اقترح في يوليو ١٩٤٠م أن يتم تكليف إدوارد بعمل تابع للحكومة ولكن خارج بريطانيا، خاصة وأنّ التحرك الحر لإدوارد في أوروبا أثناء الحرب كان يمثل خطراً كبيراً، وعليه تم تعيينه كمحافظ لمستعمرة "جزر الباهاما"، وهي مستعمرة بريطانية غير ذات قيمة على ساحل فلوريدا.

ختاماً؛اشتهر إدوارد الثامن منذ فترة إمارته لويلز باهتمامته الاجتماعية وميوله إلى الاختلاط مع العوام، ولكنه فشل تماماً في كسب أيّ أصدقاء في عالم السياسة، وهو ما جعل موقفه ضعيفاً إذ لم يجد له حليفاً قوياً يسانده في دفاعه عن قضيته ضدّ الحكومة. ربما لم يكن إدوارد بالفعل الملك المناسب لعرش بريطانيا في تلك الفترة من تاريخ أوروبا حيث أظهر في مواقف عديدة حبه لذاته وحرصه على تحقيق رغباته الشخصية دون الوضع في الاعتبار المصلحة العامة لبريطانيا.

لاشك أنه في هذا الوقت العصيب من تاريخ بريطانيا شعر الشعب الانجليزي أن المؤسسة الملكية قد خذلته، فكيف للملك الذي طالما حظي بمكانة مقدسة لدى الشعب أن يتخلى عن شعبه من أجل امرأة؟ ربما شعر الشعب البريطاني بالحزن لرحيل إدوارد أو التعاطف معه أحياناً، لكن ليس هناك شك أن الإحساس الأقوى هو الغضب واللامبالاة

ليس فقط تجاه إدوارد، بل تجاه مفهوم العرش ذاته. لذا حرصت الحكومة الانجليزية على التخفيف من حدة الأزمة والآثار المترتبة عليها من خلال رسم صورة مزيفة أمام العالم بأسره حتى توحي بأن ما حدث لم يؤثر على هيبة واحترام المؤسّسة الملكيّة.

اتّسم موقف رئيس الوزراء ستانلي بولدوين منذ بداية الأزمة بالعدوانية تجاه إدوارد وبالحماس الشديد للملكية البريطانية، فلم يظهر أي تعاطف مع الملك ولم يتكبد عناء محاولة إقناعه بالرجوع عن قراره، بل سارع في حشد الآراء ضده وكأنه عدو لدود، ولكن ربما كان هجوم رئيس الوزراء على الملك إدوارد وإصراره أن يحسم الأمر في أقل وقت من أهم إنجازات بولدوين السياسية خاصة فيما يتعلّق بموقف بريطانيا الدولي حيث كانت الحكومة قلقة جداً تجاه أية رد فعل قد يضر بمصالح بريطانيا. على الجانب الآخر، لم تستغرق خلافات الملك مع الحكومة إلا بضعة أسابيع قرر بعدها التنازل عن العرش؛ فلم يحارب إدوارد طويلاً من أجل الحفاظ على عرشه كما لم يظهر أي حنكة في التعامل مع الأزمة، وهو ما أثار استياء وغضب الكثير ممّن حوله من العائلة الملكية والحكومة حيث أنهم رأوا مدى تهاون الملك في الحفاظ على عرش بريطانيا وهو ما أكّد على ضعف شخصيته كحاكم لإمبراطورية مترامية الأطراف. بل لعل البعض عقد مقارنة بسيطة بين إدوارد الثامن أحد أفراد "أسرة وندسور"، وبين الملكة إليزابيث الأولى إحدى ملوك "أسرة التيودور"؛ تلك المقارنة التي بيّنت أنه في الوقت الذي رفضت فيه الملكة إليزابيث الأولى الزواج من أجل الحفاظ على عرش بريطانيا، وجدوا أنفسهم أمام ملك يترك العرش ذاته من أجل إمرأة.

الفصل السادس

موقف بريطانيا من أطفال يهود ألمانيا

(ديسمبر ١٩٣٨- أغسطس ١٩٣٩)م

كانت تعداد اليهود في ألمانيا عام ١٩٣٣م حوالي ٥٢٥ ألف نسمة أي أقل من ١% من إجمالي سكان ألمانيا، وهي في الواقع ليست بالنسبة التي قد تسبب القلق لأي دولة، غير أنّ العنصرية ضد اليهود لم تكن مرتبطة بكثرتهم أو قلتهم في أي مجتمع، فقد بدأت العنصرية ضدّ يهود ألمانيا منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي بانتشار رسوم كاريكاتورية ساخرة، غير أن القوانين التي صدرت عامي ١٨٦٩م و١٨٧١م ساهمت في تحرير اليهود وتحسين أوضاعهم الاجتماعية فتمكنوا من شغل المناصب المرموقة. وقد أكّد المؤرخ الألماني "توماس نيبردي" "Thomas Nipperdey" أنه حتى قبيل الحرب العالمية الأولى كانت ألمانيا أقل الدول تعصباً ضد السامية مقارنة بدول أخرى مثل فرنسا والنمسا وروسيا، ولكن لا شك أن هذا قد أدّى مع مرور السنين إلى ظهور الكراهية وتصاعد العنصرية ضدّهم خاصة بعد حصولهم على أفضل الوظائف في المجتمع وسيطرتهم على مجال التجارة تحديداً، وهو ما اعتبره المواطن الألماني تهديداً لرفاهيته في البلد التي رأى أنه الأحق بثرواتها.

يجدر الذكر هنا أنه من أهم مبادئ حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني (الحزب النازي) جمع الألمان في مختلف أراضي أوروبا وتأسيس ألمانيا المُوحّدة التي تنعم بنظام اقتصادي وطنى يكفل للدولة موارد مالية كافية للانفاق على جيش وطنى قوي؛ ولم تتفق تلك المبادئ مع مبادئ اليهود القائمة على حرية التجارة والحكومة العالمية، لذا كان الصدام حتمياً، لاسيّما وأن اليهود كانوا يسيطرون بشكل كبير على

الاقتصاد الألماني؛ وعليه بدأ الحزب النازي في إعلان العداء لليهود الذين سارعوا للهجرة من وسط أوروبا إلى عدة دول جاء على رأسها بريطانيا.

بدأت الأحكام الرسمية المعادية لليهود في ألمانيا عام ١٩٣٣م بإعلان مقاطعة لجميع محلات اليهود التجارية وإجبار موظفي الخدمة المدنية منهم على التقاعد، وإلغاء الذبح على الطريقة اليهودية. وزاد الضغط على يهود ألمانيا بصدور "قوانين نوريمبرج" "Nuremberg Laws" في ١٥ سبتمبر عام ١٩٣٥م والتي نص أحد بنودها بشكل مباشر لا يحتمل التأويل إلى أن اليهودي لا يُعد مواطناً ألمانياً، وبالتالي فإنه لا يتمتع بأية حقوق سياسية لاسيّما حقّ التصويت، كما جعلت تلك القوانين الزواج من اليهود غير قانوني، ومنعتهم من دخول دور السينما والمنتزهات وحمامات السباحة وتم طردهم من المدارس والجامعات الحكومية لتصبح آرية خالصة، كما منعت الحكومة الألمانية بيع الصحف اليهودية في الشوارع مثل غيرها، وأصبحت تباع مع غيرها من الصحف والكتب اليهودية في المكتبات الخاصة فقط.

أدّت تلك الموجة المعادية إلى سعي اليهود للهجرة من ألمانيا؛ حيث غادر حوالي ٣٣ ألف يهودي إلى الدول المجاورة، على الرغم من ذلك رأى أغلب اليهود أنّ تلك الموجة الغاضبة المعادية لهم ستزول قريباً وتعود الأمور إلى طبيعتها، وبالتالي ليس هناك داعٍ لترك حياتهم المرفهة التي اعتادوا عليها لسنوات طويلة، حتى الدول الكبرى مثل بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا ظنت أن تلك الموجة مؤقتة ولا داع للتدخل أو المساعدة وهو ما كان في مصلحة تلك الدول بالطبع حتى لا تستفز أي منها أدولف هتلر "Adolf Hitler" (١٩٣٣-١٩٤٥)م وتتسبب في خلق عداوة هي في غنى عنها. استمرت المضايقات لليهود في الفترة من ١٩٣٣م وحتى ١٩٣٧م إلى أن هاجر ما يقرب من ١٣٠ ألف يهودي من ألمانيا وكان خروجهم في البداية عملية منظمة حيث كان يُسمح لهم بأخذ جزء من ممتلكاتهم، مما سهل لهم الاستقرار في الدول الأخرى حيث أنهم لم يمثلوا عبئاً على اقتصاد أي دولة. وكانت الوجهة

الأولى ليهود ألمانيا دول غرب أوروبا خاصة تلك التي تقع على مقربة من ألمانيا مثل هولندا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا، وذلك بالطبع لسهولة الوصول إليها ودخولها وقربها من الأهل والأصدقاء في ألمانيا.

احتدت أزمة اللاجئين بضمّ النمسا إلى ألمانيا في ١٢ مارس عام ١٩٣٨م حيث زاد عدد اليهود المُعرضين للقوانين النازية بواقع ١٨٥ ألف يهودي نمساوي؛ فبمجرد ضم النمسا بدأت أعمال العنف والمضايقات ضد يهود النمسا، حتى أطفال المدارس تم طردهم ومضايقتهم في الشوارع بالسب والشتائم، كما عملت القيادة النازية في النمسا على فكّ الترابط الأسري عن طريق إجبار الأزواج على الانفصال عن الزوج اليهودي. وقد أعلن السياسي "جوزيف بوركل" "Joseph Burkel" -عضو البرلمان الألماني وقائد إقليم النمسا في فترة الحكم النازي- أنه إذا لم تعلن أي دولة استعدادها لفتح أبوابها لاستضافة ٧٥٠ ألف يهودي من ألمانيا بالإضافة إلى ٥٠٠ ألف من المسيحيّين غير الآريين- أي لهم أصول يهودية - سيتم وضعهم في معسكرات اعتقال، ثم يقضى عليهم جميعاً في غضون شهر واحد.

استجابة لضغط الرأي العام الأمريكي دعى الرئيس فرانكلين روزفلت"Franklin Roosevelt" (١٩٣٣-١٩٤٥)م إلى عقد "مؤتمر إيفيان" "Evian Conference" بفرنسا في الفترة من السادس وحتى الثالث عشر من يوليو ١٩٣٨م، وحضر المؤتمر ممثلوا ٣٢ دولة؛ لم تعرض الدول المشاركة حلولاً ذات قيمة إلا جمهورية الدومينيكان التي شجعت هجرة اللاجئين إليها وعرضت مساحات كبيرة من الأرض لهم لتعميرها وزراعتها، أما الدول الكبرى؛ فاعتذرت الولايات المتحدة الأمريكية عن قبول أي عدد أكثر مما تسمح به قوانين الهجرة المعمول بها في الدولة والتي حددت عدد 27,370 ألف سنوياً من دول ألمانيا والنمسا، واعتذرت بريطانيا عن قبول أي لاجئين في مستعمراتها بحجة أنها مزدحمة بالفعل وأن الأجواء السياسية بها غير مستقرة، وأكدت فرنسا أنها قد استوعبت ما

يكفيها من اللاجئين ولا توجد أي نيّة لاستقبال المزيد، أما استراليا فأكّدت أنه ليس لديها أي مشكلة عنصرية داخل بلادها وبالتالي هي ليست مستعدة لخلق مشكلة بالسماح لليهود بالدخول، واعتذرت كندا بحجة أن التبعات الاقتصادية السيئة التي تسبب فيها الكساد الكبير تمنعها من استضافة اللاجئين. ورغم فشل مؤتمر إيفيان إلا أنه انتهى بتشكيل لجنة مسئولة عن أزمة اللاجئين والتي تم تكليفها بالتواصل مع الدول لمحاولة توفير ملجأ دائم للاجئين اليهود، بالإضافة إلى محاولة إقناع ألمانيا بالسماح للاجئين بالخروج بجزء من ممتلكاتهم لتسهيل استقرارهم في أي دولة تفتح أبوابها لهم، ولكن للأسف لم توافق ألمانيا على خروج اليهود بممتلكاتهم مما جعل وجودهم في أي دولة غير مرغوب فيه.

استمرت الأحداث في تصاعد سريع حتى التاسع من نوفمبر عام ١٩٣٨م بوقوع ما عُرف بالألمانية باسم "الكريستالناخت" "Kristallnacht" أو "ليلة الزجاج المُحطّم" التي بدأت كردّة فعل لمقتل الدبلوماسي الألماني "إيرنست فوم راث" "Ernest Vom Rath" في باريس على يد يهودي بولندي كان قد طُرد مع أسرته من ألمانيا؛ نتيجة لذلك بدأت أعمال الشغب والعنف ضد اليهود ومحلاتهم وبيوتهم ودور العبادة الخاصة بهم، ناهيك عن اعتقال المئات منهم كما أصدر وزير التعليم الألماني قراراً بمنع أطفال اليهود من دخول المدارس الألمانية، ممّا زاد الضغط على المجتمع الدّولي لمحاولة إيجاد حل ليهود ألمانيا، ورغم الموقف الأمريكي الضعيف آنذاك إلا أن موقف بريطانيا كان واضحاً وقوياً وذلك لوجود مجتمع يهودي أورثوذكسي قوي يزيد تعداده عن ٣٠٠ ألف يهودي من أصول شرق أوربية وروسية؛ وعليه استجابت الحكومة البريطانية أخيراً للضغط المجتمعي وتنازلت عن متطلبات الحصول على تأشيرة الدخول ولكن لفئة واحدة فقط وهي الأطفال حتى سن ١٧ غير مصحوبين بآبائهم، وفي الفترة من ديسمبر ١٩٣٨م حتى أغسطس ١٩٣٩م دخل بريطانيا ما يزيد عن ١٠ آلاف طفل يهودي تحت سن الثامنة عشر، وهي الحركة التي أطلقت

عليها سكك حديد ألمانيا اسم "كيندرترانسبورت" "Kindertransporte" والتي سيتناولها البحث بمزيد من التفصيل.

كان للمجتمع اليهودي في بريطانيا جهود منظمة لإعالة وإغاثة اليهود الفقراء منذ عام ١٨٥٩م وذلك بتأسيس "مجلس لندن اليهودي للأوصياء" "London Jewish Board of Guardians" وهي منظمة تُوفر العديد من الأنشطة لليهود مثل المدارس والملاجيء ودور الضيافة؛ وكان من أهم أنشطتها "الملجأ المؤقت لليهود""The Jews' Temporary Shelter" الذي كان تحت إشراف أحد يهود لندن المؤثرين بدءاً من عام ١٩٣٣م وهو "أوتو شيف" "Otto Schiff" الذي لعب دوراً بارزاً بالتعاون مع يهود ألمانيا لنقل الأطفال إلى بريطانيا.

عمل "أوتو شيف" على حشد جهود كبار يهود لندن لتأسيس "لجنة لاجئي اليهود" "Jewish Refugees Committee" (JRC) في أبريل عام ١٩٣٣م والتي ساهمت في تأسيس ما عُرف باسم "الصندوق البريطاني المركزي لدعم اليهود الألمان" "The Central British Fund for German Jewry" (CBF) بمشاركة عشرة من كبار يهود بريطانيا هم: ليونيل دي روتشيلد Lionel de Rothschildوأنتوني دي روتشيلد Anthony de Rothschild (من عائلة روتشيلد المصرفية الشهيرة)، وليونيل كوهين Lionel Cohen وسير روبرت والي كوهين Sir Robert Waley Cohen وسير أوزموند ديفيغدور جولدسميد Sir Osmond d'Avigdor Goldshmid وسيمون ماركس Simon Marks وليونارد مونتفيورLeonard Montefiore وهاري نيثان Harry Nathan ودكتور حاييم وايزمان Dr. Chaim Weizmann والحاخام الأكبر دكتور جوزيف هيرتز Chief Rabbi Dr. Josep Hertz.

بدأ القائمون على "الصندوق البريطاني المركزي لدعم اليهود الألمان" جمع التبرعات اللازمة لدعم لاجئي اليهود حتى لا تتقاعس حكومة بريطانيا عن تقديم

المساعدة بحجّة عدم وجود الدعم الكافي، فتم نشر النداء الأول لطلب التبرعات في مايو ١٩٣٣م في صحيفة "جويش كرونيكل" "Jewish Chronicle" حيث قامت بجمع مبلغ 61,900 جنيه استرليني بنهاية العام، بالإضافة إلى مبلغ 176,000 جنيه استرليني بنهاية العام التالي. بالطبع لم يكن توفير الدعم المالي اللازم هو الحل الوحيد لأزمة اللاجئين؛ فقد كان المجتمع اليهودي في لندن في حاجة ماسّة إلى موافقة الحكومة على دخول اللاجئين، وعليه تحدث يهود بريطانيا عام ١٩٣٣م مع سكرتير وزير الداخلية "سير إيرنست هولدرنس" "Sir Ernest Holderness" لتطلب منه دعم القضية في مجلس العموم مؤكدين له أن المجتمع اليهودي في بريطانيا سيتحمل جميع النفقات والإجراءات اللازمة، إذاً كان المطلوب من الحكومة البريطانية الموافقة فقط على دخول اللاجئين إلى أراضيها بشكل مؤقت حتى تنتهى الأزمة، لكن لم يلقَ مطلب المجتمع اليهودي قبولاً لدى الحكومة البريطانية التي استمرت في تطبيق سياسة هجرة محدودة حيث سمحت بحلول أبريل ١٩٣٤م بدخول ما يقرب من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ يهودي فقط، غير أنها اشترطت لدخولهم أن تكون بريطانيا محطة مؤقتة في طريق هجرتهم النهائية إلى دولة أخرى.

بعد أحداث نوفمبر ١٩٣٨م في ألمانيا أدرك الجميع أن الهدف الأساسي في هذا الوقت الحرج هو إنقاذ الأطفال، وبالفعل امتلأت الصحف اليهودية في بريطانيا بالتماسات العائلات اليهودية الألمانية عن حاجتها الشديدة لأسر مضيفة لأبنائها أو حتى لتوفير فرص عمل لهم في الخدمة المنزلية، ومع مرور الوقت بدأت الصحف القومية مثل "مانشستر جارديان" "Manchester Guardian" في نشر التماسات الأسر اليهودية على صفحاتها. استجابت لجنة لاجئي اليهود (JRC) لتلك النداءات البائسة بإعداد مقترح سريع وتقديمه لرئيس الوزراء "نيفيل تشامبرلين" "Neville Chamberlain" في ١٥ نوفمبر ١٩٣٨م؛ غير أن الموقف في بريطانيا كان شديد التعقيد نظراً لما خشيته نقابات العمال والمنظمات الخاصة من

خطورة اللاجئين على فرص العمل، خاصة وأن بريطانيا كانت قد تعافت لتوها من أزمة الكساد، فلا شكّ أنه كان هناك تخوف شديد من أن يتبع دخول الأطفال اللاجئين آبائهم فتزيد نسبة البطالة، خاصة وأنه قبل ذلك بأقل من عامين كانت بريطانيا قد وافقت على دخول ٣٨٠٠ طفل من أسبانيا، وليس من المعقول أن تسمح الحكومة الآن بدخول الآلاف غيرهم؛ فلم يبد ذلك قراراً حكيماً من الناحية السياسية لأنه حتى وإن لم تتحمل الحكومة أية أعباء مادية فلابد وأن تضع في الاعتبار العواقب التي قد تترتب على دخول الآلاف ممن ينتمون إلى ديانة غير مرحب بها ومواطني دولة عدوة، لا سيّما وأنّ الحرب العالمية الثانية بدأت بوادرها تلوح في الأفق؛ لذا أبدى رئيس الوزراء نيفيل تشامبرلين اهتماماً بالأمر من الناحية الإنسانية فقط، دون اتخاذ أية خطوات ملموسة، فعلى الرغم من أنه أكّد في مجلس العموم أن حكومته على استعداد لمساعدة الأطفال اليهود بأي وسيلة ممكنة، وأكد أيضاً في اجتماع الوزارة بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٣٨م على ضرورة اتخاذ أي إجراء مطلوب للتخفيف عن يهود ألمانيا، إلّا أن مجلس الوزراء لم يتخذ أية خطوات فعلية بهذا الشأن.

في اجتماع آخر للجنة لاجئي اليهود يوم ٢١ نوفمبر مع وزير الداخلية سير "صامويل هور" "Sir Samuel Hoare" أبدى تعاطفاً أكبر مع القضية كونه من تابعي جماعة الكويكرز Quakers البروتستانتية التي عملت في البداية على إنقاذ الأطفال المسيحيين من أصول يهودية ولكن لاحقاً توسع نشاطها ليشمل جميع الأطفال الباحثين عن ملجأ من الحرب والاضطهاد، وبالفعل أقنع صامويل هور البرلمان أن الحكومة لديها فرصة أن تنقذ جيلاً بأكمله دون أن تتحمل أية أعباء مادية حيث أكد كبار يهود بريطانيا له أن الحركة بأكملها سيتم تمويلها بشكل خاص من أموال التبرعات، وفي اليوم ذاته بمجلس العموم تحدّث أحد الأعضاء وهو مستر لوجان Mr. Logan منتقداً أولئك الذين أبدوا اعتراضهم على دخول اللاجئين لأسباب مادية قائلاً: "أن الفرصة قد حانت لبريطانيا كي تثبت ريادتها بين كل دول العالم"، وعلى الرغم من

إدراك الجميع بالحالة الملحة إلا أن الآراء في مجلس العموم كانت منقسمة؛ فقد حذّر بعض الأعضاء أن قبول بريطانيا للاجئين اليهود سيعطي الفرصة لأي دولة أخرى تحاول التخلص من مواطنيها غير المرغوب فيهم أن تطلب من بريطانيا استضافة مواطنيها، كما تناقش بعض الأعضاء في الفرق بين الطفل اليهودي الخالص والطفل اليهودي المختلط وما إذا كانت الحكومة ستعطي أفضلية لأيهما عن الآخر، حيث رأى بعض الأعضاء أن الطفل اليهودي الخالص لديه دعم مؤسسات يهودية كبيرة تستطيع تدبير خطط أخرى لإنقاذه، على عكس الطفل اليهودي المختلط الذي لا يمتلك نفس الدعم المادي، وفي الوقت نفسه هو أكثر قابلية للاندماج وسط المجتمع البريطاني دون إثارة المشاكل، وعليه أكّدت الحكومة أنه لن يتم التمييز بين الأطفال بسبب جنسهم أودينهم.

بعد نقاش طويل في مجلس العموم حول الأطفال اللاجئين اليهود، وافق البرلمان في الثالث والعشرين من نوفمبر ١٩٣٨م على المُقترح المُقدم والذي سمح بدخول عدد غير محدود من الأطفال تحت سن ١٨ من ألمانيا غير مصحوبين بآبائهم لمدة عامين بشرط ألّا تتحمل الحكومة أو المواطن البريطاني أية نفقات؛ فكانت المساعدة قائمة على إعالة الأطفال اللاجئين وتعليمهم بالمدارس البريطانية لفترة مؤقتة حتى يتم ترحيلهم في فترة لاحقة إلى ألمانيا أو غيرها إذا ما استمرت الأوضاع في ألمانيا بنفس السوء. وفي الأول من ديسمبر من العام ذاته كان هناك سخط على بطء إجراءات صدور تأشيرات الدخول، وطالب بعض الأعضاء النظر في مساهمة الحكومة المادية لمساعدة المنظمات الخيرية، ولكن الحكومة أصرت أنه طبقاً لتوصيات مؤتمر إيفيان فإن الدول التي ستعرض المساعدة لا ينبغي أن يكون عليها أية التزامات مادية؛ على الرغم من ذلك استجابت وزارة الداخلية البريطانية بتسهيل إجراءات الدخول وتكثيف ساعات العمل وزيادة عدد العاملين على الإجراءات الورقية، كما سمحت الحكومة للجنة المساعدات الداخلية **Inter-Aid Committee** المسئولة

عن إدارة شئون اللاجئين أن تُصدر بطاقات هوية مكونة من جزئين تحتفظ اللجنة بأحدهما كجواز سفر للطفل وترسل الآخر لوزارة الداخلية البريطانية، يجدر الذكر أن أعضاء مجلس العموم اليهود لم يتدخلوا في المناقشة على الإطلاق، فرغم شخصايتهم البارزة وتأثيرهم الملحوظ إلّا أنهم أقسموا على عدم التدخل لصالح أطفال اليهود حتى يظهروا للمجتمع بشكل المواطن المثالي.

في خلال أسبوع أعلن وزير الداخلية سير صامويل هور عن سياسة بريطانيا الجديدة تجاه هجرة أطفال اليهود وكانت تلك البداية الرسمية لحركة "كيندرترانسبورت". بدايةً طلبت الحكومة من المنظمات القائمة على تهجير أطفال اليهود إيداع مبلغ ٥٠ جنيه استرليني لإعالة كل طفل، واعتمدت حركة الأطفال اللاجئين في البداية بشكل كبير على تبرعات صندوق بولدوين "Baldwin Fund" وهو صندوق تبرعات دعا له رئيس الوزراء السابق ستانلي بولدوين في ديسمبر ١٩٣٨م لحلّ أزمة اللاجئين ونجح في جمع مبلغ ٥٥٠ ألف جنيه استرليني، استخدم منه مبلغ ٢٢٠ ألف جنيه استرليني في دعم تهجير الأطفال من ألمانيا إلى بريطانيا، مما جعل حركة كيندرترانسبورت المستفيد الأكبر من صندوق بولدوين، أما باقي الأطفال فقد تم دعمهم عن طريق الأسر المضيفة أو التبرعات الفردية. يجدر الذكر هنا أن دور الحكومة البريطانية اقتصر فقط على منح تأشيرات الدخول للأطفال، دون أن تكون مسئولة عن الدعم المالي أو الإداري لعملية استقبال وتسكين اللاجئين، وهو ما انتقده البعض واعتبره موقفاً سلبياً من الحكومة غير أن الحكومة أكدت أنها أدت دورها بمجرد السماح للاجئين بالدخول إلى البلاد، أما المساعدات المالية والتنظيمية فهو أمر يستحيل على الحكومة تنفيذه نظراً لارتفاع نسبة البطالة في السنوات الأخيرة بسبب الكساد الكبير؛ فلا شك أن دخول الأطفال كان أقل وطأة وتأثيراً على المجتمع البريطاني وأسلوب حياته حيث تم توزيع الأطفال على الملاجيء والأسر المعيلة بشكل لا يلفت نظر المجتمع لوجود فئة غريبة تهدد سوق العمل؛ على الرغم من ذلك فقد مهّدت

الحكومة البريطانية الطريق لمنظمات إنقاذ اللاجئين الذين بدأوا على الفور في التخطيط لتهجير الأطفال من ألمانيا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وقد تنوعت المراحل العمرية للاجئين بين ثلاثة شهور وسبعة عشر عاماً.

كان نقل الأطفال من ألمانيا إلى بريطانيا تحت رعاية "حركة رعاية أطفال ألمانيا" "Movement for the Care of Children From Germany" التي تأسست في نوفمبر ١٩٣٨م بقيادة مشتركة مسيحية ويهودية وتغيّر اسمها في مارس ١٩٣٩م إلى "حركة الأطفال اللاجئين" "Refugee Children's Movement (RCM)" وكان مقرها منزل بلومزبيري "Bloomsbury House" في لندن؛ وكان دورها الأساسي هو توفير الأسر المعيلة وتثقيف المجتمع بشأن أنشطة الحركة والإشراف على معسكرات اللاجئين. قامت حركة الأطفال اللاجئين بتشكيل لجان إقليمية في مدن عديدة منها مدينة مانشستر "Manchester" وبيرمنجهام "Birmingham" وبريستول "Bristol" وكامبريدج "Cambridge" وباترسي "Battersea"، وبحلول سبتمبر ١٩٣٩م كان هناك ١٢ لجنة محلية و٦٥ لجنة قطاع والتي بلغت ١٧٥ لجنة بنهاية الحرب.

يجدر الذكر أن عمليات نقل الأطفال من ألمانيا لم تقتصر على المؤسسات اليهودية فقط، بل كانت هناك مشاركة من مسيحيي بريطانيا خاصة التابعين لجماعات الكويكرز البروتستانتية، حيث أنه مع احتدام الموقف في ألمانيا والنمسا تضاعفت أعداد الجمعيات والمؤسسات الأهلية المسيحية واليهودية وتضافرت جهودها حتى أصبح هناك مركزان أساسيان يديران عمليات الإنقاذ: المركز المسيحي في منزل بلومزبيري والمركز اليهودي في منزل ووبيرن Woburn House ، ولكي تتمكن حركة الأطفال اللاجئين من إنقاذ أكبر عدد ممكن من الأطفال في أسرع وقت، لم تنتظر توفير أسرة معيلة لكل طفل، بل سارعت في إعداد معسكرات مؤقتة لاستقبال الأطفال وتسكينهم بها حتى يتم نقلهم لاحقاً لأماكن أفضل مع أسرهم البديلة.

عملت حركة الأطفال اللاجئين البريطانية مع مكتب هجرة الأطفال في ألمانيا الذي أسّسه مجلس يهود ألمانيا عام ١٩٣٣م وكانت له مكاتب عديدة في برلين؛ وكانت عملية نقل الأطفال تبدأ بإرسال ولي الأمر استمارة طلب تهجير مع صورة شخصية للطفل إلى مكتب هجرة الأطفال في الأقاليم والتي كانت تُرسل بدورها إلى مكتب هجرة الأطفال الرئيس في برلين، وكانت الاستمارة عبارة عن تفويض من ولي الأمر إلى حركة الأطفال اللاجئين لتولي شئون أطفاله والموافقة على أي خطوة تتخذها اللجنة لصالح الأطفال، في نهاية الاستمارة كان هناك سؤال عن ديانة الطفل حيث كان على ولي الأمر أن يختار ما بين الآتي: "يهودي أورثوذكسي - يهودي ليبرالي - يهودي غير ممارس - بروتستانت - كاثوليكي - كويكر - حُر العقيدة، وكان على ولي الأمر أن يوقع على استمارة تضمن موافقته على تسكين أولاده لدى أي أسرة مهما كانت عقيدتها، حيث واجهت الحركة في بدايتها مشكلة في تسكين الأطفال، إذ كان أغلب الآباء يصرون على إيداع أبنائهم لدى أسر يهودية حتى يضمنوا لهم المعاملة العادلة والالتزام بالعادات اليهودية، وبالطبع لم يكن سهلاً على الحركة أن توفر أسر يهودية لاستضافة آلاف الأطفال اللاجئين حيث أن الإقبال من يهود بريطانيا على استضافة الاطفال اللاجئين كان محدوداً جداً مقارنة بإقبال الأسر المسيحية.

بعد قبول طلب الطفل كانت أوراقه تُرسل مع شهادة صحية إلى حركة الأطفال اللاجئين في لندن ومنها إلى مكتب وزارة الداخلية لإصدار تصريح دخول رسمي نصه كالتالي: "تم إصدار وثيقة الهوية هذه بموافقة حكومة جلالة ملك بريطانيا للسماح للأطفال بالدخول إلى المملكة المتحدة بغرض التعليم تحت رعاية لجنة المساعدة الداخلية للأطفال، ولا تحتاج هذه الوثيقة لتأشيرة دخول"فيزا". بعدها كانت تصريحات الدخول تُرسل بالبريد الجوي إلى ألمانيا وتُسلم للشرطة الألمانية أوّلاً ثمّ إلى منظمات الهجرة لتقوم بتوزيعها على الأطفال.

أما اختيار الأطفال فكان يعتمد بشكل أساسي على مدى خطورة وجودهم في ألمانيا؛ وعليه كانت الأولوية للأيتام، حتى أن بعض الآباء كانوا يتركون أبنائهم على عتبات الملاجيء لمنحهم فرصة أكبر لنقلهم ضمن عمليات كندرترانسبورت؛ ثم يأتي بعدهم الأطفال الذين فقدوا آبائهم في أحد معسكرات الاعتقال أو المراهقين ممّن كانوا هم أنفسهم في حالة إطلاق سراح مشروط برحيلهم عن ألمانيا في أسرع وقت. يجدر الذكر أن حركة الأطفال اللاجئين حرصت في اختيارها للأطفال على مراعاة المجتمع الانجليزي، بمعنى أنها كانت تميل إلى اختيار الأطفال الأكثر قبولاً ولياقةً لضمان اندماجهم في المجتمع الانجليزي دون إثارة نفور أو كراهية الأسر المضيفة، وفي سبيل إعداد الأطفال للرحيل كان وليّ الأمر يقوم بتعليم ابنه أو ابنته اللغة الانجليزية لضمان قدرتهم على التعبير عن أنفسهم أثناء إقامتهم في بريطانيا، بالإضافة إلى تعليمهم بعض المهارات التي قد تمكنهم من الحصول على حرفة ما إذا لزم الأمر؛ حيث سمحت الحكومة البريطانية للأولاد بالعمل في الزراعة والصناعة وللفتيات بالعمل في الخدمة المنزلية. كما كانت هناك تنبيهات على الأطفال من آبائهم ومن مُنظمي حركة الأطفال اللاجئين بأن يلتزموا بحُسن التصرف والظهور بشكل محبوب ولائق، والأهم من ذلك أن الحركة حرصت على إجراء الكشف الطبي على الأطفال للتأكد من عدم قبول أي طفل ذي احتياجات خاصة وذلك لصعوبة توفير أسرة معيلة له.

كان هناك فئتان من الأطفال اللاجئين: أحدهما مكفول من أسرة محددة، والآخر غير مكفول. فكان الطفل المكفول مسبقاً بالطبع أفضل حالاً من غير المكفول، حيث كانت هناك أسرة في انتظاره في بريطانيا تم الاتفاق معها مسبقاً من بين أصدقاء أو أقارب الطفل، أو ممن تطوعوا لاستضافة الطفل استجابة لإحدى إعلانات الصحف، وكانت الأسرة المضيفة تتولى رعاية الطفل وتعليمه حتى يبلغ سن الثامنة عشر، أما الطفل غير المكفول فكان يودع في معسكرات أو ملاجئ مؤقتة حتى يُعثر له على كفيل إذا توفّر، ولا شك أنّه كان هناك فرق شاسع بين الطفل المكفول وغير المكفول حيث

كان الأول يعلم أن هناك أسرة محبة تنتظره وعلى استعداد لتحمل مسئوليته، أما الآخر فكان عليه أن يتحمّل الضغوط النفسية المتوقعة نتيجة لفراق أبويه وأصدقائه، بالإضافة إلى قلقه البالغ بسبب انقطاعه عن دراسته وانتظاره فترات طويلة للانتقال مع أسرة معيلة وبدء حياة مستقرة.

سُمح للأطفال بحمل حقيبة شخصية صغيرة بالإضافة إلى حقيبة سفر تحوي القليل من الأغراض الشخصية غير الثمينة مثل الملابس والدمى والكتب الدينية والصور العائلية (ملحق رقم ١)، كما سُمح لهم بحمل مبلغ من المال يقدر بـ ٤ دولارات فقط. وكان الأطفال يحملون حقائبهم بأنفسهم حيث لم يسمح المنظّمون للآباء بالوصول إلى رصيف القطار لتوديع أطفالهم، بل كان عليهم الانتظار في غرفة بمحطة القطار تم تخصيصها لانتظار الآباء مع أبنائهم قبل الرحيل، إذ أدرك المُنظمون أن ذلك كان كفيلاً بلفت أنظار رواد المحطة من الألمان المتعصبين ضد اليهود وربما قاموا بمضايقة الأطفال أو تعطيل عملية نقلهم؛ لذا تم ترحيل أغلب الأطفال ليلاً من المحطات الرئيسة في برلين وفرانكفورت وفيينا وبراج، كما كان هناك بعض الرحلات المحدودة عن طريق البحر من ميناء هامبورج Hamburg إلى ميناء ساوث هامبتون Southampton. ويجدر الذكر أنّ تلك الرحلات لم تكن مجانية حيث كانت تذكرة القطار مسئولية أسرة الطفل، أما في حالة الأيتام فكانت لجان الهجرة تقوم بتوفير التذاكر. منحت حركة الأطفال اللاجئين بطاقة تعريف لكل طفل تعلق على صدره بها اسمه ورقم هويته (ملحق رقم ٢). اختلطت مشاعر الأطفال اللاجئين عند الرحيل بمزيج من الخوف والقلق وإحساس المغامرة، وبالطبع كان الأطفال الكبار أكثر وعياً بالأزمة وشاركت الفتيات بشكل فعّال في تهدئة الأطفال الصغار وتسليتهم، أما الآباء فقد امتزجت لديهم مشاعر الحزن لفراق أبنائهم والراحة لنجاتهم.

غادر أول قطار للأطفال اللاجئين من ألمانيا في الأول من ديسمبر عام ١٩٣٨م حاملاً ما يقرب من ٢٠٠ طفل من ملجأ ألماني تم تدميره في أحداث ليلة الزجاج

المحطم، بينما غادرت أول سفينة من النمسا حاملة على متنها ٢٠٠ طفل أصغرهم يبلغ من العمر عامين ونصف فقط في العاشر من ديسمبر من نفس العام، في الوقت الذي غادر فيه أول قطار من تشيكوسلوفاكيا في الرابع عشر من مارس ١٩٣٩م. في أغلب الأحوال كانت عمليات نقل الأطفال مأساوية وغير منظمة نظراً للأعداد الكبيرة التي كان يتم نقلها في كل رحلة، ناهيك عن الضجة التي كانت تحدث بسبب بكاء الأطفال صغار السن الذين كانوا بطبيعة الحال أكثر تعلقاً بوالديهم ومن الصعب عليهم إدراك أنه عليهم الرحيل بمفردهم، على عكس الأطفال الأكبر سناً الذين أدركوا أن الرحيل في صالحهم، بل كانوا هم أنفسهم يطلبون من آبائهم أن يتركوهم ليرحلوا بعد ما رأوا من تعذيب وإهانة لهم ولآبائهم؛ كما بلغ اليأس من بعض الآباء الذين لم يستطيعوا تأمين فرصة شرعية لتهجير أبنائهم أن يدفعوا بأبنائهم الرُضع داخل القطار قبل مغادرته مباشرة ثم يختفوا بعيداً عن الأنظار آملين أن تتم رعاية أبنائهم في ظل عدم وجود تصريحات دخول لهم، وبالطبع لم يكن ذلك من السهل في المحطات التي كانت عليها حراسة شديدة، ولكن مع مئات الأطفال الصغار كان من الصعب أن تكون عملية النقل منظمة ودقيقة للغاية لذا استعانت الحركة ببعض المتطوعين من ألمانيا ليقوموا بالإشراف على الرحلة حتى وصول الأطفال إلى انجلترا بشرط أن يعودوا إلى ألمانيا مباشرة حتى لا يُهدد استمرار حركة كيندرترانسبورت بأكملها

عند وصول القطار إلى الحدود الهولندية الألمانية كانت سلطات الحدود الألمانية تقوم بتفتيش الأطفال وأمتعتهم بكل دقة لضمان عدم نقل أي متعلقات ثمينة مثل النقود والجواهر، وقد كانت تلك العملية مخيفة بالنسبة للأطفال حيث كانوا دائماً قلقين من حدوث ما يمنعهم من عبور الحدود في اللحظة الأخيرة، لذا كانت عربات الأطفال دائماً ما تهلّل وتصفّق وتبدأ في الغناء بمجرد انتهاء التفتيش ودخول حدود هولندا الرسمية؛ وقد كانت هناك ترتيبات بين وزارة الخارجية البريطانية والحكومة الهولندية (ملحق رقم ٣) للسماح بعبور أطفال حركة كيندرترانسبورت من خلالها عن

طريق البحر من ميناء مدينة "هوك أوف هولاند" إلى ميناء "هارويتش" البريطاني "Harwich" في رحلة مُدتها ست ساعات، أو في بعض الأحيان إلى لندن مباشرة، وكان استقبال المتطوعين الهولنديين في غاية الترحيب حيث قاموا بتوزيع المشروبات الساخنة والباردة والوجبات الخفيفة على الأطفال للتهدئة من روعهم. وصلت أول مجموعة من أطفال حركة كيندرترانسبورت إلى ميناء هارويتش الانجليزي الساعة الخامسة والنصف صباحاً يوم الجمعة الثاني من ديسمبر عام ١٩٣٨م.

كانت رحلات نقل الأطفال في الشهور الأولى تصل إلى بريطانيا مرتين في الأسبوع، ولكن بحلول يونيو ويوليو عام ١٩٣٩م أصبح موقف الأطفال حرجاً جداً لدرجة أنّ رحلات الإنقاذ كانت تصل إلى لندن يومياً. كانت خطة العمل الأكثر تكراراً هي الوصول إلى هولندا بالقطار ثم عبور القناة من هولندا إلى انجلترا، غير أنه في الأيام القليلة السابقة للحرب منعت قوات الحدود الألمانية عبور القطارات إلى هولندا، فاضطّرت اللجان المنظمة للهجرة إلى تأجير حافلات لنقل الأطفال عبر الحدود من ألمانيا إلى هولندا، لسوء الحظ توقفت رحلات نقل الأطفال من ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا في الأول من سبتمبر عام ١٩٣٩م بعد اجتياح هتلر بولندا وبدء الحرب العالمية الثانية، وفي الرابع عشر من مايو غادرت آخر رحلات كيندرترانسبورت من هولندا قبل دقائق من استسلامها للقوات الألمانية، حيث كانت تلك المجموعة الأخيرة قد وصلت هولندا قبل بدء الحرب وعلقت هناك في انتظار دورها في النقل عبر البحر إلى بريطانيا.

في النداء الأول للمجتمع البريطاني لإعالة الأطفال اللاجئين استجابت ٥٠٠ أسرة على الفور وأبدوا استعدادهم لإستضافة الأطفال؛ وكان المعيل يدفع كفالة طفل بشكل عام دون تحديد هوية الطفل الذي سيقيم معه، إلا في حالة أصدقاء أو أقارب إحدى الأسر اليهودية الذين اختاروا من البداية كفالة طفل بعينه. وكانت الجهات المختصة تجرى الفحوصات الطبية للأطفال بمجرد وصولهم إلى بريطانيا للتأكد من عدم

حملهم لأي أمراض معدية، وعند الانتهاء تقوم بإرسال الأطفال الذين لديهم أسرة معيلة مباشرة بالقطار إلى محطة ليفربول أو محطة فكتوريا لمقابلة الأسر المضيفة التي كانت تصطف بدورها بالأوراق المطلوبة لاستلام الأطفال المُسجّلين لهم؛ أما بالنسبة للأطفال الذين لم يكن لديهم أسرة معيلة فكانوا يرسلون إلى المعسكرات التي أعدّها المتطوعون سابقاً في أماكن متفرقة مثل لندن ومانشستر وليدزوالتي أُعدت بشكل سريع لاستضافة الأطفال وكانت تعتمد على الهدايا والتبرعات من المواطنين.

من أشهر المعسكرات التي كانت تستضيف الأطفال "معسكر دوفركورت للاجئين" "Dovercourt Refugee Camp" حيث كان قريباً من ميناء هارويتش الذي كان بمثابة بوابة اللاجئين إلى بريطانيا في تلك الفترة، وكانت وزارة الصحة الانجليزية حريصة على التأكد من سلامة المعسكر من الأمراض والأوبئة فكانت تُرسل لجان تفتيش للتأكد من ذلك، وكان معسكر دوفركورت معسكر صيفي دائم وذلك لقربه من البحر، وكان عبارة عن مجموعة من الأكواخ الخشبية التي تتسع لنوم فردين أو ثلاثة على الأكثر، كما كانت هناك قاعة كبيرة للترفيه وتناول الطعام وبعض الأكواخ المخصصة للدراسة والجلوس والرعاية الطبية. رغم توفر الإضاءة بالأكواخ إلا أن التدفئة كانت محدودة حيث اعتمدت على بعض المواقد الصغيرة التي اعتاد الأطفال التجمع حولها للحصول على الدفء، وعلى الرغم من توفير الملابس الكافية للأطفال إلا أن البرد كان قاسياً، ورغم الإمكانات المحدودة في تلك الملاجيء غير أن المتطوعين قد عملوا على توفير أكبر قدر من الخدمات للأطفال، وساهم أفراد المجتمع من اليهود وغيرهم في تقديم بعض الخدمات المجانية مثل تدريس اللغة الانجليزية وتقديم الخدمات الطبية وتوفير الطعام والشراب الحلال "الكوشر" "Kosher" وقص الشعر.

وبشكل عام لم تكن الحياة في دور الضيافة سيئة بل كانت أحياناً أفضل من الإقامة لدى أسرة غريبة؛ حيث كانت بلا شك تمنح الأطفال الشعور بالراحة النفسية

والانتماء لوجودهم بين قرنائهم الذين مروا بنفس التجربة البائسة، كما كانت القيادة الدينية حريصة على إقامة الطقوس والاحتفالات للأطفال حتى يخففوا عنهم. وقد كان من المفترض أن يبقى الطفل في معسكرات الضيافة أيام قليلة حتى يتم نقله إلى أسرة مُعيلة، ولكن لم يكن هذا بالأمر السهل حيث كان توفير الأسر المعيلة أمراً مرهقاً ويتطلب الكثير من الوقت، وعليه ازدحمت المعسكرات واضطّر المنظّمون لتوفير عدد أكبر من الملاجيء المؤقتة حتى لا ترفض الحكومة دخول المزيد من الأطفال إلى بريطانيا.

كانت عملية اختيار الأسر المعيلة للأطفال مهينة حتى وصفها البعض أنها "سوق الأحد لبيع الماشية" "Sunday Cattle Market" حيث كانت الأسر الراغبة في إعالة طفل تُدعى لزيارة الملاجيء والمعسكرات لفحص الأطفال والتجول بينهم حتي تنتقي الطفل الأمثل بالنسبة لها، وهو ما كان قاسياً على الطفل الأقل جاذبية الذي كان ينتظر أن يقع عليه الاختيار في كل زيارة ولكن دون جدوى، مما يعني أنه سيضطر إلى الانتظار في الملجأ بينما يذهب غيره من الأطفال الأكثر حظاً ليبدأ حياة جديدة مع أسرة محبة؛ ويجدر الذكر هنا أن الإقبال الأكبر كان على صغار السن من الأولاد والبنات، ويأتي بعدهم الفتيات الأكبر سناً لقدرتهم على المساعدة في أعمال المنزل، أما الفئة التي لم يكن عليها إقبالاً فهي الأولاد البالغين وذلك لصعوبة التعامل مع المراهقين بشكل عام، وعليه كانت معسكرات اللاجئين تمتليء بالأولاد البالغين الذين كانوا مضطرين إلى العمل في المزارع لاستغلال وقت الفراغ في تحسين أوضاعهم باعتمادهم على أنفسهم. ولكن على الرغم من أن عملية الانتقاء تلك كانت أسهل وأسرع طريقة لتوزيع الأطفال على الأسر المعيلة، إلا أنها لم تثبت كفاءتها على الإطلاق في توزيع الأطفال حسب إمكانياتهم وقدراتهم؛ فقد كانت هناك مجموعة من الأطفال المتميزين في أمس الحاجة إلى فرصة لتنمية قدراتهم، ولكن بسبب سوء إدارة تلك المعسكرات تم تسكينهم مع أسر لا تملك الدافعية أو الرغبة في تشجيع هؤلاء الأطفال لاستثمار قدراتهم وطاقاتهم؛ على العكس من أطفال آخرين تم تسكينهم مع أسر منحت لهم الفرص العديدة للتعلم ولكنهم كانوا غير مؤهلين لاستثمار تلك الإمكانات المقدمة لهم بوفرة، ويرجع ذلك كله لأن تلك المعسكرات تم إعدادها بشكل سريع واعتمدت على متطوعين قليلي الخبرة في التعامل مع تلك المواقف وليست لديهم قدرة على التنظيم، حيث كان هدفهم الوحيد هو تسكين أكبر عدد ممكن من الأطفال مع الأسر المعيلة لتوفير أماكن لغيرهم داخل تلك المعسكرات.

كانت الأسر المعيلة في أغلب الأحوال من مسيحيي الطبقة الوسطى أو الطبقة العاملة من كبار السن أو ممّن لم يكن لديهم أبناء، والجدير بالذكر أن المجتمع اليهودي في بريطانيا لم يكن متحمساً على الإطلاق لاستضافة الأطفال اللاجئين كما هو متوقّع؛ رغم أنه كان هناك حوالي ٣٠٠ ألف يهودي في انجلترا في ذلك الوقت، ولكن في الواقع أن المجتمع اليهودي كان على استعداد لدفع التبرعات اللازمة لإنقاذ الأطفال دون استعداد لاستضافة أي طفل بين أفراد عائلاتهم. وقد تنوّعت التجارب التي مرّ بها الأطفال اللاجئين بدرجة كبيرة فكان بعضهم محظوظاً ليصبح فرداً من أفراد تلك الأسرة وينعم بمعاملة كريمة، أما الأقل حظاً فكان يعمل في المنزل كخادم مقابل إقامته مع الأسرة المُعيلة التي لم تقدّم له سوى القليل من الطعام والشراب دون النظر لأي احتياجات عاطفية أو دينية؛ كما اختلفت تجارب الاطفال الذين تم إيداعهم في ملاجيء أو معسكرات حسب الإمكانات والخدمات المتاحة حيث أن نقص الموارد البشرية والمادية جعلت التواصل بين المراكز الإقليمية والإدارة المركزية في منزل بلومزبيري صعباً، مما تسبب في اختلاف مستوى الخدمات المقدمة في كل ملجأ ومن أهم ما ميز دور الضيافة عن الإقامة مع الأسر المعيلة هو إمكانية تعلُّم الأطفال حرفة معينة مثل النجارة والزراعة والأعمال المنزلية، بالإضافة إلى استمرار تعليمهم حتى حصولهم على شهادة الثانوية العامة.

رغم نجاحها في تحقيق أهدافها تسببت حركة كيندرترانسبورت في البداية في خلق بعض التوتر بين منظمات اللاجئين المسيحية واليهودية؛ فقد تسبب تأسيس "حركة حماية أطفال ألمانيا" - التي تحول اسمها لاحقاً إلى "حركة الأطفال اللاجئين" - في خلق عداء بين أعضاء لجنة المساعدات الداخلية الذين رأوا أن تأسيس منظمة بقيادة يهودية خالصة هو انشقاق عن لجنتهم التي نشأت منذ البداية بهدف إنقاذ الأطفال دون التقيد بعقيدة معينة، ولكن في واقع الأمر كانت حركة الأطفال اللاجئين تقبل المساعدات من جميع الجهات المسيحية واليهودية على حد سواء، كما كانت تنقذ الأطفال دون النظر لعقيدتهم؛ وهو ما أثار قلق القيادات اليهودية التي خشيت من عدم مراعاة الجانب الديني لدى الأطفال مما يؤدي إلى عزوفهم عن ممارسة الشعائر اليهودية والتحول في النهاية إلى المسيحية؛ على الجانب الآخر أثارت الكنيسة غضب بعض المسيحيين المتعصبين الذين اعترضوا بشدة على المساعدات التي تقدمها للأطفال اللاجئين، فقد كانت تلك المساعدات من قبل الكنيسة من وجهة نظرهم وكأنها تأييد لليهودية.

لم يكن من المتوقع أن يدخل ما يزيد عن عشرة آلاف طفل يهودي ومسيحي غير آري إلى بريطانيا دون إثارة الجدل؛ فقد ظهرت المشكلات منذ البداية عندما حاولت حركة الأطفال اللاجئين تحديد الهوية الدينية للأطفال حيث رأى البعض أن فرص هؤلاء الأطفال في الحصول على حياة أفضل تعتمد على اتباعهم للكنيسة الانجليزية وترك ديانة آبائهم، وعليه أصبحت التربية الدينية للأطفال اللاجئين موضوعاً شائكاً حيث كانت أغلب المساعدات التي تقدم للأطفال من جهات غير يهودية، ناهيك أن غالبيتهم كان يعيش مع أسر مسيحية ولم يكن من السهل أو المتوقع من تلك الأسر أن تحرص على ممارسة الأطفال لطقوس دينهم، ورغم بعض المحاولات من الأسر النزيهة إلا أن الطفل في أغلب الأحوال كان يتحول مع الوقت - دون أن يدرك أو يتعمد- إلى ممارسة الديانة المسيحية؛ وقد اعترف بعض الأطفال بعد سنوات طويلة في مذكراتهم بأنهم قد شهدوا محاولات جادة متعمدة من قبل بعض الأسر لإجبارهم على التحول إلى الديانة المسيحية. وقد أدركت القيادات الدينية اليهودية أن السبب في ذلك هو غياب الوصاية القانونية من قبل الحكومة على الأطفال اللاجئين مما جعلهم ملكية خاصة للأسرة المعيلة التي كانت تتعامل معه كما تشاء لعلمها أنه لا توجد هناك رقابة عليهم.

كانت القيادات الدينية اليهودية حريصة على التواصل مع الأطفال المقيمين مع أسر مسيحية للحرص على التزامهم بممارسة الطقوس الدينية، لذلك عمل رجال الدين اليهود على توفير أكشاك لتوفير الطعام الحلال "الكوشر" والكتب الدينية، بالإضافة إلى إقامة بعض الأمسيات الموسيقية والدينية في الأماكن ذات الأعداد المرتفعة من الأطفال اللاجئين، أما في الأماكن المعزولة فكان الحاخام غالباً ما يرسل إلى الأطفال رسائل عبر إذاعة الـ"بي بي سي" ".B.B.C" لتشجيع وتهدئة الأطفال محذراً إياهم من تناول اللحوم والمحاريات، كما حذر رجال الدين الجماعات اليهودية المهجرة من إقامة احتفال علني على نطاق واسع مثل الاحتفال بعيد الفصح حتى لا يكون هناك أية إثارة للضغائن من قبل الأسر المسيحية. رغم كل الجهود إلّا أنه في كثير من الأحيان لم يتمكن الأطفال قليلي الحيلة من التواصل مع قياداتهم الدينية فينتهي الأمر باتباعهم الدين المسيحي طوعاً لمجرد حاجتهم إلى الشعور بالترابط الأسري، ربما لسهولة الالتزام بالطقوس الدينية المسيحية تحت رعاية الأسرة المعيلة لهم، وربما كمحاولة منهم لرد جميل تلك الأسر. أصبحت الأمور أكثر استقراراً مع مرور الوقت بالنسبة للأطفال اللاجئين وكانوا دائمي التواصل مع ذويهم عن طريق المراسلة أو الاتصال تليفونياً مرة أو أكثر في الأسبوع، إلى أن قامت الحرب العالمية الثانية بعد حوالي تسعة أشهر من أول رحلة

نقل للأطفال، وتوقفت بذلك حركة كيندرترانسبورت بشكل نهائي باستثناء بعض العمليات التي كانت في طريقها بالفعل من هولندا.

يجدر الذكر هنا أن الحكومة الانجليزية كانت قد اتخذت بعض التدابير الاحتياطية في حالة قيام حرب، وكانت قد بدأت في تلك الترتيبات قبل قيام الحرب بحوالي ثمانية أشهر حيث أرسلت إلى المدارس في يناير ١٩٣٩م ما يفيد بأنه في حالة الحرب سيتم إخلاء جميع أطفال المدارس والأمهات الحوامل، وبعد تصاعد الأحداث في أوروبا صدر أمر الإخلاء في آخر أغسطس ١٩٣٩م وتم بثه بالشفرة " Pied Piper tomorrow" عن طريق إذاعة الـ "بي بي سي"، وفي اليوم التالي مباشرة تم إخلاء ما يقرب من ٣٠٠٠ طفل لاجيء برفقة عشرات الآلاف من أطفال الانجليز إلى الريف دون إخبار المدرسين أو الآباء بوجهة الأطفال. دعمت قوات الإخلاء الأطفال بوجبة عشاء معلّبة وقناع مضاد للغاز وبعض الملابس الثقيلة، وقد ساهمت الحكومة البريطانية في دعم الأطفال اللاجئين غير القادرين على إعالة أنفسهم بمبلغ ست شلنات وهي ما قدّرته الحكومة للتكلفة الأسبوعية لكل طفل، وقد تم الاستيلاء على قرى بأكملها لاستخدامها كمعسكرات لجميع الأطفال؛ أما عن الأطفال اللاجئين فقد حاولت الحكومة إخلاء بعضهم مع الأسر المعيلة لهم إذا أمكن أو إخلائهم مع مدارسهم، وفي بعض الأحيان اضطّرت قوات الإخلاء إلى إجبار بعض العائلات الانجليزية على استضافة الأطفال اللاجئين لعدم وجود أماكن كافية معدة لهم. كانت تلك التجربة قاسية جداً بالنسبة للأطفال اللاجئين حيث كانوا في تلك الحالة أكثر وحدةً وأكثر عُرضة للشكّ من قِبل المواطنين الانجليز خاصةً بسبب عدم قدرتهم على التواصل باللغة الانجليزية وهو ما سبّب لديهم كُرهاً ورغبة في التخلص من لغتهم الأم التي انقلبت ضدهم؛ فكانت لغتهم الألمانية وحدها سبباً كافياً لازدراء وتخوف المجتمع الانجليزي حيث ظنّ الجميع أنّ ولاء هؤلاء الأطفال لابُد وأن يكون لموطنهم الأصلي وليس لبريطانيا، ولم يدرك المجتمع الانجليزي في حالة الحرب الحرجة أن هؤلاء الأطفال هم أنفسهم مطاردون من قبل الألمان.

بحلول سبتمبر عام ١٩٣٩م بلغ تعداد الأجانب من أصول ألمانية ونمساوية المقيمين في بريطانيا حوالي ثمانين ألفاً من جميع الفئات العمرية، وفي ظلّ التوتر الشديد بسبب حالة الحرب لم تفرق الحكومة البريطانية بين الأطفال دون سن الثامنة عشر وغيرهم، فبدأ النظر إلى جميع اللاجئين الألمان على أنهم "طابور خامس"؛ وعليه بدأت الصحافة في تحريك الرأي العام ضد اللاجئين حتى اضطرت الحكومة إلى التدخل خاصة بعد سقوط فرنسا في يد هتلر في ربيع ١٩٤٠. نتيجة لذلك أصدر وزير

الداخلية "سير جون أندرسون" "Sir John Anderson" قراراً في أكتوبر ١٩٣٩م بتأسيس محاكم للنظر في ولاء اللاجئين البالغين تجاه ألمانيا وما إذا كانوا يُمثلون أي خطر على الأمن القومي؛ استثنت الحكومة من ذلك الإجراء أطفال تشيكوسلوفاكيا نظراً لعدائهم الطبيعي لألمانيا والنظام النازي، قامت تلك المحاكم بتصنيف الأطفال اللاجئين إلى ثلاث فئات: (أ) خطر ويُعتقل على الفور، (ب) مشتبه به ويترك حُراً تحت المراقبة، (ج) لا يمثل خطراً على الإطلاق. وقع أغلب الأطفال في الفئة (ب) التي كانت تنعم بحرية محدودة حيث صادرت الحكومة دراجاتهم وآلات التصوير وأجهزة الراديو الخاصة بهم؛ ورغم كل الجهود التي بذلتها الحكومة لتجنب الاعتقال العشوائي لم تتمكن تلك المحاكم التي كان يرأسها شخص واحد فقط من تصنيف اللاجئين بشكل دقيق، فربما كان من السهل إثبات أو نفي تهمة الخيانة عن اللاجئين البالغين أو كبار السن ممّن لهم توجهات سياسية واضحة، أمّا الأطفال الذين سارعوا بالفرار من ألمانيا فليس من الطبيعي أن تكون لديهم ميول سياسية واضحة في تلك السنّ المبكرة وفي ظل تلك الظروف القاسية التي لم تكن في حسبانهم.

بعد أن دخل هتلر هولندا وبلجيكا في ١٠ مايو ١٩٤٠م تولي ونستون تشيرشل وزارة الحرب في اليوم ذاته، وأدرك أنه ليس من الأمان أن يترك اللاجئين الألمان يعيشون بينهم بحرية مسبّبين القلق للحكومة والشعب على حد سواء؛ لذا لم يكتف تشيرشل باعتقال الفئة (أ) التي أُعتبرت خطراً على الأمن، بل أصدر قراراً على الفور - رغم اعتراض البرلمان - باعتقال جميع الذكور بين سنّ السادسة عشر والستين من الجنسية الألمانية أو النمساوية؛ وعليه تم إيداع جميع اللاجئين من الفئة (ب) في معسكرات الاعتقال دون أي تفسير، وبنهاية شهر مايو من نفس العام كانت الحكومة الانجليزية قد اعتقلت جميع اللاجئين من ألمانيا والنمسا فوق سنّ السادسة عشر من الفئتين (ب) و(ج). على الرغم من ثقة الحكومة بأنّ ما يقرب من ٩٠% من اللاجئين لا يمثلون أي خطر إلا أن الظروف كانت تُحتم على الدولة أن تعتقل كل اللاجئين مؤقتاً على أن يتم فحصهم لاحقاً بعد أن تضع الحرب أوزارها؛ إذاً لم يكن الغرض من الاعتقال معاقبة اللاجئين بل كان الأهم أن يتم عزلهم عن أي وسيلة اتصال ممكنة مع الألمان؛ ونظراً لظروف الحرب الطارئة اضطرت الحكومة مؤقتاً إلى وضع المعتقلين في

حظائر الخيول وبعض المستودعات المهجورة حتى تنتهي من تجهيز معسكرات الاعتقال خارج بريطانيا في "جزيرة مان" – جزيرة آيل أوف مان- وأستراليا وكندا.

على الرغم من ذلك لم تكن الأحوال في معسكرات الاعتقال سيئة حيث حرصت الحكومة على توفير الطعام وإقامة الطقوس الدينية وتقديم بعض الخدمات، حتى أن بعض الطلاب تمكنوا من استكمال دراساتهم أثناء وجودهم في المعتقلات، بالإضافة إلى أن وجود الأطفال مع اللاجئين من كبار السن في نفس المعسكر أوجد لدى البعض الشعور بالأسرة واحترام الكبير؛ فعمل الأطباء والمهندسون والفنيون وغيرهم من اللاجئين ذوي الخبرة على نقل خبراتهم إلى هؤلاء الأطفال ومحاولة الاستفادة من وقت الاعتقال في تثقيفهم ومساعدتهم لاستكمال تعليمهم. يجدر الذكر أنه في تلك الفترة الحرجة اعتمد اللاجئون في اتصالهم مع ذويهم على الخطابات التي تُرسَل عن طريق الصليب الأحمر فقط في ظل رقابة شديدة منعتهم من كتابة أكثر من ٢٥ كلمة دون الإشارة إلى بريطانيا أو حتى مجرد ذكر أية أسماء انجليزية.

تسبب قيام الحرب العالمية الثانية في زعزعة استقرار الأطفال اللاجئين بعد شهور أو أسابيع قليلة من دخول بريطانيا الحرب وتسكينهم مع أسرهم البديلة، ورغم سهولة الحياة في البداية خاصة في ظل مقدرة الأطفال على التواصل الدائم مع ذويهم في ألمانيا أو النمسا أو تشيكوسلوفاكيا، إلا أن أحوالهم ساءت كثيراً بمجرد بدء الحرب حيث أصبحوا مرة أخرى في مواجهة مع المجهول؛ وبحلول عام ١٩٤٢م انقطع الاتصال بين معظم الأطفال ووالديهم واستقر في بريطانيا الكثير من الأطفال والشباب الذين نجوا من الاعتقال، وقد أوجدت الحرب فرص عمل لهم ولغيرهم. أما عن الآباء الذين تمكّنوا من مغادرة ألمانيا قبل اندلاع الحرب فقد سنحت الفرصة لاحقاً لجمع شملهم مع أبنائهم الذين هاجروا إلى بريطانيا تحت رعاية حركة كيندرترانسبورت، ولكن في أغلب الأحوال لم يتمكن هؤلاء الأطفال من رؤية ذويهم مرة أخرى.

من الأسباب التي ميزت حركة كيندرترانسبورت عن غيرها من المحاولات العديدة لمساعدة اللاجئين هو سرعة التنظيم وكبر حجم العملية التي وصفت بأنها أكبر حركة بريطانية موجهة لإنقاذ فئة محددة من أي مجتمع؛ ويجدر الذكر أنها لم تكن تلك العملية الأولى لدخول لاجئين من دول متضررة إلى بريطانيا، فقد استقبلت بريطانيا لاجئين في أغسطس ١٩٣٦م أثناء الحرب الأهلية الأسبانية، واستقبلت أطفال لاجئين من بلجيكا أثناء الحرب العالمية الأولى، ولكن ما جعل حركة كيندرترانسبورت مميزة عن غيرها هو السرعة المتناهية في نقل الأطفال بمجرد صدور القرار في أواخر نوفمبر ١٩٣٨م وحتى بدء عملية النقل الأولى التي تمت في الثاني من ديسمبر ١٩٣٨م. تمكّنت حركة كيندرترانسبورت بنهايتها من إنقاذ ١٠٠٠ طفل تقريباً شهرياً في مجموعات مقسمة إلى بضع المئات من الأطفال الذين تراوحت أعمارهم بين ثلاثة شهور وحتى سبعة عشر سنة. ويجدر الذكر أنه أثناء العشرة أشهُر التي شهدت جهود حركة الأطفال اللاجئين كانت هناك عمليات إنقاذ من جهات خيرية مختلفة نجحت جميعها في نقل ٩٣٥٤ طفل منهم ٧٤٨٢ طفل يهودي أي بنسبة ٨٠% من إجمالي من دخلوا بريطانيا، بالإضافة إلى ٤٣١ طفل تم نقلهم قبل أحداث "ليلة الكرستالناخت" عن طريق لجنة المساعدات الداخلية، و٧٠٠ آخرين تم نقلهم عن طريق مؤسسة "شباب عالية" "Youth Aliyah"، و١٠٠ آخرين تم نقلهم عن طريق "اتحاد التجمعات اليهودية الأورثوذكسية" "The Union of Orthodox Hebrew Congregations"، وبذلك تخطى العدد الذي تم إنقاذه في تلك الفترة ١٠ آلاف طفل بتكلفة قدرها مجلس يهود ألمانيا بحوالي ٢٩٠ ألف جنيه استرليني.

رغم أن الحكومة البريطانية وافقت على دخول أطفال اليهود المتضررين من النظام النازي فقط من أجل تهدئة الرأي العام، كما أنها لم تساهم على الإطلاق في تنظيم أو إدارة أو تمويل عمليات النقل، إلا أنها بمجرد الموافقة قد ساهمت في إنقاذ ما يزيد عن عشرة آلاف طفل لم يكن لهم ملجأ حيث أُغلقت أمامهم الأبواب، ولكن ما

يستحق التقدير هو السماح للمنظمات اليهودية الخيرية بتوفير التعليم الديني والخدمات المختلفة التي هوّنت الأمر على الأطفال، ناهيك عن حرص بريطانيا على إخلاء الأطفال اللاجئين مع الأطفال الانجليز في وقت الحرب عندما خشيت من هجوم ألماني على المدن الكبرى؛ فلم تتركهم دون حماية أو ملجأ لأنهم ليسوا انجليز. ورغم أن اتجاه بريطانيا لسياسة الاعتقال الشاملة أثناء الحرب أُنتُقِد كثيراً، إلا أنه كان إجراءً وقائياً لا مفرّ منه، ولا بد أن يؤخذ في الاعتبار هنا المعاملة التي كان لا بأس بها في معسكرات الاعتقال والتي سمحت للكثير من الأطفال والبالغين استكمال تعليمهم بجهود المنظمات اليهودية الانجليزية. ويمكن القول أن الحكومة البريطانية أرادت بهذا العمل أن تحافظ على دورها كإحدى القوى الكبرى في العالم دون استفزاز للقوى العسكرية الألمانية، وهو ما يمثل شكلاً من أشكال المقاومة السلبية أو المواجهة غير المباشرة للنظام النازي.

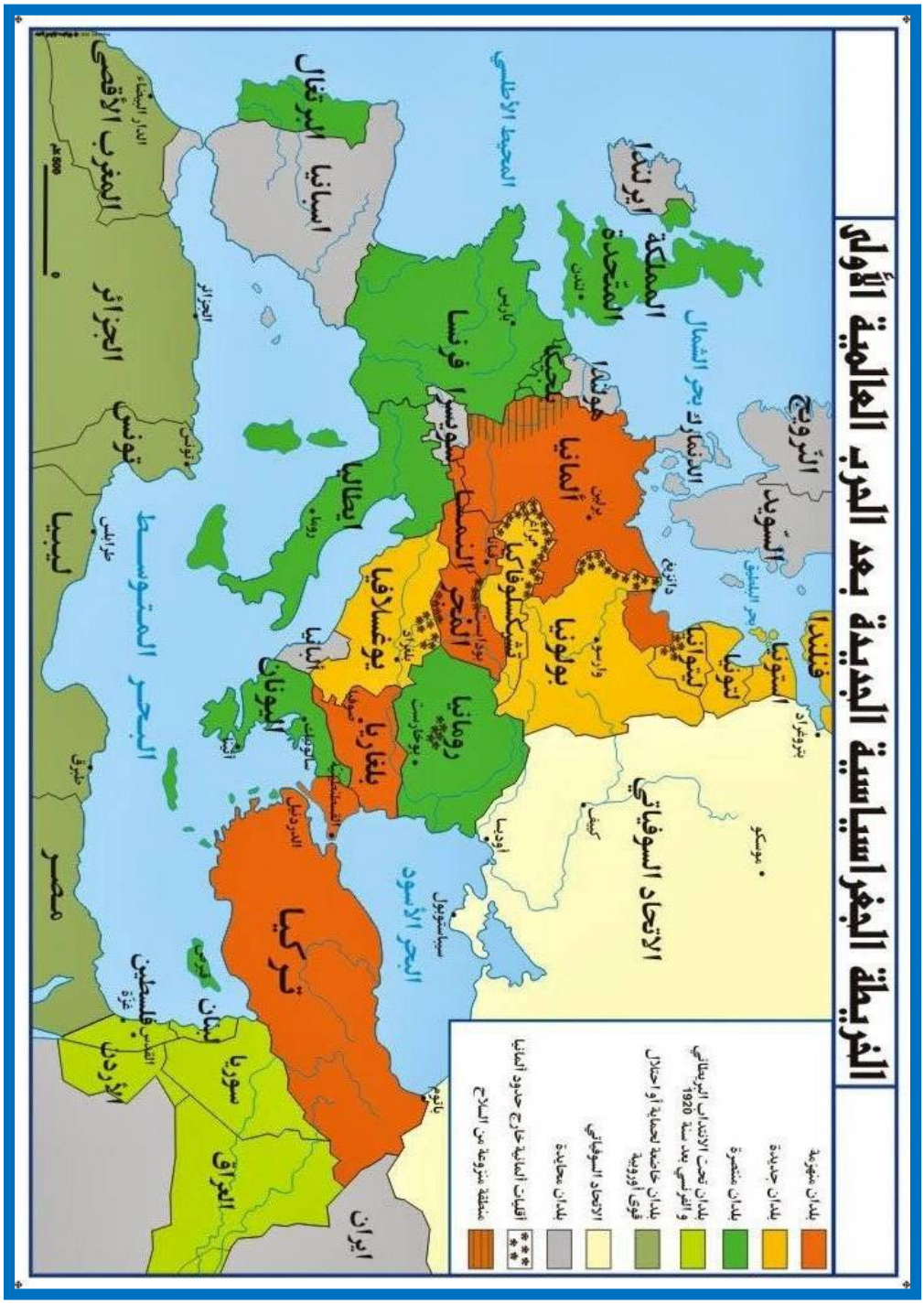
الخريطة الجغرافيا سياسية الجديدة بعد الحرب العالمية الأولى
بلدان متفوقة
بلدان جديدة
بلدان منتصرة
بلدان تحت الانتداب البريطاني و الفرنسي بعد سنة 1920
بلدان خاضعة لحماية أو احتلال قوى أوروبية
الاتحاد السوفياتي
بلدان محايدة
أقليات ألمانية خارج حدود ألمانيا
منطقة متنوعة من الملاح
فنلندا
السويد
النرويج
استونيا
لتونيا
ليتوانيا
الاتحاد السوفياتي
بولونيا
ألمانيا
هولندا
بلجيكا
فرنسا
المملكة المتحدة
ايرلندا
الدنمارك
بحر الشمال
المحيط الأطلسي
سويسرا
النمسا المجر
تشيكوسلوفاكيا
رومانيا
يوغسلافيا
بلغاريا
اليونان
ألبانيا
إيطاليا
اسبانيا
البرتغال
المغرب الأقصى
الجزائر
تونس
ليبيا
مصر
البحر المتوسط
تركيا
سوريا
لبنان
فلسطين
الأردن
العراق
إيران
البحر الأسود

الفصل السابع

أزمات الحرب العالمية الثانية

☒ الحرب الصينية اليابانية

كانت الأزمة الصينية بلا شك إحدى الأزمات الدولية التى أثرت على العلاقات الدولية قيل الح رب العالمية الثانية ، وقد كانت اليابان حاقدة على القيود التى فرضتها عليها سياسة الباب المفتوح فى الصين ، وأغرى اليابان على اختيار الصين مسرحاً لتدخلها " فرض نفوذها " ما بدت عليه الصين من ضعف شديد وانقسامات خطيرة بين قادتها ، ونشوب حروب أهلية بين كبار زعمائها ، ، وهكذا كانت الصين مجالاً فسيحاً لتحقيق أهداف اليابان السياسية وطموحاتها التوسعية ، والواقع أن هذه الأزمة تدل على أن اليابان أصبحت دولة كبيرة ، على نمط النظام الأوربى ، وتزايد عدد سكانها وإنتاجها بصورة كبيرة لا تتناسب مع العدد القليل من المستعمرات التى ورثتها عن الإمبراطورية الألمانية فى الشرق الأقصى أو فى تايوان وكوريا ، (قامت اليابان بضم كوريا عام ١٩١٠) وكان استيلاء اليابان على ميناء بورت آرثر قد شجعها باستمرار على التوسع الاستعمارى فى منشوريا ، وكانت مقاطعة منشوريا ذات أهمية بالغة لليابان استراتيجياً واقتصادياً ، وكانت اليابان تخشى أن تقع هذه المقاطعة تحت النفوذ الشيوعى ، الأمر الذى يهدد مصالحها الاقتصادية فى تلك المناطق إلا أن منشوريا كانت تابعة لجمهورية الصين ، وكانت حكومة الصين الوطنية بزعامة " تشانج كاى شيك Chiang Kai Shek " قد خرجت من وقت قصير من حرب أهلية مدمرة.

وكانت اليابان قد مرت بأزمة داخلية حادة من عام ١٩٣٢ حتى عام ١٩٣٦ ، وكان مركز الاهتمام يتمثل فى الصراع بين الوطنيين المتطرفين والمعتدلين من أجل

الوصول إلى السلطة ، فبعد اغتيال رئيس الوزراء عام ١٩٣٢ أصبح الجنرال " آراكى " وزير الحربية هو صاحب النفوذ المسيطر ، وعمل على تدعيم القوات الحربية والبحرية تمهيداً للعودة إلى برنامج التوسع المسلح ، ولكنه سقط نتيجة الاحتجاجات عام ١٩٣٤ على زيادة الأعباء الضريبية ، وفشلت وزارة الأميرال " أوكادا " فى مواجهة ضغط المتطرفين ، الذين وصلوا إلى الحكم مع وزارة الجنرال " هاياشى. وجاءت الظروف الاقتصادية والصعوبات الاجتماعية لكى تؤيد وجهة نظر المتطرفين فلقد تزايدت الخطورة منذ عام ١٩٢٢ بسبب انخفاض قيمة الصادرات اليابانية ، بعد أن كانت خطيرة فى السنتين السابقتين نتيجة للأزمة الاقتصادية الأمريكية ، وكانت أسباب زيادة الخطورة هذه إلى انخفاض قيمة الجنيه الاسترلينى ، والسياسة الجمركية البريطانية الجديدة التى أعلنتها اتفاقيات " أتاوا " وكذلك إلى مقاطعة الصينيين للمنتجات اليابانية أثناء أزمة منشوريا ، ولقد عملت الحكومة اليابانية إلى خفض قيمة الين بمقدار ٥٠ % ، وحاول رجال الأعمال اليابانيين الوصول إلى زبائن " الشعوب الملونة " فى المستعمرات الأوربية فى آسيا ، وحتى فى أفريقيا.

أما فى قطاع الزراعة فإن الحالة زادت سوءاً نتيجة لتقليل الأمريكيين بعد الأزمة الاقتصادية من مشترواتهم من الحرير الخام ، وزادت نسبة البطالة فى اليابان فاضطر الأهالى إلى تقليل استهلاكهم من الأرز ، واصستمرت قيمة إيجار الأراضى فى الزيادة نتيجة لتزايد التنافس عليها. ساعدت الأزمات الصناعية والزراعية على خدمة حجج أوساط الوطنيين ، وأثبت أنصار " التوسع المسلح " أن سياسة التوسع " السلمى " التى نصح بها كبار رجال الأعمال ، أصبحت غير قادرة على إيجاد حل للصعوبات الاقتصادية والاجتماعية ، وأشاروا إلى حالة التبعية ، وبالتالى لعدم الأمن ، التى يوجد فيها الاقتصاد بالنسبة للخارج.

وكانت الصين لا تزال تعمل بعد ثورتها الوطنية التى بدأت عام ١٩١١ ، على تأسيس جيش حديث وحكومة مركزية ، وإنشاء خطوط مواصلات ، تربط جمهوريتها الشاسعة ، ورغم ذلك فإنها تعتز بموارد منشوريا التى تكون نصف ما تحتاجه الصين من الأخشاب ، و ٤٠ % مما تحتاجه من الفحم والحديد ، وفى عام ١٩٣١ قتل ضابط يابانى فى منشوريا بأيدى العصابات الصينية [٣] ، ويذكر فشر ، " أن قنبلة أطاحت بأرواح عدد من اليابانيين ، كما أغتيل عدد آخر من اليابانيين الساكنين ببعض القرى الصينية واعتدى على أملاكهم فاغتنم الجنرال هاياشى هذه الفرصة للزحف على منشوريا "، وأخذت حكومة تشانج كاى شيك تتبع سياسة استفزازية ضد اليابان ، فهاج الرأى العام اليابانى وطال بتأديب الصين قبل أن يشتد ساعدها ، وكانت اليابان تحتفظ بقوة عسكرية فى منشوريا لحماية خط سكة حديد منشوريا الجنوبية ، وفى ١٨ و ١٩ سبتمبر ١٩٣١ اكتشف اليابانيون أن قوات صينية تحاول نسف الخط ، فحدثت بين الفريقين معركة ، استغلها اليابانيون ، ووسعوا نطاق عملياتهم الحربية ، وما حل ١٥ نوفمبر ١٩٣١ حتى كان شمال منشوريا فى يد القوات اليابانية وفى أوائل يناير ١٩٣٢ كان الجيش اليابانى قد استكمل غزو ولاية منشوريا فلجأت الصين إلى عصبة الأمم للتدخل السريع ، ولكن العصبة أخذت تتحرك فى بطء حيث أعلن مندوب اليابان فى العصبة ، أنه لا توجد لدى حكومته أى نية فى ضم أراضى صينية ، وأن العمليات الحربية التى قامت بها القوات اليابانية ، نجمت عن ضرورة حماية الأملاك والأرواح اليابانية من اعتداءات العصابات الصينية المقصودة ، ورغم هذا الإعلان ، فإن العصبة كونت لجنة للتحرى ، ولكن اليابان كانت قد استطاعت إحكام السيطرة على معظم الأراضى المنشورية ، وكونت فيها حكومة موالية لليابان وأطلقت اسم " مانوشكو Monchukuo " على تلك الأراضى المحتلة.

ولم تستطع لجنة التحرى التابعة للعصبة أن توقف القتال الناشب فى منشوريا وشما ل الصين ، وكل ما فعلته اللجنة ، أنها أدانت العدوان ايابانى ، ومع ذلك فقد

اقترحت تسصوية تجعل النفوذ اليابانى مسيطراً فى منشوريا ، ولكن ذلك كان يعنى فشل العصبة فى حل المشكلة ، وطلبت اليابان من العصبة عدم التدخل فى النزاع ، بل أن الوفد اليابانى انسحب من العصبة ، وفى أواخر مارس ١٩٣٣ أعلنت اليابان رسمياً عزمها على إنهاء عضويتها من العصبة، ثم ادعت أنه لا حق للدول غير الأسيوية بالتدخل فى شئون الشرق الأوسصط ، فقد وضع الاستعماريون اليابانيون خطة لإقامة " نظام جديد " لقارة آسيا ، ومن أجل تحقيق ذلك شرعت اليابان فى تطوير أسطولها البحرى لينافس الأسطولين البريطانى والأمريكى ، وقد أدى ذلك إلى تسابق سياسى وبحرى بين هذه الدول ، وأدى هذا النمو الاستعمارى اليابانى إلى تحول فى سياسة الولايات المتحدة تجاه الاتحاد السوفيتى فاعترفت به تمهيداً لوضع سياسة مشتركة ضد الخطر اليابانى فى الشرق الأقصى ، وفى الوقت نفسه طلبت بسياسة الباب المفتوح فى الصين ، ومع ذلك فقد استمرت اليابان فى محاولاتها التى تهدف إلى وضع الصين كلها تحت السيطرة الاقتصادية اليابانية ، وقد رفضت الصين أن تصبح مستعمرة يابانية

ولما رأت اليابان أن غزوها منشوريا لم يترتب عليه إلا بعض الاحتجاجات الشفوية ، وغادرت العصبة وغزت الصين نفسها حيث احتلت ولاية " جيهول " الشمالية تلقاء مقاومة تافهة ، وكان السبب فى ذلك أن تشانج كاى شيك كان لا يزال شديد الانشغال بإخضاع الشيوعيين ، على أن سياسة روسيا الجديدة كانت وصلت عند ذلك إلى الصين ، وتجلت نتائجها فى حادثة تسترعى الاهتمام بطريقتها الصينية ، إذ أن ابن أمير الحرب الذى طرده اليابانيون من منشوريا اختطف القائد تشانج كاى شيك عام ١٩٣٦ ، ثم حمله معه إلى مركز القيادة العليا للجنرال ماو تسى تونج قائد جيش الشيوعيين وبدلاً من إعدامه تفاهم معه ماو تسى تونج وزملاءه حول الخطر اليابانى الداهم وأحضرت زوجة تشانج كاى شيك لتشترك فى التباحثات ، وفى نهاية التباحث أعلن الطرفان إنهما قد حصلا على الاستنارة وتعاهدا على الاتحاد لمقاومة الغزو وجاء ذلك فى أنسب أوقاته ، إذ أن اليابانيين بدأوا فى السنة التالية غزواً كاملاً للصين ،

واستولوا على بكين وضربوا بقنابلهم المدن الصينية وأحرقوها، حيث تناسى الزعيمان (شيك الوطنى – وماو تسى الشيوعى) خلافاتهما العقائدية فى سبيل توحيد كل الجهود ضد العدو اليابانى المشترك ، واستطاعت الصين أن تصمد فى وجه اليابان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

وقد ازداد نفوذ الحزب العسكرى فى اليابان بعد إقدامه على اغتيال رئيس الوزراء ، وعدد من الوزراء كما سبقت الإشارة ، استعداداً للتسليح الحربى والنمو الاقتصادى لعملية استكمال غزو الصين. وفى صيف ١٩٣٧ وقع تصادم بين الجنود اليابانيين الذين كانوا يجرون بعض المناورات والجنود الصينيين المرابطين على جسر ماركو بولو على مقربة من بلدة بيبنج ويعرف هذا التصادم " بحادث الصين " ذلك أن الجيش اليابانى قام على أثره بالزحف على الأراضى الصينية والحق أن قادة اليابان العسكريين أخطأوا تقدير قدرات الصين على الكفاح والتصميم وشتركت الدولتان فى حرب ضروس طويلة ، ما لبثت أن امتدت إلى الحرب العالمية الثانية وبرغم أن اليابان أعلنت أن الحرب لم يتسع مداها ، إلا أن الجيوش اليابانية احتلت عاصمة نانكينغ فى ديسمبر ١٩٣٧ أى بعد خمسة شهور فقط من بدء الحرب وانتشرت العمليات العسكرية على نطاق واسع داخل الصين ، كما وقعت معارك كثيرة أخرى على أثرها احتلت اليابان العديد من المدن والنقاط الصينية الهامة ، بالإضافة إلى ذلك وقعت معركة مع روسيا بالقرب من نوهانمون فى عام ١٩٣٩ ، وفى الوقت الذى كادت أن تعقد فيه هناك هدنة قامت الجيوش الألمانية باجتياح بولندا ، وبدأت الحرب العالمية الثانية

☒ الحرب الحبشية الإيطالية ١٩٣٥ ــ ١٩٣٦

كانت الحبشة موضوعاً قديماً للطموح الإيطالى ومسرحاً لهزيمتها الفادحة فى عدوة عام ١٨٩٦ ، وكان الثأر العدوى أحد شعارات التفاخر الفاشى، وقنع الإيطاليون فى شرق أفريقيا بشريط ساحلى ضيق ، وبعد مؤتمر الصلح ١٩١٩ أدرك الإيطاليون

أن أطماعهم الاستعمارية لم تتحقق ، لذلك أدرك " موسيلينى Benito Musslini " أنه من الضرورى أن يحقق لإيطاليا ما كانت ترنو إليه فى الحبشة والانتقام لما حدث للإطاليين فى موقعة عدوة.

وكانت أثيوبيا دولة مسيحية تحت حكم حاكم وطنى وهو " هلا سيلاسى Haile Selassie " وقد أصبحت هذه الدولة دولة داخلية منذ أن انتشرت المستعمرات الإيطالية فى الصومال الإيطالى وأريتريا ، والمستعمرات الفرنسية فى الصومال الفرنسى الذى يعرف اليوم بجيبوتى والمستعمرات البريطانية فى السودان والصومال الإنجليزى ، وكانت إيطاليا حاقدة على سيطرة فرنسا وبريطانيا على المستعمرات الألمانية السابقة فى أفريقيا وترى أن أثيوبيا هى مجالها الحيوى فى شرق أفريقيا وخاصة أن السيطرة الإيطالية على تلك البلاد تربط المستعمرات الإيطالية فى شرق أفريقيا بعضها ببعض ، كما أن احتلال أثيوبيا يحقق عدة أهداف أخرى إيطالية وأوربية ، ومن بينها أن الإيطاليين لازالوا يذكرون الهزيمة القاسية التى تعرضت لها القوات الإيطالية فى موقعة عدوة على يد الملك " منليك Menelik " كما كان موسيلينى يسعى إلى إثبات القدرة على النصر توطيدا لنظرية التفوق الإيطالى على يد الزعيم موسيلينى والحزب الفاشستى الإيطالى ، ومن ناحية أخرى كانت أوربا تتعصب لنظرية التفوق الأوربى " رسالة الرجل الأبيض الإنسانية " حتى لو تم ذلك على حساب الأفريقيين · وأرسل موسلينى قوات ومعدات حربية هائلة ، وزحفت كتائبه فى أكتوبر ١٩٣٥ على تلك البلاد ، واستصرخ النجاشى هيلاسيلاسى العصبة بأن تمد له يد الغوث ، بعد أن تعرضت بلاده لفتك جميع المعدات الحربية لدولة أوربية فى المصفحات والطائرات والغازات السامة.

وبعد مناقشات طويلة أعلنت العصبة فى أكتوبر أن إيطاليا دولة معتدية وقررت فى الشهر التالى توقيع " العقوبات الاقتصادية " التى يفرضها ميثاق العصبة فى مثل هذه

الحالة على الدول المعتدية ، فطلبت من الدول الأعضاء أن تمتنع عن مدها بالسلاح والمال ، وفرضت الحصار البحرى عليها ، بيد أن إيطاليا كانت تملك من الأسلحة والموارد – ما عدا البترول – ما يكفيها للإجهاز على فريستها (الحبشة) ، ورفضت أغلبية الدول الأعضاء أن تدخل فى قائمة المواد المحظورة الحديد والصلب والقصدير وزيت البترول ، الأمر الذى جعل من " العقوبات الاقتصادية " مهزلة كبرى ، وأضعف إلى مدى بعيد نفوذها الأدبى وسلطانها القانونى ، فى حين كان يقصد فى الحقيقة من وراء تطبيق المادة السادسة عشر من عهد العصبة أن يكون قطع العلاقات التجارية والمالية مع الدولة المعتدية خطورة تمهيدية لعمل حربى حاسم تقوم به جميع الدول الأعضاء.

وكانت العلاقات الاقتصادية بين إيطاليا وأثيوبيا تنمو بدرجة ملحوظة وفق خطة إيطالية مدروسة ، بالرغم من أن إيطاليا قد وقعت ميثاق صداقة مع أثيوبيا فى عام ١٩٢٨ إلا أن التغلغل الاقتصادى كان ينمو بصورة تهدد استقلال أثيوبيا وقد زادت الضغوط الإيطالية على أثيوبيا تمهيداً للاستيلاء عليها فى الوقت المناسب .

وفى عام ١٩٣٤ وقع نزاع مسلح بين القوات الإيطالية والأثيوبية حول تبعية قرية " وال وال Wal Wal " وقد قتل فى هذا الحادث حوالى الثلاثين من القوات الإيطالية ، وبالرغم من أن القوات الإيطالية قد استولت على وال وال ، إلا أن موسيلينى قد أمعن فى المطالبة بالتعويضات ورفض أية مناقشة بشأن التحقيق من تبعية القرية للصومال الإيطالى.

وفى يناير ١٩٣٥ أعلن موسيلينى أنه إذا لم تسو الحادثة بشكل يرضى إيطاليا فإن تسلسل الأحداث سيتقرر كلياً بوجهة النظر الإيطالية ، أى دون عمل حساب لتوصيات وقرارات عصبة الأمم ، وكانت الحرب حرباً بين قوتين غير متكافئتين ، من حيث السلاح والتدريب وقوة النيران ، وانتهت فى صالح إيطاليا التى تمكنت من احتلال

أثيوبيا وضمها مع أريتريا وصوماليا فيما أصبح يكون إمبراطورية ، أما النجاشى فإنه فر إلى أوربا ، حيث أخذ هناك يشرح ما حل به من الظلم والتعدى لا سيما فى جمعية الأمم ، وظل يعيش فى المنفى حتى وقت الحرب العالمية الثانية التى سينتهز فرصتها للعودة إلى بلاده بمساعدة الإنجليز.

☒ الحرب الأهلية الأسبانية ١٩٣٦ ــ ١٩٣٩

فى أبريل ١٩٣١ انهارت الملكية الأسبانية وتحولت أسبانيا إلى جمهورية ، فانسحبت الأسرة المالكة من الميدان بسلام ، وقد حاول مغامر عسكرى اسمه " فرانكو Franco " عام ١٩٣١ أن يعلن تصريحاً جمهورياً يقوم فى ظل الملكية ثم عفت الحكو مة عنه ووكلت إليه أمرة أحد الجيوش بمراكش ، وهناك أعلن الثورة على الحكومة المكافحة للأهوال بمدريد (١٩٣٦) وغزا أسبانيا بجيش من المغاربة ، مدعياً أنه سيرد النظام إلى نصابه ويعيد المسيحية ، وحقوق الامتلاك ، وأيدته حكومتا الأقليات المطلقة بألمانيا وإيطاليا ، التى رأت فى أسبانيا احتمالات القيام بحركات خارجية فى الكفاح المقبل بينها وبين دول الأطلنطى شبه المتحررة ، ثم تلقى كذلك بركات الفاتيكان ، كما حصل أيضاً على عطف من العناصر الرجعية فى الحكومات البريطانية والفرنسية ، وقد بذلوا قصارى جهدهم منذ البداية لتعويض وصول المساعدات والذخائر للحكومة الأسبانية الشرعية واعترف كل جنتلمانية أوربا بأن فرانكو إنما هو جنتلمان مسيحى ، فاندفع قدماً نحو مدريد ، ولكن جند الحكومة صدوه وأوقفوه مكانه ، وأصبحت أسبانيا منذ ذلك الوقت مسرحاً للمظاهرات لمجموعات القوى الثلاث التى كانت تشغل البشرية آنذاك.

ومنذ إعلان الجمهورية عام ١٩٣١ عمل البرلمان الأسبانى على قرار تغييرات اقتصادية ودينية شاملة ، ولكن بقيت الأمور على حالها من القلق وعدم الاستقرار وتعددت الوزارات خلال الأعوام الأربعة التالية ، وحاولت كل وزارة أن تفرض سياسة

إصلاحية فى ملكية الأرض ، والحد من نفوذ الكنيسة ، وتطبيق لون من الإشراف الحكومى على الصناعة ، وإن لم يبلغ هذا اللون من الإشراف درجة تأميم المصانع .

وقابلت العناصر الأسبانية المحافظة هذه الإصلاحات بالسخط ، وتفاقم النزاع بينها وبين الطوائف الراديكالية ، وأجرى عام ١٩٣٦ انتخاب عام جاء بأغلبية ضئيلة فى صف الحكومة الشعبية ، فاضطرمت على الأثر الفتن وكثرت الاضطرابات ، وتشجع الوطنيون يشد أزرهم كبار ضباط الجيش وملاك الأرض والكنيسة قاموا بحركة انقلاب بغية انتزاع الحكم من أيدى الجمهوريين المعتدلين ، ثم كانت حركة الانشقاق التى قام بها فرانكو والتى سبق ذكرها فزاد التمرد والعصيان ، وشبت حرب أهلية لا مثيل لها فى وحشيتها وويلاتها بين أنصار الملكية والكنيسة وملاك الأرض وأصحاب المهن الحرة من جانب ، والأحرار والاشتراكيين والشيوعيين والفوضويين والوطنيين من أهل مقاطعة " الباسك " (وكانت حكومة الجمهورية قد وعدتهم بمنح مقاطعتهم الاستقلال الذاتى) من جانب آخر، واشتدت الفوضى التى رفع لواءها النقابيون والشيوعيون ، واقتتل الناس فى شوارع مدريد وعجزت الحكومة عن حفظ النظام ومنع الاعتداءات على الأرواح وهدم الكنائس ودور الصحف وقتل الخصوم.

اشتدت الخلافات بين مختلف الجهات وكثرت الاضطرابات بين أنصار اليمين واليسار على السواء ، وكانت عناصر الجيش أشد ما كانت تخشاه الحكومة من خطر عليها لذا أصدرت أمراً بإحالة جميع الضباط الذين يشتغلون بالسياسة إلى التقاعد ونفت البعض الآخر إلى أماكن بعيدة وكان من المبعدين الجنرال " فرانشيسكو فرانكو " الذى نفى إلى جزر " كنارى " ولذا فإن الجمهورية أصبحت مهددة بالخطر فى أى وقت وتتابعت الأحداث العنيفة التى مهدت للحرب الأهلية التى بدأت فى ١٧ يوليو ١٩٣٦ ، حيث قامت عدة فرق أسبانية كانت ترابط فى مراكش بحركة عصيان قادها فرانكو الذى غادر جزر كنارى إلى مراكش ليرأس الثورة ، وفى نفس الوقت حاول بعض قواد

الجيش فى داخل أسبانيا القيام بانقلاب لمصلحة الملكيين ، وصار فرانكو فى نظر أعداء الحكومة هو الزعيم الأوحد الذى وضعوا فيه آمالهم لإسقاط نظام الحكم .

وكان أنصار فرانكو يهدفون إلى تحقيق مثمر وسريع من خلال ثلاث خطوات هى :

١- الاستيلاء على مراكش الأسبانية .

٢- الاستيلاء على عواصم الأقاليم .

٣- إسقاط الحكومة فى مدريد .

نجحت الثورة فعلاً فى تحقيق الهدف الأول أما الهدفين الثانى والثالث فكان تحقيقهما من الصعوبة بمكان نتيجة للمقاومة الشديدة التى أبداها أنصار الحكومة ، وفشلت عصبة الأمم فى فرض حلول للموقف ، واستمر فرانكو فى توجيه ضرباته إلى قوات الحكومة حتى سقطت برشلونة فى يناير ١٩٣٩ ثم مدريد فى مارس ، وانتهت بذلك الحرب الأهلية فى أسبانيا وأعلنت كل من فرنسا وإيطاليا اعترافها بحكومة فرانكو الذى أسس حكومة كاثوليكية دكتاتورية ، أنزلت العقوبات والانتقام بجميع معارضيها وخصوصاً السياسيين ، وأعلن فرانكو حياد أسبانيا عندما حدثت أزمة تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٣٨ ، مما جعل هتلر يسخط على فرانكو الذى أعلن استقلال سياسته ، وبقيت أسبانيا دولة محايدة أثناء الحرب العالمية الثانية ولكنها بقيت على عدائها للاتحاد السوفيتى .

وبذلك كانت الحرب الأهلية فى أسبانيا أحد الطرق التى أزمت الجو العالمى قبل الحرب العالمية الثانية بل قادت إليها رغم أن أسبانيا وقفت أثناء الحرب على الحياد ، ولكن كان لها أثرها حيث نجح هتلر فى أن يشغل كل من بريطانيا وفرنسا بهذه الحرب عن مراقبة أطماعه فى وسط أوربا ويمنع قيام جبهة بريطانية فرنسية إيطالية ضد ألمانيا بل أنه نجح فى أن يجعل إيطاليا تزيد من اعتمادها على ألمانيا بعد أن تكبدت

إيطاليا كثيراً من التضحيات والخسائر فى سيل فرانكو [٢٢] ، فما كاد موسيلينى ينفض يده من قضية الحبشة حتى عاد إلى موقفه العدائى حيال فرنسا ، كاشفاً عن غايته فى الحرب الأهلية الأسبانية بين الجنرال فرانكو وحكومة الجمهورية الأسبانية التى كان يديرها الرئيس " أزانا " ورئيس الوزارة " نكرين " وخشية أن تتدخل حكومة الجبهة الشعبية الفرنسية تدخلاً ظاهراً لمعاونة الجمهوريين لوّح موسيلينى بالحرب ، وأسرف فى التدخل العسكرى والتأهب الكبير الذى قال عنه مفاخراً : " أن ثمانية ملايين حربة على أتم الاستعداد حتى تقرر أوربا " ، ولكى يولّد موسيلينى فى النفوس فكرة الحرب والخطر الحقيقى فقام بزيارة هتلر فى برلين ويوقع معه الاتفاق الألمانى الإيطالى .

وكان هتلر يغرر بموسيلينى ويدعوه إلى كثرة الطلب من فرنسا ضامناً له الإمبراطورية الفرنسية بعد انتهاء الحرب فانقاد موسولينى إلى هذه الخدعة وأفسح المجال أمام قواد ألمانيا لدراسة الأماكن الحربية فى المستعمرات الإيطالية وجزر المتوسط ، وكان القصد أن تتم السيطرة على جزئى البحر المتوسط الشرقى والغربى ، حيث جزيرة ميورقة فى الجزء الغربى ، وألبانيا وسيسيليا وجزر الدوديكانيز وليبيا فى الجزء الشرقى ، وذلك للتحكم فى باب الأدرياتيك ومضيق تونس وبحر إيجة ، وليبيا تهدد مصر وقناة السويس ، وهذه القواعد مجتمعة تغلق البحر المتوسط وتضيق الخناق على تركيا واليونان وتلقى مصر بين أيدى الجيوش النازية ، وبالتالى يتم حصار الأساطيل الفرنسية والبريطانية فى البحر المتوسط وتمنع النجدات عنها فى حالة الحصار حتى يتم فتح مصر والسودان والبلدان العربية ، وبذلك تتصل حلقات السلسلة مع الحبشة ويتم السيطرة على باب المندب ومضيق اليمن ، وبالتالى شرق أفريقيا.

عمل الرئيس روزفلت على أن يحذو حذو الدول الأخرى وأن يتبع سياسة عدم التدخل وحصل على قرار خاص لتطبيق حظر الأسلحة على الحكومة الأسبانية الشرعية وعلى الجنرال فرانكو الذى أقصاها عن الحكم ، وعلى أية حال فقد كان عدم التدخل

خرافة ، إذ أنه كان معروفاً أن هتر وموسيلينى يساعدان فرانكو بينما كان الاتحاد السوفيتى يؤيد الحكومة الأسبانية ، والواقع أن روزفلت ذكر أن الخطر كان أكثر فائدة للحكومة الأسبانية منه لفرانكو ، ولكنه كان من الصواب تماماً لو أنه سمح بأن تذهب المساعدة امريكية إلى الحكومة لا إلى الثوار.

التوسع الألمانى فى أوربا الوسطى

☒ إنشاء المحور :

كان هتلر عدواً لدوداً للشيوعية ، فأصلى الشيوعيين الألمان حرباً قاسية وسلط عليهم عذاباً أليماً ، ورأى فى اليابان العسكرية وإيطاليا الفاشستية حليفتين طبيعيتين فوثق علاقاته بهما ، وفى خريف ١٩٣٩ أمضت اليابان وألمانيا ميثاقاً ضد الشيوعية ، ثم انضمت إيطاليا إلى هذا الميثاق ، فقد سبق لموسيلينى أن زار ألمانيا فى أواخر سبتمبر ١٩٣٧ حيث أعلن الزعيمان إقامة " محور برلين – روما " بوصفه تحالفاً سياسياً ذا أهمية لا تقدر (لخير أوربا وحفظ السلام فى ربوعها) ثم أفلح هتلر فى عقد حلف كبير معاد للشيوعية يضم ألمانيا واليابان وإيطاليا وأسبانيا وهنغاريا (المجر) ٠

وأشعرته محالفاته الجديدة بالأمان ، وملأت قواته الحربية الجديدة نفسه بالثقة ، وشجعه تقاعس حكومتى فرنسا وبريطانيا ، وتدهور الروح المعنوية فى شعبيتهما ، وعزلة الحكومة السوفيتية ، شجعته هذه العوامل على الشروع فى تحقيق سياسات كبيرة الأطماع من التوسع الإقليمى.

وهذا دعا بريطانيا إلى سياسة توثيق تحالفها مع فرنسا ، بعد أن أشرف هذا التحالف على التداعى والانهيار ، وكان " تشيمبرلين " رئيس الوزارة قد قدم (فبراير ١٩٣٧) إلى مجلس العموم طلباً برصد أربعمائة مليون جنيه تنفق فى سنة واحدة على إعادة تسليح بريطانيا ، على أن يزاد هذا المبلغ إلى ألف مليون وخمسمائة مليون جنيه

تنفق على التسلح فى بحر خمسة أعوام. أما عن الرايخ الألمانى : فقد أجبرت الحكومة الألمانية المستشار الألمانى (١٢ فبراير ١٩٣٨) على أن يضم إلى وزارته أحد الاشتراكيين الوطنيين وهو قائد الشرطة الذى أظهر أن فى وسعه تحقيق الوحدة من الداخل وشجع زعيمهم الألمان الانفصاليين فى تشيكوسلوفاكيا على أن يطالب بحق الألمان السوديت فى اعتناق القومية الألمانية وفلسفة العالم الألمانى وكانت النتيجة : إنشاء الرايخ الأكبر الذى اشتمل على ٨٠ مليون من الأهالى والحصول على مناطق صناعية كانت أهميتها أساسية من أجل الانتاج المعدنى ، وأخيراً تفكك النظام الفرنسى ، وازدياد الهيبة الألمانية فى أوربا الدانوبية (نسبة إلى نهر الدانوب) والبلقانية حيث وجدت الاشتراكية .

قصدت ألمانيا من محور برلين – روما سحب إيطاليا إلى جانبها بدون قتال حتى تكون آخر دولة كانت تأمل الفوز بها ، وقد تمكن هتلر من ذلك فازداد ريحه بها إذ عدها فى سره من الغنائم والأسلاب ، وكانت ألمانيا من المحور مركز الخطر الأول الذى أحيا المطامع الجرمانية فى غربى أوربا ، فإعلانها التجنيد الإجبارى وإرصاد المبالغ الهائلة على التسلح واحتلال الراين والنمسا والسوديت دون أن تسفك نقطة دم جندى ألمانى واحد نبه إنجلترا إلى الخطر الكبير ودعاها إلى استشارة الرئيس روزفلت فى كبح هذه الأطماع التى لا حد لها كما أن عمليات الضم التى سوف يقوم بها هتلر سوف تضمن له كميات كبيرة من المواد الغذائية لسد حاجة نسبة كبيرة من الألمان .

☒ ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا :

كان هتلر يهدف إلى ثلاثة أهداف رئيسية وهى : توحيد جميع الألمان فى دولة واحدة ، وسيطرة ألمانيا على أوربا الوسطى ، وإقامة دولة جماعية كبرى تكون بمثابة حد حاجز ضد هيمنة الشيوعية على أوربا وقد التقت ورائه السواد الأكبر من الأمة الألمانية شعارهم " أمة واحدة ، وحكومة واحدة ، وزعيم واحد " هذا الحماس ساعد

هتر على الشروع فى تنفيذ سياسات كبيرة الطموحات من التوسع الإقليمى ، وهكذا بعد أن استعادت ألمانيا قوتها العسكرية وهيبتها الدولية ، وبعد أن ضمت إقليم السار وقامت بتحصين أراضى الراين ، وبعد أن تحولت بلجيكا وبولندا وبريطانيا إلى الحياد ، قرر هتلر الرجوع فى تنفيذ العملية الكبرى التى كان يخطط لها منذ زمن طويل ، وهى ضم النمسا.

ومن المبررات لتدخل هتلر فى شئون النمسا الداخلية ، نمو قوة الحزب النازى داخل النمسا ، وتطلع هذا الحزب إلى التأييد الألمانى ، وهكذا وجه هتلر فى فبراير ١٩٣٨ إنذاراً إلى رئيس وزراء النمسا " كورت فول شوشنج K. V. Schushung " بضرورة إعطاء عدداً من الحقائب الوزارية للحزب النازى فى النمسا ، وبعد فترة وجه هتلر إنذاراً آخر يطالب بإسناد الحكم إلى " آرثر سايس انكوارت A. S. Inquart " الزعيم النازى النمساوى واستطاع آرثر أن يصل إلى منصب رئيس الوزراء ، بالرغم من المعارضة الشديدة من قبل رئيس الجمهورية النمساوية (كولاسى) ، كما استغل هتلر فرصة قيام الحكومة النمساوية بالقبض على الألمان الموجودين فى النمسا بتهمة الإعداد للقيام بانقلاب للاستيلاء على النمسا وضمها لألمانيا ، وأعطى ذلك لهتلر حجة ضمها لألمانيا ، بل زاد على ذلك أن أجرى استفتاء فى النمسا جاء فى صالح ضمها لألمانيا ، وقد استغل هتلر هذه التطورات ، ففى ١٢ مارس ١٩٣٨ أرسل قواته إلى النمسا ، وإن لاقت فى ذلك بعض الصعوبات حيث لم تكن القوات مجهزة للحركة ، وتحطمت ٧% من عرباتهم عبر الطريق من الحدود إلى فيينا ، ودخل النمسا ، ثم اتخذ قراراً مفاجئاً ، بدلاً من إقامة حكومة ائتلافية فى فيينا ، فإنه سوف يضم النمسا إلى الرايخ .

وكانت النمسا بلاداً تتألف غالبية أهلها من الجنس الجرمانى ، وكانت دولة صغيرة ، ولكن كانت تحتل مركزاً استراتيجياً هاماً فى طريق ألمانيا إلى كل من إيطاليا

وتشيكوسلوفاكيا ، لذلك قرر هتلر فى أواخر ١٩٣٧ العمل على إدماجها بألمانيا ، وإرجاع نحو عشرة ملايين ألمانى يقطنون عبر الحدود إلى حظيرة الوطن الأكبر.

أصبح هناك طابور خامس عمل على السيطرة على قوات الجيش والبوليس النمساوية ، وبعد يومين (١٤ مارس) أعلن هتلر رسمياً اتحاد النمسا بألمانيا ، وبذلك تمكن من ضم سبعة ملايين نسمة إلى الرايخ دون أن يطلق رصاصة واحدة ، ومكنت هذه الملايين السبعة هتلر من زيادة قواته من ٢٧ فرقة إلى ٥٥ فرقة ، وجعل ممر برنر حداً فاصلاً بينه وبين إيطاليا ، وتطويق جناح تشيكوسلوفاكيا وإقامة حاجز فعال بين روسيا وفرنسا، وبعد إتمام الاحتلال تم سجن " شوشبخ " الدكتاتور الكاثوليكى الذى خلف " دولفوس " وبدأت حركة المذابح والسجن التى ينزلونها عادة باليهود وأعداء الفاشية.

أما بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا فقد كانت وحدة من الكيانات السياسية الجديدة بعد الحرب العالمية الأولى ، ضمت المقاطعات التى وقعت فى الإمبراطورية السابقة منها بوهيميا وموراڤيا وسلوفاكيا ، ومن بين بلدان تلك المنطقة بدأت تشيكوسلوفاكيا رغم أنها تخلو من صراعات عرقية جوهرية على أنها التجربة الديمقراطية الوحيدة التى حققت نجاحاً ، كما كانت تمتلك نظاماً برلمانياً فعالاً تقوم على التوصية الجيدة للقوى النيابية وهو الشئ الذى استلهمه من مثيله الأمريكى وعند تأسيسها فى عام ١٩١٨ فإن جمهورية تشيكوسلوفاكيا أظهرت تسامحاً مع المعارضة السياسية بما فيهم الشيوعيين ولكنها فشلت فى إرضاء مشاعر السلوفاك القومية القوية ، وكان الأب المؤسس لأول جمهورية تشيكوسلوفاكية وهو " توماس ج ٠ مزاريك .Tomas G Masaryk " مقتنعاً بأن النمو الاقتصادى والاجتماعى سيكون كافياً لمحو الخلافات القائمة بين التشيكيين Czecks والسلوفاكيين Slovak وقد اتهم المجربون بأنهم أول من طرح فكرة القومية السلافية ، ومن ناحية أخرى بدت تشيكوسلوفاكيا بما تملكه

من تقدم تكنولوجى مثالاً جيداً إذا ما قورنت بالمستوى الاقتصادى لدول أوربا الشرقية، ولم تكن سياسة الدولتين الغربيتين وحده ما فى المهمة ، بل كذلك سياسة اتحاد الجمهوريات السوفيتية بأنها خضعت للضغط من فرنسا وبريطانيا ، وذلك فالحكومة البريطانية لم تكن قد أخذت تعهداً على نفسها بالنسبة لتشيكوسلوفاكيا ، التى كانت قد رفضت لها بوضوح ، وقت عقد معاهدات لوكارنو ضمان الدور ، وكانت فرنسا على العكس من ذلك فقد أعطت هذا الضمان فى معاهدة التحالف التى وقعت عليها عام ١٩٢٥ مع حكومة براغ ، أما اتحاد الجمهوريات السوفيتية فقد كان له منذ ١٦ مايو ١٩٣٥ معاهدة تحالف مع تشيكوسلوفاكيا ، ولكنه لم يتعهد بإعطاء معونات عسكرية إلا فى الحالة التى تكون فرنسا قد نفذت فيها تعهداتها أولاً ، ولكن فرنسا غير قادرة على المساعدة.

☒ مؤتمر ميونيخ سبتمبر ١٩٣٨ :

اجتمع فى ميونيخ كل من : هتلر وموسيلينى وتشمبرلين ودالاديه (رئيس وزراء فرنسا) وبعد مفاوضات قصيرة وصلوا إلى اتفاق وقعوه فى ٢٩ سبتمبر ، ومقتضاه تنزل تشيكوسلوفاكيا عن أقاليم معينة تقطنها أغلبيات كبيرة من السكان الألمان ، وتجرى فى أقاليم أخرى استفتاءات توضع تحت إشراف دولى ، كما يوكل إلى لجنة دولية تخطيط الحدود الجديدة بين ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ، وتم الاتفاق على وضع تسوية لمطالب هنغاريا (المجر) وبولندا لدى تشيكوسلوفاكيا فى ظرف أشهر ثلاثة. وأذعنت تشيكوسلوفاكيا مرغمة على هذه التسوية ، وعر الجند الألمان الحدود فى أول أكتوبر ، وفى اليوم نفسه أعلنت بولندا أن تشيكوسلوفاكيا قد نزلت لها عن مدينة (تيشن Teschen) وفى اليوم التالى احتل المدينة الجند البولنديون ، وتقدم المجريون ببعض المطالب التى تضمنت ضم أنحاء فى ولاية سوفاكيا تقطنها أغلبية مجرية ، ووافقت تشيكوسلوفاكيا بتحكيم ألمانيا وإيطاليا لتسوية هذه المطالب.

وصفقت إيطاليا لهتلر يوم ضم النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، وكانت مطالب موسيلينى ومطامعه لا تقل عن مطالب وأطماع هتلر إن لم تزد ، لقد طالب فى حالة نصر المحور بضم نيس وكورسيكا ومالطة إلى إيطاليا ، وبوضع تونس وجزء من الجزائر تحت الحماية الإيطالية ، وأن ترتط كل من سوريا ولبنان وشرق الأردن وفلسطين بمعاهدات مع إيطاليا تجعل من حق إيطاليا احتلال المناطق الاستراتيجية بتلك البلاد ، أما فى مصر والسودان فقد طالب موسيلينى أن تحل إيطاليا محل بريطانيا فى اللدين ، كما طالب بأخذ كورفو والكيا موريا من اليونان على أن تعوض اليونان عن ذلك بأخذ قبرص ، وطالب الدويتشى أيضاً لإيطاليا بالصومال وجيبوتى وأفريقيا الاستوائية حتى بحيرة تشاد ، كما طالب بعدن وبريم وجزيرة سوقطرى ، وأيد هتلر مطالب حليفه الإيطالى بصفة عامة ، كما قرر تخصيص الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية بعد هزيمة إنجلترا لتصبح أسلاباً يرضى منها كل الأطراف المتعاونة معه ، ويعيد تقسيمها بينهم بما فيهم فرنسا بصورة ترضى الجميع.

وعلى العموم فى ٣٠ نوفمبر ١٩٣٨ تعالت الصيحات فى مجلس النواب الإيطالى تنادى " تونس – فورشيه – جيبوتى " وحدث فى تلك الأثناء أن اغتال شاب يهودى السكرتير الثالث للسفارة الألمانية فى باريس ، فازداد اضطهاد النازيين لليهود قسوة.

طلبت الحكومة الألمانية من حكومة تشيكوسلوفاكيا إبعاد اليهود عن المناصب العامة ، والانفصال عن عصبة الأمم ، وفى مارس ١٩٣٩ أعلنت ولاية تشيكوسلوفاكيا الانفصال عن ألمانيا ، فانتهز هتلر هذه الفرصة ، وأرغم الدكتور هاشا Emile Hacha رئيس الجمهورية التشيكوسلوفاكية على توقيع وثيقة جعلت من بلده ولاية ألمانية ، وأسرع الجنود الألمان باحتلال العاصمة براغ ، وتم وضع ولايتا بوهيميا وموارفيا تحت حماية الرايخ ، كما ضمت هنغاريا (المجر) إليها مقاطعة روتينيا ، وبذلك تم محو تشيكوسلوفاكيا عن طريق أوربا تماماً بعد أن أعلن هتلر حماية ألمانيا

لتشيكوسلوفاكيا ، ولم يهتم هتلر باحتجاجات كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا والولايات المتحدة ، فازدادت مخاوف بريطانيا وأعلنت فى أريل ١٩٣٩ نظام التجنيد الإجبارى فى بلادها ، فرد هتلر على ذلك بفسخ الاتفاقية البحرية التى كانت الدولتان قد وقعتاها فى يونيه ١٩٣٥، وبذلك انزلق العالم إلى حرب دموية أخرى (العالمية الثانية)

☒ الأزمة البولندية :

كانت الحكومة البولندية قد وافقت فى يناير ١٩٣٤ على عقد اتفاقية مع ألمانيا الهتلرية بأمل تحويل التوسع الألمانى صوب آمال أخرى وأعطتها مسألة السوديت فرصة الشعور بأنها قد نجحت فى ذلك وأعلن وزير الخارجية البولندية الكولونيل بيك أن مصير دولة تشيكوسلوفاكيا لا يؤثر فيها ، رفض أن يذكر ما إذا كان سيقف إلى جانب فرنسا فى اللحظة الحرجة ووثق فى وعود هتلر بأنه لن يتحول بعد الألمان السوديت صوب الألمان دانزيج ، ونسى أن الدبلوماسية الألمانية قد خرقت وعوداً أخرى من قبل. وتقدم هتلر إلى الحكومة البولندية يطالبها بإعادة مدينة دانتزج الحرة ومنطقة واسعة من الممر البولندى إلى ألمانيا ، وعد تصريح بريطانيا (أبريل ١٩٣٩) الخاص بضمانها سلامة الأراضى البولندية من كل اعتداء – عد هذا التصريح تحدياً يهدد السلام الأوربى ، وخرقاً لنصوص وروح المعاهدة التى كان قد أبرمها مع هولندا فى يناير ١٩٣٤ السابقة ، والتى نصت على تحريم الحرب تحريماً قطعياً بين القطرين ، وعلى ضرورة استخدام المفاوضات المباشرة لتسوية جميع الخلافات التى تنشأ بينهما

وتعاونت القوات السوفيتية والألمانية فى تمزيق أوصال بولندا وتهلل وزير الخارجية السوفيتى " فيتسلاف مولوتوف " لاختفاء بولندا من على الخريطة الأوربية ، فلم يكن السوفيت مثلهم مثل النازيين يتقبلون جهود الجمهورية البولندية والتى

أسماها مولوتوف مست خفاً " الابن غير الشرعى لمعاهدة فرساى"، وفى أبريل ١٩٣٩ غزت إيطاليا ألبانيا ، وعندما لم تتوقف أطماع هتلر التوسعية أصدر مجلس العموم البريطانى قراراً بالتجنيد الإجبارى فى وقت السلم فأعلن هتلر إلغاء الاتفاقية البحرية بين الدولتين وألغى حلف عدم الاعتداء الذى كان مبرماً بينه وبين بولندا منذ ١٩٣٤، وكانت ألمانيا قد وقعت فى برلين معاهدة تحالف مع إيطاليا فى ٢٢ مايو تعهدت فيه الدولتان بأن تقدم كل منهما للأخرى كل تأييد سياسى ودبلوماسى ، إذا ما هددت مصالح إحداهما ، وأن تمنحها كل تأييد عسكرى إذا ما نشبت حرب بين إحداهما ودولة أخرى.

وفى أغسطس تم توقيع الحلف النازى السوفيتى ، وكانت النتيجة المباشرة لذلك أن الجيوش الألمانية اجتاحت بولندا ، وقد تخوف الاتحاد السوفيتى من اقتراب ألمانيا من حدوده ، خاصة بعد توقيع ألمانيا ميثاقاً مع اليابان منذ ١٩٣٦ ضد الشيوعية ، مما يجبر الروس على القتال فى جبهتين متباعدتين ، كما أن سقوط بولندا فى يد النازى سيحول دون انطلاق الأيدلوجية الشيوعية ، وكان عداء وزير خارجية بولندا الكولونيل بيك للروس يفوق عداءه للنازى مما جعل من الصعب عليه الاعتماد على الروس ، ودفعه ذلك إلى الاعتماد على مساندة بريطانيا وفرنسا مع صعوبة وصولهما إليه ، ففكر الروس فى التفاهم مع هتلر على حساب بولندا.

وفوجئ العالم بتحول خطير فى الموقف الدولى حينما أعلن توقيع ألمانيا وروسيا فى موسكو فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ معاهدة عدم اعتداء بينهما ، وحوت هذه المعاهدة ملحقاً سرياً حُدد فيه نفوذ كل منهما فى دويلات البلطيق وبولندا ، فكانت فنلندا وأستونيا ولاتفيا منطقة مصالح روسية ، أما لتوانيا ضمن المصالح الألمانية .

الفصل الثامن

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥)م

وضحنا فى الفصل السابق الأزمات التى أدت إلى قيام الحرب العالمية الثانية والتى تمثلت فى غزو اليابان للصين ومنشوريا واحتلال إيطاليا الحبشة ، واستيلاء ألمانيا على السويد والنمسا وتشيكوسلوفاكيا وغزو بولندا ، ومن هنا كانت الحرب العالمية الثانية ، وأحداثها كالتالى :

أولاً : بدأت الحرب بالهجوم الألمانى الصاعق على بولندا فى أول سبتمبر ١٩٣٩ ولم تستطيع بولندا الصمود أمام القوات الألمانية سوى بضعة أسابيع وقد رأينا فى الفصل السابق كيف تم اهتلر الاستيلاء على مدينة دانتزيج الحرة والممر البولندى ، وقد اتفق كل من روسيا وألمانيا على اقتسام بولندا وفقاً لبند سرى فى الاتفاقية الموقعة فى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ ، ومضى وقت طويل قبل أن يتخذ هتلر أى إجراء عسكرى ضد فرنسا أو بريطانيا ولم تكن إيطاليا قد دخلت الحرب على الفور ، وتوقفت ألمانيا وأخذت تراقب اجتياح بولندا على الحلفاء ، ومدى تأثير الغزو الروسى على بولندا وعلى علاقات الاتحاد السوفيتى بكل من ريطانيا وفرنسا ، هذا بجانب أن هتلر كان لا يفضل الحرب فى فصل الشتاء ، أما بريطانيا وفرنسا فقد عجزتا اتخاذ أى إجراء هجومى خشية إثارة ألمانيا ، ورأى هتلر بعد أن سيطر على بولندا أن يدعو إلى هدنة بين ألمانيا وكل من فرنسا وبريطانيا ، إلا أن الحلفاء كانوا عازمين على القتال والاستعداد لحرب طويلة الأمد، هذا فى الوقت الذى صرح فيه هتلر أن الطرف الوحيد المستفيد من الحرب بين ألمانيا وبريطانيا هو اليابان والتى من المحتمل جداً أن تصبح من القوى العظمى فى العالم، وقد يكون هذا التصريح للفت نظر الحلفاء إلى طرف آخر بعيداً عن مشكلة ألمانيا وبولندا .

ويذكر أن الحرب قد بدأت رسميا فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩ إلا أنها لم تبدأ عملياً إلا فى ربيع عام ١٩٤٠، فقد أعلنت الحكومة البريطانية أنه ستكون هناك حالة حرب بين بريطانيا العظمى وبين ألمانيا بدءاً من الساعة الحادية عشر صباح اليوم (٣ سبتمبر) ، وقد اعتقدت الحكومة الفرنسية أن الحكومة البريطانية اتخذت هذا الموقف بناءًا على موقف مجلس العموم فى اليوم السابق ، ومن المقرر أن تتخذ الحكومة الفرنسية نفس الخطوة ، حيث ستكون كلاهما في حالة حرب مع ألمانيا قبل نهاية اليوم ، وقد تم إبلاغ الولايات المتحدة بهذه المعلومات.

الجدير بالذكر أن الحكومة البولندية هربت إلى رومانيا ، واضطرت فلول الجيش البولندى إلى التسليم إما إلى الألمان وإما إلى الروس ، ورغم مقاومة وارسو البطولية فإنها وقعت فى قبضة الألمان فى ٢٧ سبتمبر ١٩٣٩ ، وفى نفس اليوم وقع فى موسكو ميثاق ألمانى روسى عرف باسم " معاهدة الصداقة والحدود الألمانية السوفيتية " حدد بالتفصيل حدود مناطق احتلال البلدين ، فى أراضى بولندا.

وبعد هدوء استمر نحو ستة أشهر ، نشطت الحرب على سطح البحر ، وحاصرت أساطيل الحلفاء ساحل ألمانيا حصاراً دقيقاً ، واستولت على البواخر الألمانية التى كانت فى عرض البحر وقت نشو الحرب ، ولكن القوات الألمانية تمكنت من إغراق حاملة طائرات وبارجة بريطانيتين ، وملايين الأطنان من سفن الحلفاء والدول المحايدة ، كما استخدم الألمان سلاحاً فتاكاً هو الطوربيدات الممغنطة التى أنزلت خسائر فادحة بسفن الحلفاء ، قبل أن يتمكن الحلفاء من اكتشاف وسيلة لمكافحتها.

وباختفاء بولندا سارعت ألمانيا بتجهيز فرق جديدة جعلت تفوقها مؤكد ، إذ أصبح لها على على الجهة الغربية ١٣٩ فرقة منها ١٢ فرقة مدرعة تشمل على ٣,٥٠٠ دبابة مع ٥,٢٠٠ طائرة حربية ، وكانت معداتها حديثة مقابل ١٠١ فرقة فرنسية على الحدود الألمانية الفرنسية وكان لديها ٢,٨٠٠ دبابة ، أما الطيران فكان أقل بمقدار

أربعة أخماس عن طيران ألمانيا ، وثمانية فرق لبريطانيا وكانت ضعيفة بمقارنتها الفرق الألمانية أو حتى بالفرنسية ، وطيرانها وصل إلى ١٧٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة ولكن دون التدخل فى المعارك البرية.

وقد صرح هتلر لوزير الحربية الولندى " بيك " عندما زاره فى يناير ١٩٣٩ بأن " القوات العسكرية الت ى وضعتها بولندا على الحدود الفرنسية وفرت على ألمانيا نفقات عسكرية كبيرة " ثم أضاف أن دانزيج ألمانية وستظل ألمانية وستصير جزءاً من ألمانيا إن آجلاً أو عاجلاً ، فإذا ما حلت مسألة دانزيج فسيكون على استعداد لضمان الممر البولندى ، وربما كان هتلر يخدم البولنديين فيما يختص بدانزيج فى كل هذا – مطلبها بعودتها كمقدمة لدمارهم ، ثم صرح بيرك سراً لهتلر عن حقيقة أن بولندا لها مطامع مباشرة تجاه أوكرانيا السوفيتية.

ثانياً : ظهر للتحالف الألمانى الروسى أثار أخرى عندما أجبرت جمهوريات البلطيق ، " استونيا ولاتفيا ولتوانيا " على عقد معاهدات تخول للروس إقامة قواعد عسكرية على أراضيها ، وجامل الألمان الروس ، بسحب جميع الألمان من تلك المناطق ، لقد قدمت لفنلندا مطالب تماثل تلك التى قدمت لدويلات البلطيق ، ولكن بولندا كانت دولة ديمقراطية وطيدة الأركان لا ديكتاتورية خائرة القوى ، ولذا رفضت المطالب بأدب ، وفى اليوم الأخير من نوفمبر ، وفى تحد سافر للمعاهدات ولميثاق عصبة الأمم غزا الروس تلك الجمهورية الصغيرة وضربت بالقنابل عاصمتها هلسنكى ، وعلى ارغم من أن نسبة عدد السكان بين الدولتين ٥٠٠ أو ٦ : ١ روسيا إلى فنلندا ، ونفس النسبة تقريباً فى الأسلحة والعتاد ، وكانت النتيجة لدهشة العالم كله أن هجمات الروس الثقيلة ردت على أعقابها ، ووقف الفنلنديون وحدهم لا يتلقون أية مساعدات فعالة ، اللهم بعض العون الخفى من السويد وتمكنوا من صد المغيرين مدة ثلاثة أشهر .

وفى ١٢ مارس ١٩٤٠ انتهت الحرب الفنلندية بفوز الروسيين الذى لم يكن منه بد ، وعاد الحلفاء إلى سابق جمودهم الذى يسجله ٥ أبريل صدور بيان من المستر تشمبرلين ملؤه الاستسلام ويقول فيها " أن هتلر فاته الأمينبوس " وبعد أربعة أيام من ذلك الإعلان استولى الألمان على الدانمارك كلها وعلى الشطر الأكبر من النرويج ، وسارع الإنجليز لمساعدة النرويج ولكن جيشهم حرم الوقاية الجوية الكافية والدبابات والمدافع الكبيرة والخطة بالمقارنة إلى الألمان ، وفى تلغراف بتاريخ ١٧ مايو ١٩٤٠ من لاسيل Lascelles ممثل بريطانيا فى الحكومة النرويجية يعرض مقترحاً غامضاً يدو أنه من طرف الألمان والذى بموجبه يتم وقف القتال شمال تروندم Trondhjem بمسافة لم يتم تحديدها ، وقد تم رفض هذا الاقتراح ، رغم أنه يوضح الضغط الشديد على الجيش الألمانى بسبب العمليات الحربية المستمرة فى النرويج ، واتفق مجلس الوزراء على إبلاغ الحكومة السويدية والنرويجية بعدم قبول هذا المقترح.

ثالثاً : انهيار الجبهة الغربية : حيث سارعت الحكومة الفرنسية إلى تعبئة الجيش على أثر إعلانها الحرب ، وعلى الرغم من الفوضى السياسية وخراب الذمم والفساد الاجتماعى ، ورفض الحزب الشيوعى الفرنسى وشيعه المنظمة المنضمة إليها أن يؤيد حرباً " رأسمالية " وأشاع فى نفوس أفراد الطبقات الدنيا عدم الرضا وإثارة الاضطراب وبث القلق فى صفوف الأمة ، ومع ذلك تأهبت فرنسا لملاقاة العدو على طول الحدود الفرنسية الألمانية خط " ماجينو " والذى مثل أعلى درجة من درجات تطور الدفاع العلمى بلغتها أوربا حتى ذلك الحين ، وقد اكتفى رجال الهندسة العسكرية الفرنسية بتحصيل تلك الحدود بوضع حزام من الأسلاك الشائكة ، وإقامة الأعمدة العائقة لسير الدبابات وحفر الحفر لصيدها ، وشيد الألمان داخل حدودهم فى مواجهة خط ماجينو ، خط " سيجفريد Siegfried " أو السور الغربى وهى منطقة حصنت على نمط مشابه لخط ماجينو. وبدأت إنجلترا فى اليوم التالى لإعلانها الحرب على

ألمانيا تنزيل طلائع قواتها بأرض فرنسا ، وأخذت هذه القوات تحتل تدريجياً الأماكن التى خصصت لها الحدود البلجيكية – الفرنسية شرق مدينة ليل.

وفى ١٠ مايو ١٩٤٠ جرد هتلر قوات ضخمة على كل من بلجيكا وهولندا المحايدتين ، كانت القيادة الفرنسية بقيادة الجنرال بيوت بهجوم معاكس ضد القوات الألمانية فى بجيكا ، ولكن القوات الألمانية وجهت جهدها نحو الردين البلجيكية وبخاصة ضد الجناح الأيمن لجيش " بيوت " وفى ١٤ مايو خرقت الجبهة الفرنسصية بالقرب من " سيدان " عندئذ أصبحت الجيوش الفرنسية والبريطانية التى دخلت بلجيكا مهددة بالخطر ، وفى ١٩ مايو دخل الألمان أميان وتوغلت المصفحات الألمانية صوب الثغور الفرنسية على القنال الإنجليزى ، وفى ٢٧ مايو استسلمت القوات البلجيكية وسلم الملك ليوبولد إلى الألمان ، ودارت الحرب أمام " دنكرك ولكن أمكن للقيادة البريطانية إجلاء الجانب الأكبر من قواتها من دنكرك ، وبذلك أنقذت نفسها من كارثة حربية خطيرة. حاول الجنرال فيجان القائد الأعلى لقوات الحلفاء إعادة تنظيم الجيش الفرنسى والوقوف فى وجه الألمان على خط السوم – الاين ، ولكن القوات الألمانية تمكنت من هزيمة الجيش الفرنسى ، وهربت الحكومة الفرنسية (يونيو ١٩٤٠) من باريس إلى بوردو.

وفى ١٠ يونيو أعلن موسيلينى الحرب على فرنسا وبريطانيا ، وفى ١٦ منه سقطت باريس فى أيدى الألمان ، فاستقالت وزارة رينو ، وألف بيتان حكومة جديدة اتخذت من فيشى مقراً لها ، وطلب من الألمان وقف القتال تمهيداً لعقد هدنة ، فأجيب إلى مطلبه، وكانت المطالب الألمانية تتمثل فى الآتى :أولاً : منع استعمال القتال ، ثانياً : إعطاء ألمانيا جميع الضمانات لمتابعة الحرب ضد بريطانيا ، ثالثاً : وضع الأسس لبناء سلم جديد أهم عناصره " المظالم التى فرضها العنف على الأمة الألمانية " ، وفى ٢٣ منه وقع مندوبو فرنسا شروط معاهدة الهدنة وتضمنت وقف القتال وعدم تسليح

القوات الفرنسية ، واستيلاء ألمانيا على الحصون والمعدات الفرنسية ، واحتلال شمال فرنسا والأراضى الواقعة على ساحل الأطلنطى وضم الإلزاس واللورين للرايخ الألمانى ، وتجمع الأسطول الفرنسى فى مناطق محدودة منزوعة السلاح ، ونصت على أن من حق فرنسا الاحتفاظ بالقوات اللازمة لها لحماية الأمن والمصالح الفرنسية الضرورية ، وأخذ تشرشل فى إقناع رينو بمتابعة القتال مقترحاً عليه توحيد الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية وجعلهما ذات حكومة واحدة يرأسها فرنسى ويكون لرعايا البلدين جنسية مزدوجة هى الجنسية الإنجليزية الفرنسية

كان هذا الاقتراح جيد جداً عند الفرنسيين القائلين بمتابعة القتال وفى طليعتهم رينو وجورج مندل ودلادييه وجانينى وليبران وهربو وشارل ديجول وزير الحربية آنذاك ، وكان رأى هؤلاء هو التعاون مع بريطانيا لنقل الجيش الفرنسى إلى الجزائر ومتابعة القتال ، وإن كان هذا الرأى قد جاء متأخراً لأن عدم النظام قد عم صفوف الفرنسيين ، خاصة وأن بريطانيا لا تملك معدات كافية حتى تستغنى عن جزء منها لفرنسا. ولكن الجنرال ديجول طلب إلى الفرنسيين رفض الهدنة التى ستكون استعباداً لبلادهم ، وبعد ثمانية أيام (٣٠ منه) أعلن نبأ تشكيل مجلس دفاع عن المستعمرات الفرنسية ، وأعلن رغبته فى إعادة فرنسا إلى الحرب ، وحصلت حركة " فرنسا الحرة " على تعضيد وتأييد أقاليم أفريقيا الغربية وأفريقيا الاستوائية التى انضمت إليها ، وكذلك المستعمرات الفرنسية الصغيرة فى المحيط الهادى وفى الهند ، وكان لذلك دلالة معنوية قوية ، وقال جملته التاريخية المشهورة " إن فرنسا قد خسرت معركة ولكنها لم تخسر الحرب.

وبعد سقوط فرنسا ، وبعد أن أصبحت بريطانيا وحيدة ، قام هتلر بعدة محاولات لاجتذاب أكبر عدد من الحلفاء فى أوربا ليؤثر على بريطانيا والولايات المتحدة معنوياً ، ويظهر للأخيرة أن القارة أصبحت تحت زعامة ألمانيا ، فحاول تكوين كتلة موالية فى

غرب المتوسط تضم أسبانيا وفرنسا حكومة فيشى وكانت أسبانيا نظراً للنظام الفاشى القائم فيها ، أيسر الدول اجتذاباً ، وقد عرض فرانكو فى البداية الدخول فى الحرب على أثر انهيار فرنسا مقابل عدة مطالب إقليمية ، ولكن هتلر لم يجد ضرورة للاستجابة لهذه المطالب فى ذلك الوقت .

حاول هتلر إدخال أسبانيا الحرب ، ولكن فرانكو كرر مطالبه التى تشمل استرداد جبل طارق وضم القسم الفرنسى من مراكش بالإضافة إلى إقليم وهران بالجزائر ، وتوسيع مستعمرتى " ريو دى أورو وغينيا على حساب جاراتها وفى أول يوليو انتقلت الحكومة الفرنسية إلى فيشى وتعاونت مع ألمانيا ، ولم ينقذ الموقف إلا التعاون بين بريطانيا وحكومة فرنسا الحرة بوضع سوريا تحت سيطرة الحلفاء ، ومناصرة إنجلترا للجنرال ديجول وحكومته الذين اتخذوا لندن مركزاً لهم ، ثم كان التهديد الألمانى بغزو بريطانيا فيما عرف بخطة " أسد البحر " ، عن طريق حصار بريطانيا بالغواصات وضرب بريطانيا من الجو ، وقد زاد من التهديد صدور تقارير الخبراء الإنجليز بأمكانية تقدم نحو مائتى ألف جندى ألمانى وإفلاتهم من القوات البحرية والجوية البريطانية ، والنزول بالفعل على الأراضى البريطانية فى الجنوب رغم تحصيناتها ، وحاولت ألمانيا الحصول على تأييد ومؤازرة فرنسا المهزومة لها ضد بريطانيا فى يوليه ١٩٤٠ وأكتوبر ١٩٤٠ وفى مايو ١٩٤١ وبدأت بالفعل مفاوضاتها مع حكومة فيشى الموالية.

<u>رابعاً :</u> ظلت الولايات المتحدة بعيدة عن الحرب إلا أنها كانت تراقب تطور الأحداث ، وكانت عازمة على منع دول المحور من إحراز النصر ، فهزيمة فرنسا وبريطانيا قد يترتب عنها أن تقوم دول المحور : ألمانيا وإيطاليا واليابان ، بفرض حصار حول الولايات المتحدة ينتج عنه خنق الاقتصاد الأمريكى ، وربما يؤدى إلى كارثة عسكرية، لذا ففى ٢ سبتمبر ١٩٤٠ وقعت الولايات المتحدة مع بريطانيا اتفاقية (وقعها السفير

البريطانى فى واشنطون) تقضى بحق الحكومة الأمريكية فى تأجير الجزر ووسائل النقل البحرية والجوية المملوكة لبريطانيا فى نيوفوندلاند وجزر بيرمودا وبهاما وجاميكا والقديس لوكيا وترينداد وانتيجوا وغيانا البريطانية لمدة تسعة وتسعين عاماً وذلك مقابل خمسين مدمرة أمريكية قديمة ، وفى ١١ مارس ١٩٤١ أصدر الكونجرس الأمريكى قراراً بتفويض الرئيس الأمريكى " فرانكلين د٠ روزفلت " حق منح القروض والمعونات وغيرها لأى دولة يرى أن الدفاع عنها ضرورى لأمن الولايات المتحدة ذاتها ، وبالتالى وضعت كل موارد الولايات المتحدة فى خدمة بريطانيا أولاً ، ثم فى خدمة الدول التى كانت ضحية العدوان النازى الفاشى ، وكان قد بلغ وزارة الحرب البريطانية خبر أن أحد أعضاء البرلمان طلب ألا يتم توقيع أى عقود بموجب قانون الإعارة والتأجير مع الولايات المتحدة إلا بالرجوع إلى البرلمان ، ولكن مجلس وزارة الحرب رفض هذا الطلب لأنه يعارض صلاحيات الهيئة التنفيذية المتعلقة بعقد المعاهدات ، وكان نص القانون رقم ١١ لدعم الدفاع عن الولايات المتحدة والذى تم توقيعه فى ١١ مارس كالتالى :

"قرر كلّ من مجلس الشيوخ ومجلس النواب للولايات المتحدة أن ... من حق الرئيس من وقت لآخر إذا رأى أنه من الضروري للدفاع عن الولايات المتحدة أن يمنح السلطة لوزير الحرب ، وزير البحرية ، أو رئيس أي جهة أو هيئة تابعة للحكومة بالآتي :

أ - أن يقوم بتصنيع أي نوع من أنواع الأسلحة في مصانع الذخيرة وورش بناء السفن حسبما يتفق مع الميزانية المحددة لذلك ، أو طبقاً لما يقر الكونجرس من عقود ، وذلك لصالح أي دولة يرى الرئيس في حمايتها حماية للولايات المتحدة.

ب - أن يقوم ببيع أو إعارة أو تأجير أي نوع من أنواع الأسلحة للدول المعنية في المادة الأولى– فقط الأسلحة التي تم تصنيعها تحت البند الأول من هذا القانون وإن كان غير ذلك تستوجب حينها موافقة القائد الأعلى للجيش أو قائد العمليات البحرية أو

كلاهما ، لا ينبغي أن تزيد قيمة الأسلحة التي سيتم إعارتها أو تأجيرها عن $1,300,000,000 (دولار).

ت - يحظر على أي دولة من الدول التي سيتم التعامل معها أن تقوم بإهداء أو بيع أو تأجير الأسلحة التي حصلت عليها دون موافقة رئيس الولايات المتحدة "

وكما حدث فى الحرب العالمية الأولى بشأن حوادث الغواصات الألمانية ضد السفن الأمريكية ، حدث أيضاً فى الحرب العالمية الثانية ، حيث ترتب على الحرب البحرية غير المعلنة فى الأطلنطى وقوع حوادث بين السفن الأمريكية والغواصات الألمانية ، فصدرت الأوامر إلى السفن الأمريكية بإطلاق النار بمجرد رؤيتها لأية غواصة ، وذلك بعد أن تعرضت المدمرة " جرير " للهجوم من جانب إحدى الغواصات ، وقال روزفلت وهو يصف الحادث : " إن جرير كانت ترفع العلم الأمريكى ولم يكن أحد ليخطئ على الإطلاق فى أنها سفينة أمريكية ، وقد تعرضت عندئذ ٠٠٠ للهجوم من جانب إحدى الغواصات ٠٠٠ إننا لم نسع إلى الدخول فى حرب مع هتلر ٠٠٠ ونحن لم نقم بالعدوان ودورنا قاصر على الدفاع " ، ولم يقل الرئيس – أو لم يبلغه أحد – أن جرير كانت تتعقب الغواصة التى أبلغتها إحدى الطائرات البريطانية عن وجودها وأبلغت مكانها بالضبط لطائرة بريطانية أخرى.

وفى ٢٧ مايو ١٩٤١ أعلن روزفلت حالة الطوارئ القومية وبين مطامع هتلر للسيطرة على العالم ، فإن سياسة أمريكا الوطنية هى مقاومة كل محاولة لسيطرة هتلر على العالم ، كما يجب الإسراع فى تقديم المساعدات لبريطانيا ، وقوبل الإعلان بالترحيب فى الأوساط البريطانية .

وفى يونيو ١٩٤١ قامت ألمانيا بالهجوم على روسيا ، فقدمت أمريكا المساعدة فوراً إلى هذا الحليف غير المنتظر بمقتضى قانون الإعارة والتأجير، الذى يسمح بتقديم العتاد العسكرى دون دفع فورى للثمن وكان روزفلت يتبع سياسة لينة تجاه روسيا خلال الفترة التى وقف فيها السوفييت على الحياد ، وبالرغم من التوتر الذى ساد

العلاقات الطيبة بين البلدين بسبب الحرب بين روسيا وفنلندا ، سار روزفلت على سياسة مماثلة تجاه أسبانيا وحكومة فيشى الفرنسية ، وكانت كافة الجهود تبذل لمنع أية دولة محايدة من الانضمام علانية لمعسكر هتلر ، وعلى أية حال كان الخبراء العسكريون الأمريكيون يشكّون كثيراً فى قدرة ستالين على مقاومة الغزو حتى حلول الشتاء ، ووجد الرأى العام صعوبة فى قبول روسيا كحليف لأمريكا، وقد صعدت الولايات المتحدة مساعدتها بكثافة ضخمة ، وأخذت قوافل بحرية كبيرة تنقل العتاد إلى بريطانيا ، (مدفعية وذخيرة وطائرات وغير ذلك من الأسلحة) ، وعندما اعترضت الغواصات الألمانية طريق القوافل ، أصدر روزفلت أوامره إلى سفن الحراسة بضرب الغواصات الألمانية ، على أن إقدام الولايات المتحدة على احتلال جرينلاند وأيسلندا جعل الخط الدفاعى الأمريكى يندفع إلى مقربة من أوربا ، وحال دون اتخاذ هذين الجزيرتين الكبيرتين بواسطة المحور قواعد للوثوب إلى أمريكا وفى معاهدة التحالف التى تم توقيعها بين بريطانيا والاتحاد السوفيتى فى ١٢ يوليو ١٩٤١ بموسكو كان من ضمن ما نصت عليه : " لا يمكن لأي منهما التفاوض أو إصدار قرار بهدنة أو بمعاهدة سلام إلا بعد موافقة الطرفين" .

وفي المذكرة التى أرسلها سافيج مساعد وزير الخارجية الأمريكى لوزير خارجيته لونج تحدث فيها عن اقتراح إنشاء مجلس أعلى للحرب والذي يُعتقد أنها ستكون أكثر فعالية من مجلس الحرب الأعلى للحرب العالمية الأولى حيث أنه سيكون للولايات المتحدة في هذا المجلس ممثلا سياسيا مشاركا مشاركة فعالة ، بينما كانت مشاركتها في مجلس الحرب العالمية الأولى مشاركة حربية فقط متمثلة في شخص الجنرال بليس Bliss ، كما سيكون في هذا المجلس المقترح ممثلون للقوات البحرية والجوية للحكومات المشاركة ، ومن أهم مميزات هذا المجلس أنه سيؤدي إلى وجود قيادة موحدة للحرب في شتى المواقع .

وكان السبب المباشر لدخول الولايات المتحدة الحرب هو تطور الأحداث فى الشرق الأقصى ، وازدياد التوتر فى علاقاتها باليابان ، فقد احتدمت المعارك فى الصين بين الجيوش اليابانية وجيوش تشانج كاى شيك وكانت بريطانيا والولايات المتحدة تمدان قوات الصين بالمعونة الحربية عن طريق بورما والملايو ، فرغبت اليابان فى احتلال هاتين المستعمرتين البريطانيتين حتى تقطع تلك الطريق وتستغل مواردهما.

وبدأ التوتر يشتد بين الدولتين فى يوليو ١٩٤١ حين أعلنت اليابان فى ٢٥ منه وأنها أخذت على عاتقها حماية مستعمرة الهند الصينية الفرنسية فرد روزفلت على ذلك باتخاذ إجرائين خطيرين الشأن ، حيث ضم القوات المسلحة لجمهورية الفلبين إلى جيش الولايات المتحدة ، وعين الجنرال دوجلاس ماك آرثر Mac Arthur Douglas قائداً على قواتالولايات المتحدة فى الشرق الأقصى ، وأصدر أمراً بتجميد الأموال والممتلكات اليابانية فى الولايات المتحدة واقتفت بريطانيا وهولندا على الفور أثره فقطع بذلك عن اليابان جميع مواردها من المطاط والحديد الخردة وزيت البترول.

أرسلت اليابان وفداً إلى الولايات المتحدة للتفاوض معها ، وبينما المفاوضات دائرة بين الفريقين إذ بقاذفات القنابل اليابانية المنقولة على حاملات الطائرات أخذت تقذف الطوربيدات والأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى الذى كان راسياً بقاعدته البحرية الكبيرة فى بيرل هاربر بجزر هاواى ، وبذلك قضت اليابان بضربة واحدة على التفوق البحرى الأمريكى .

وفى ظهر ذلك اليوم هاجمت الطائرات اليابانية الخارجة من جزيرة فورموزا مطارات الجيش الأمريكى بالقرب من مانيلا ، فأنزلت بها خسائر مروعة فأزعج ذلك الأمريكان وقطعت المفاوضات وصممت أمريكا على الانتقام.

واتبع روزفلت الخطوات العسكرية بشن خطة أيديولوجية على المحور حين عقد مع ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى عدة اجتماعات فى خليج أرجنتينا عند

نيوفوندلاند فى الفترة بين ٩ – ١٢ أغسطس ١٩٤١ ليصدرا ميثاق الأطلنطى The Atkantic Charterالذى تضمن روح الديمقراطية التى حاربوا من أجل صيانتها ، وهذه المبادئ الواضحة فى هذا الميثاق هى التى عقدت عليها الشعوب آمالها فى أن يصل العالم إلى مستقبل أفضل ، وقد نص هذا الميثاق على :

١- منع التوسع الاستعمارى بالقوة .

٢- عدم إحداث أى تغير فى أراضى شعب دون موافقته .

٣- نزع سلاح الدول المعتدية .

٤- السعى نحو تحقيق سلام لا خوف فيه .

٥- دعم حق أى شعب فى اختيار حاكمه ، وشكل الحكومة التى يعيش فى ظلها .

٦- حرية التجارة .

٧- حرية الملاحة الدولية .

٨- المساواة فى الحصول على المواد الأولية .

٩- التعاون الاقتصادى العالمى لضمان تحسين أحوال العمال والتقدم الاقتصادى والسلامة الاجتماعية .

والحق أن هذا الميثاق صورة مكررة من مبادئ ويلسن الـ ١٤ الشهيرة ، وكأن إعادة تسجيلها فى وثيقة رسمية فى هذه الظروف ، اعترافاً بحكمة تلك المبادئ التى نادى بها وودرو ويلسن قبل ذلك بربع قرن ، وجاء ذلك شاهداً آخر على إخفاق العالم فى السير بمقتضاها خلال الفترة التى توسطت الحربين العالميتين

وفى الوقت الذى فشلت فيه الحملة الألمانية ضد روسيا أمام موسكو ، دخلت الولايات المتحدة الحرب ، ولم تكن حكومة واشنطن فى حالة حياد ، ما دامت قد لعبت دوراً رئيسياً فى الحرب الاقتصادية ، وكانت اليابان هى التى وضعت حداً لتردد الولايات المتحدة وذلك حين قامت فى ٨ ديسمبر ١٩٤١ وبدون إعلان حرب بالاعتداء على الولايات المتحدة بهجومها الجوى الموجه ضد (بيرل هاربر) وكانت اليابان تحتل المنطقة الساحلية من الصين ، وأرادت أن تستفيد من انتصارات ألمانيا ضد هولندا وفرنسا عام ١٩٤٠ لكى تمد أطماعها صوب البحار الجنوبية (أى إلى الهند الصينية والهند الهولندية) وعملت الولايات المتحدة على عرقلة هذه السياسة وقامت بمنع الصادرات إلى اليابان وإفادة الصين من قانون الإعارة والتأجير سابق الذكر ٠

ولم تقرر اليابان اتخاذ رد عنيف بل فضلت الدخول فى مفاوضات تسمح لها برفع العقوبات الاقتصادية وإمكانية شراء المواد الأولية من الهند الهولندية نظير استعدادها لتقليل أطماعها السياسية ، وكانت الولايات المتحدة ترغب فى أن تحصل من اليابان على وعد بالتراجع عن احتلال الهند الصينية الفرنسية بينما كانت اليابان ترغب فى قطع الطريق المؤدى إلى الصين وترغب فى الاحتفاظ بهذا الاحتلال جزئياً ، حتى تنتهى الحرب مع الصين ٠

ولكتن الظروف تغيرت مع إعلان القطيعة بين ألمانيا وروسيا ، الأمر الذى خفف على اليابان أمر مواجهة خطر روسى ، وفتح أمامها أمر التوسع فى شرق سيبيريا ، وفرصة التوسع فى البحار الجنوبية وتقيم قواعدها فى الهند الصينية الفرنسية ، وتغزو الهند الهولندية ، ورغم دخول اليابان فى مفاوضات مع الولايات المتحدة إلا أنها قررت فى أول ديسمبر ١٩٤١ إعطاء تعليمات لقواتها البحرية والجوية بمجرد شعورها بأن الولايات المتحدة لن تقبل شروطها بالهجوم على بيرل هاربر بعد أسبوع وتم إغراق

أكبر بارجتين فى الأسطول البريطانى " برنس أوف ويلز " و " ريبالس " أصبح اليابانيون بلا منافس فى المحيط .

وجاء هجوم اليابان على جزر هاواى بعد فشل الهجوم الألمانى على موسكو ، وفى نفس الشهر (ديسمبر) نزل اليابانيون فى (جرام وهونج كونج وفى ملقا) وبخسائر بسيطة ، نتيجة لما وقع للأساطيل الأمريكية البريطانية فى بيرل هاربر ، ثم نزل اليانيون فى خليج سيام ، وفى بداية يناير ١٩٤٢ تم سقوط مانيلا ، وفى فبراير سقطت سنغافورة ، وفى مارس احتلت اليابان أيضاً الهند الهولندية وقاعدة بورما ومعظم الجزر شمال استراليا ، وبدأ الغزو اليابانى بسرعة فائقة نحو هونج كونج ثم جزر الملايو .

وبالهجوم اليابانى على قاعدة بيرل هاربر دخلت الولايات المتحدة الحرب فى وقت كانت فيه مخططات المحور توصى بأن جيوشهم يمكن أن تلتقى فى الهند أو فى الشرق الأوسط وتصبح كل آسيا وأوربا وأفريقيا تحت أقدامهم ولا يتبقى سوى العالم الجديد ، ولكن هذا التصور الخيالى قام على حسابات خاطئة أهمها :

١- عدم تقدير المحور لصلابة المجتمع الأمريكى.

٢- أن قدرات الشعب الأمريكى الإنتاجية يمكن أن تتضاعف بسرعة وأن لديه رصيداً بشرياً لا ينقصه سوى التدريب وقد تم ذلك بسرعة منذ ١٩٤١.

٣- أن السلاح الكثيف الذى أرسلته الولايات المتحدة إلى بريطانيا وحد نوعية السلاح إلى حد كبير بحيث يصبح من اليسير تنسيق العمليات العسكرية بينهما .

٤- أن وجود روزفلت على رأس الولايات المتحدة وونستون تشرشل على رأس ريطانيا جعل القدرة على التنسيق بين الحلفاء عالمية المستوى .

٥- كانت الاتصالات مباشرة بين الحلفاء ، حتى لقد أصبحت الطرق إلى روسيا مفتوحة أمام الإمدادات الأمريكية عبر الخليج العربى وإيران ، بينما كانت اليابان لا تستطيع أن تتصل مباشرة بالمحور ، ومن ثم كان التنسيق يعوز المحور ، بل لم تلبث ألمانيا أن وجدت أن الإيطاليين يمثلن عبئاً على عجلة الحرب الألمانية سواء فى البلقان أو فى الجبهة المصرية حتى لقد تولى الألمان مهمة السيطرة على اليونان وأسندوا إلى روميل مهمة كسب معركة مصر ولكنه خسرها فى العلمين ١٩٤٢ .

٦- لقد تحقق بدخول اليابان الحرب إلى جانب ألمانيا وإيطاليا أن الديكتاتوريات الاستبدادية العنصرية تريد تقويض أعظم مكاسب أوربا (الديمقراطية والحرية) ٠

٧- وضع روزفلت وتشرشل أولويات استراتيجية منطقية عملية فى إدارة دفة الحرب ، فالمعروف أن ألمانيا كانت فى حرب مع فرنسا وبريطانيا فقط فى أول الأمر ، ولم تلبث أن فرضت الحرب على العديد من الدول وبعضها كان قد عزم على الوقوف على الحياد مثل هولندا ، ثم فتح هتلر على نفسه الجبهة الروسية العميقة التى أذلت نابليون من قبل.

خامساً : فى يونيه ١٩٤٠ وجه السوفييت إنذاراً لرومانيا لتنسحب من إقليم روسيا البيضاء وشمال بوكوفينا ، وفرض الألمان والإيطاليون فى أغسطس على رومانيا اتفاقية فيينا التى نالت بموجبها المجر وترانسلفانيا ولما هاجمت ألمانيا يوغسلافيا عام ١٩٤١ نظمت فى الحال حركات مقاومة عديدة كان أكثرها قوة الحركات الصربية الدولية بقيادة الجنرال " درازا ميها جلوفيك Draza Mihajlovic " المعروف باسم (تشتنيك Chetniks) ، أما حركة المقاومة الشيوعية فقد قادها " تيتو " وقد عرف باسم حركة " الأنصار " ، وأثناء هذه الفترة حافظت المجر على علاقات جيدة مع الألمان رغم أن حركة " الصلبان السهمية " قد نجحت فى تطويق " الأدميرال هورتى Admiral Horthy " ومحاصرته أمام النظام العسكرى ببلغاريا فكان

مقارباً لمثيله الألمانى فى حين ناضل من أجل إبقاء بلده بعيداً عن الصراعات التى أخذت تطل برأسها فوق المنطقة ٠

وبين سبتمبر ١٩٣٩ ويونيه ١٩٤١ عندما هاجم هتلر روسيا اتخذت الأحزاب الشيوعية المحلية فى بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر وبولندا ورومانيا موقفاً غير مناوئ للنازية بل أنها وجهت اللوم لبريطانيا وفرنسا اللتين أخذتا تعدان العدة للحرب وتجريان المناورات العسكرية ، وكانت توجيهات الكومنترن إلى هذه الأحزاب (أغسطس ١٩٤٠) هى أن تقاوم بكل ما أوتيت من قوة مساعى الدوائر المؤيدة لبريطانيا وفرنسا – تجار الحرب الإمبرياليين وذلك لأن الدعاية الستالينية نددت فى شهور العسل مع هتلر بالديمقراطيات الغربية ٠

شرح هتلر لقادته ومعاونيه خطته لاستغلال الأقاليم الروسية وضمها للرايخ الألمانى ، وتشريد سكانها وإحلال الألمان محلهم ، وقال : " ستضم كافة أراضى البلطيق إلى ألمانيا ٠٠ أما القرم فيجب إخلاؤها من جميع السكان غير الجرمان ليحل الألمان وحدهم فيها ولتصبح جزءاً من أراضى الرايخ ، ويجب ضم جميع شبه جزيرة كولا لألمانيا بسبب المناجم الضخمة للنيكل بها ، ومن الواجب الإعداد بحذر لضم فنلندا كدولة داخلة فى اتحاد ألمانيا ". وعندما هاجم هتلر روسيا فإن الاتصالات بين موسكو والأحزاب الشيوعية فى أوربا جمدت وأصبحت هذه الأحزاب فى إحدى الفترات حرة التصرف ، وكانت السمة المميزة للعلاقة بين الكرملين والأحزاب الشيوعية بأوربا الشرقية هى انقطاع المعلومات والدعم بين المركز وتوابعه ، ولكن حال تغلغل السوفييت فى الأراضى الإقليمية لأوربا الشرقية قاموا بفرض سيطرتهم على الأحزاب الشيوعية وتولى " المسكوفيون Muscovities " مناصب القمة ٠

وأصبحت القوات الروسية ١٩٤١ و ١٩٤٢ فى موقف صعب وأنها ليس من السهل الصمود أمام ألمانيا بعد أن تهزم بريطانيا ولا تعود بها حاجة للدفاع عن

مؤخرتها وتجد كل البحار مفتوحة لتزويد جيوشها بما تحتاج إليه ، وكانت الخطة تقضى بأنه متى تمت هزيمة الروسيا أن تهاجم الولايات المتحدة تلك الدولة نصف المسلحة فيهاجمها اليابانيون من الغرب وتهاجمها أوربا النازية من الشرق ، كما يهاجمها من الجنوب حلفاء ألمانيا بأمريكا اللاتينية ، وهم فعلاً فى حالة استعداد ، وقد أحبطت بريطانيا تنفيذ هذا البرنامج الضخم. الجدير بالذكر أن السبب الرئيسى فى فشل النازية فى حملتها ضد روسيا ، هو موقفها من شعوب المناطق الشرقية فى أوربا عامة وروسيا خاصة ، لقد عاملت النازية سكان تلك المناطق باحتقار كامل لآدميتهم ، بل أنها اعتبرتهم عيداً لا يصلحون إلا لخدمة الشعب الألمانى.

سادساً : فى سبتمبر ١٩٤٠ عبر جيش إيطالى بقيادة المرشال جرازبالى الحدود المصرية زاحفاً صوب النيل ولكن القائد البريطانى " ويفل Wavoll استطاع أن يوقف هذا الزحف الإيطالى ، فى كل من مصر وبرقة ، وأسر من الجيش الإيطالى نحو ١٥٠ ألف جندى ، وكذلك أوقعت القوات البريطانية بالقوات الإيطالية هزائم فى أفريقيا ، بعد أن كانت القوات البريطانية قد تراجعت أمام القوات الإيطالية فى السودان وكينيا والصومال البريطانى وهددت مركز بريطانيا فى عدن والبحر المتوسط ، لكنها استطاعت إقصاء إيطاليا عن أريتريا ، وسقطت أديس أبابا (أبريل ١٩٤١) واستسلمت فلول الجيش الإيطالى ، وإنهاء حلم موسيلينى بتكوين إمبراطورية رومانية ثانية بأفريقيا .

فى مصر فوجئت بريطانيا أثناء الحرب برأى عام مصرى يتراوح بين حياد أو تعاطف مع المحور ، فقد اصطلت قناة السويس بنار الحرب ، فبالرغم من أن البحر المتوسط قد أغلق أمام الملاحة بين الشرق والغرب ، وخاصة بعد استيلاء الألمان على بلاد اليونان وكريت وإمطارهم مالطة ناراً حامية ، إلا أن القناة رأت جانباً لا يستهان به من نشاط الألمان وحلفئهم ، فهاجمها الألمان بطائراتهم ، وحاولوا إتلافها وتعطيل

الملاحة فيها ، ولكنها لم تتعرض لغزو برى أو بحرى ، كما تعرضت أجزاء مصر الغربية .

ففى ١٤ سبتمبر ١٩٤٠ قامت القوات الإيطالية بالزحف من ليبيا شرقاً اتجاه مصر متوغلة مسافة ٦٠ ميلاً داخل الحدود المصرية ، واضطرت القوات البريطانية إلى الانسحاب نحو مرسى مطروح القريبة من الإسكندرية ، وفى ديسمبر شنت القوات البريطانية هجوماً مفاجئاً على القوات الإيطالية ترتب عليه احتلال طبرق القاعدة البحرية ٢٢ يناير ١٩٤١ ، وفى بداية مارس طرد الإيطاليون من شرق ليبيا ، وقد أدت هذه الانتصارات بقيادة " ويفل " كما سبق بعض الثقة فى نفوس البريطانيين .

وفى يوليو ١٩٤١ احتلت القوات البريطانية سوريا ولبنان التى خضعت لسيطرة حكومة فيشى الفرنسية إلى أن تم تحريرهما عام ١٩٤٣ ، ثم حاولت حكومة ديجول الحرة الحصول على مراكز استراتيجية طويلة الأجل ، كما قضت على الثورة فى العراق بزعامة رشيد عالى الكيلانى بهدف الانضمام إلى دول المحور والتخلص من الاستعمار البريطانى فى العراق ، وقد كانت الهزائم الإيطالية صدمة مؤلمة لألمانيا ، واضطر هتلر أن يساعد حليفه المهزوم ، فأرسل " اروين روميل Erwin Rommel " إلى شمال أفريقيا لإنقاذ الموقف المتدهور آنذاك ، وتقدم روميل نحو طبرق وأجبر القوات البريطانية على التراجع نحو داخل مصر حتى مرسى مطروح ، وأصبح الطريق إلى القاهرة وقناة السويس مفتوحاً .

☒ هزيمة المحور

بعد إعلان الحرب بين اليابان والولايات المتحدة اتخذت صبغة دولية خاصة ، ففى ٢ يناير ١٩٤١ وبعدة اجتماعات عقدها الحلفاء فى واشنطن وقعت ٢٦ دولة تتزعمها الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى اتفاقاً تعهدت فيه بمواصلة الحرب حتى النصر ، وأن لا تقوم أية دولة بعقد هدنة بمفردها ، كما وافقت هذه الدول على مبادئ

ميثاق الأطنطى ، وكان على الولايات المتحدة أن تقسم جهودها بين الحرب فى المحيط الهادى ضد اليابان ، ومساعدة حلفائها فى أوربا واستطاعت البحرية الأمريكية أن تهزم اليابانيين فى معركة بحر المرجان ١٩٤٢ وفى موقعة مدوى Mday الواقعة فى منتصف المحيط الهادى (٣ – ٦ يونيو ١٩٤٢) وقد كانت أفدح هزيمة فى تاريخ البحرية اليابانية ، ونهاية لحلم اليابان بتكوين إمبراطورية يابانية فى المحيط الهادى

وفى جنوب شرق آسيا ، تكتلت الأحزاب الأندونيسية منذ بداية الحرب مطالبة بالاستقلال فى ظل التاج الهولندى وإنشاء برلمان أندونيسى ، ولما كانت هولندا إذ ذاك قد تحولت بدورها إلى مستعمرة تطؤها أقدام الألمان ، وهربت صاحبة الجلالة الملكة وحكومتها إلى لندن ، حيث استسلم الهولنديون فى مارس ١٩٤٢ فى أندونيسيا للجيش اليابانى فى جبن ذليل دون أية مقاومة ، ولهذا وعدت جلالتها فى حديث أذاعته محطة الإذاعة البريطانية فى ٦ ديسمبر ١٩٤٢ بإقامة مؤتمر بعد الحرب يجتمع فيه الفريقان على قدم المساواة لبحث هذه الطلبات ، ومما يروى عن تعسف اليابانيين ، أنهم أصدروا قراراً بحلق الشعر الذى يغطى الجزء الأعلى من رؤوس الطلبة المشاكسين وضربهم على الجزء العارى ، وكان طبيعياً أن يثور الطلبة على هذه الإهانة ، أيضاً علقت إعلانات تحمل أوامر للأندونيسيين بالإنحناء " تعظيماً " لكل من يمر بهم من اليابانيين ، وأسوأ من هذا كانوا يأمرون المسلمين بالتوجه فى صلواتهم – لا إلى مكة – ولكن إلى إمبراطور اليابان ، مما أضفى هالة عظيمة لقدرة المقاتل اليابانى ، كما أدى إلى شروع الأمريكيين فى إنشاء طريق برى يمتد من بورما إلى الصين عبر جبال الهيمالايا والغابات الكثيفة لتموين قواعدهم الهامة ، وهو ما حتم على الحلفاء المساهمة فى تنفيذ الأعمال التمهيدية لفتح هذا الطريق ، رغم المقاومة اليابانية العنيفة ، وكانت ذروة المعارك عندما حاصر اليابانيون أكثر من ٧٥ ألف جندى بريطانى وهندى ومنعت القوات اليابانية مرور الحلفاء إلى الصين، لذلك نظم الأندونسيين الحركات الوطنية ضد اليابانيين ، ففى عام ١٩٤٣ نظموا هيئة باسم " مركز القوة

الشعبية أو ما يسمى بالأندونيسية (بوتيرا) برئاسة الدكتور سوكارنو وسكرتارية الدكتور حتى ، وبعد ستة أشهر انشئت منظمة أخرى باسم (بيتا) أو جيش المدافعين المتطوعين ، الذى اتخذه اليابانيون سلاحاً للدفاع عن أندونيسيا ضد الغزو الغربى للحلفاء وفى عام ١٩٤٤ أصبح جيش المتطوعين (بيتا) ميداناً للقوى المعادية لليابان ، وظل الأمر إلى أن توالت الهزائم على اليابان فى نهاية الحرب حتى إذا كان يوم ١٧ أغسطس ١٩٤٥ أعن سوكارنو جمهورية أندونيسيا الحرة ٠

وفى أوربا وبعد احتفاظ هتلر بالانتصارات أكثر من ثلاث سنوات ، بدأت الهزائم تحل به منذ خريف ١٩٤٢ فتم وقف تحرك القوات الألمانية أمام موسكو وانسحبوا منها ، وفى ٢٢ أغسطس ١٩٤٢ بدأت معركة ستالينجراد الواقعة على نهر الفولجا ، وقد انتهت المعركة فى ٣١ يناير ١٩٤٣ لصالح الروس واستسلام الجيش السادس الألمانى وأسر قائده و٩٠ ألف جندى ألمانى ، وقتل فى هذا الصراع الرهيب ١٠٠,٠٠٠ جندى ، وهكذا سجل الجيش الأحمر الروسى بقيادة ستالين أكبر انتصاراته وانسحب الألمان من القوقاز ٠

وفى الميدان الأفريقى كانت السياسة البريطانية قبل ١٩٤٠ تعمل على إرضاء إيطاليا خوفاً من إنضمامها إلى دول المحور ، ولكن مع تأزم الموقف ووضوح الأمر بدخول إيطاليا الحرب وانضمامها لدول المحور اقترحت السفارة البريطانية بالقاهرة إمكانية الاستفادة من الليبيين فى مصر وأرسلت هذه المقترحات إلى وزارة الخارجية بلندن، الجدير بالذكر أن الخارجية البريطانية قد استحسنت الاقتراح وأرسلت إلى سفيرها بالقاهرة للتباحث مع الحكومة المصرية بهذا الشأن وفى هذا الميدان كانت معركة الغزالة وطبرق وكان الموقف البريطانى فى برقة بليبيا أنهم جهزوا خطاً دفاعياً وبثوا أمامه حقول ألغام عميقة تمتد من الساحل بالقرب من الغزالة نحو الجنوب وتحتله الفرقة الأولى جنوب أفريقيا والفرقة ٥٠ البريطانية وامتد من الحافة الجنوبية

لهذا الخط حقل عميق من الألغام جنوباً إلى بير حكيم الذى يمثل الطرف الجنوبى لجبهة الريطانيين فى الغزالة ، كما انتشرت الخطوط الدفاعية المحاطة بالألغام ويحتلها اللواء الأول فرنسيين أحرار ٠

وهكذا جميع الميادين العسكرية فى الصحراء محاطة بالألغام حيث بلغ عدد الألغام حولها بنحو ٥٠٠,٠٠٠ ، وكانت طبرق تعتبر القاعدة الإدارية والتدعيم الثابت لخط الغزالة بالكامل واستمر البريطانيون منذ عام ١٩٤١ فى تحسين الدفاعات حول طبرق بالإضافة إلى القوات المحملة ووحدات السيارات المدرعة والمدفعية والمشاة والتشكيلات الميكانيكية وغيرها ٠

وفى بداية المعركة كان جيش البانزر الألمانى الإيطالى يتكون من فرقتين ألمانيتين مدرعتين وفرقة مدرعة إيطالية وفرقة ألمانية محملة وأخرى إيطالية وأربع فرق مشاة إيطالية غير محملة ولواء بنادق ألمانى غير محمل.

لاحظ أن روميل يقلل من عدد التشكيلات المدرعة التى كانت تواجهه ، وأن تقديره لعدد الدبابات البريطانية بـ ٩٠٠ أقوى من الدبابات الألمانية البالغ عددها ٢٤٠ دبابة والبانزر ماركة ٢ الألمانية (٥٠ دبابة) تكاد تكون عديمة القيمة ، وكان لدى روميل أهم عنصر للتفوق وهو مدفعه عيار ٨٨ مم ولكن كان لديه منها ٤٨ مدفعاً فقط ، وحتى فى العلمين فى أكتوبر لم يكن عدد هذه المدافع يزيد عن ٧٠ مدفعا كانت معركة غزالة فى ٢٦ مايو ١٩٤٢ ، واستمرت المعركة حتى ٢١ يونيه وفيها كان سقوط طبرق الذى كان نهاية للقتال فى الجزء الشرقى من برقة ، وفى ٢٦ يونيه تقدم روميل بقواته حتى استولى على مرسى مطروح فى ٢٩ يونيه وانسحبت القوات البريطانية إلى العلمين٠

وفى ٣٠ يونيه وصلت العناصر الأمامية من الفرقة ١٥ بانزر إلى نقطة بعد الضبعة وسقطت غنائم ضخمة فى أيدى فيلق أفريقيا ومن ضمنها بطارية بريطانية

واستمر تقدم روميل حتى وصل على بعد مائة ميل من الإسكندرية ، وعندما حاول روميل تطويق حصن العلمين انهارت القوات الإيطالية ، فقرر روميل فى ٨ يوليه سحب قواته المكونة من : فيلق أفريقيا الذى يضم الفرقتين ١٥ ، ٢١ بانزر ومجموعها خمسون دبابة ، والفرقة ٩٠ الخفيفة ، وثلاث كتائب استطلاع ، ومدفعية الجيش المشكة من إحدى عشرة بطارية ثقيلة وأربع بطاريات خفيفة والمدفعية المضادة للطائرات ، وكانت القوات الإيطالية المكونة من الفيلق العشرون ويضم فرقتين مدرعتين وفرقة محملة ومجموع قوته ٥٤ دبابة و٨ كتائب مشاة محملة و٤٠ مدفعاً مضاداً للدبابات و٦ بطاريات خفيفة ، وعناصر من الفيلقين الإيطاليين ١٠ ، ٢١ وتضم ١٠ كتائب ، و٣٠ بطارية مدفعية خفيفة و١١ ثقيلة .

وفى ليلة ١٥/١٤ يوليه هاجم الإنجليز روميل على هضبة الرويسات واستطاعوا اختراق مواقع الفيلق الإيطالى العاشر ، وبالرغم من ذلك استطاع روميل أن يأسر ١٤٠٠ بريطانى ويدمر ١٤٠ دبابة ، ويتابع روميل مذكراته : " وهكذا انتهت الحملة الكبرى فى فصل الصيف ... ولكن بعد استيلائنا على طبرق بدأت قوة الإمبراطورية البريطانية الضخمة فى إحداث أثرها المعتاد ، فلم يبق لنا سوى عدة أيام لكى نجتاح العلمين ونستولى على منطقة قناة السويس " ويتابع روميل : " وأخيراً فشلنا فى تحقيق غرضنا ... وكنا بالطبع قد كبدنا البريطانيين خسائر فادحة ، ففى الفترة بين ٢٦ مايو ٢٠ يوليه سقط فى أيدينا ٦٠,٠٠٠ من الأسرى البريطانيين والجنوب أفريقيين والهنود والنيوزيلنديين والفرنسيين والاستراليين ، ودمرت قواتى أكثر من ألفين دبابة وعربة مدرعة للبريطانيين وأصبح عتاد الجيش الريطانى الذى استخدم فى الهجوم ببرقة حطاماً فى الصحراء ، ولكن خسائرنا أيضاً كانت فادحة ، فمن الجانب الألمانى وحده خسرنا من القتلى ٢٣٠٠ ضابطاً وجندياً و٧٥٠٠ جريح و ٢٧٠٠٠ أسير ، ومن الجانب الإيطالى بلغت الخسائر أكثر من ألف قتيل ما بين ضابط ورتب

أخرى وأكثر من ١٠,٠٠٠ جريح وحوالى ٥٠٠٠ أسير ، وكانت خسائرنا من العتاد هى الأخرى فادحة للغاية.

وفى أفريقيا وبعد إحباط الهجوم الإيطالى الألمانى فى العلمين دخل مونتجمرى طبرق فى ١٢ نوفمبر ١٩٤٢ – ثم واصلت القوات البريطانية مطاردة المحور غرباً فدخلت طرابلس فى ٢٣ يناير ١٩٤٣ وانسحب روميل غرباً إلى تونس وأصبح تحت رحمة مونتجمرى من الشرق واللواء إيزنهاور قائد القوات الأمريكية البريطانية من الغرب فى ٢٤ يناير ، ودعا روزفلت المحور إلى التسليم دون شرط أو قيد ، مما دفع هتلر إلى مواصلة الحرب لمدة سنة أخرى أى حتى ربيع ١٩٤٥ .

وبعد أن تخلت إيطاليا عن حقوقها فى ليبيا ، تولت شئون ليبيا إدارات عسكرية مؤقتة فى برقة إدارة عسكرية بريطانية ، وفى طرابلس إدارة عسكرية بريطانية أخرى ، وفى فزان إدارة عسكرية فرنسية حيث اعتبرها الفرنسيون أنها ذات أهمية لربط مستعمراتهم فى شمال أفريقيا بمستعمراتهم فيما وراء الصحراء، وقد اتفق كل من مونتجمرى القائدالعام للجيش البريطانى وليكليرك **Leclerc** القائد العام للجيش الفرنسى فى يناير ١٩٤٣ على أن يتم تقرير مصير الليبيين فى معاهدة الصلح مع إيطاليا، وفى نفس الشهر أعلنت الولايات المتحدة تسليح القوات الفرنسية بأسلحة أمريكية تحت إشراف أيزنهاور .

وفى ١٢ مايو ١٩٤٣ استسلمت قوات المحور فى تونس لكل من مونتجمرى وإيزنهاور ، وفر روميل وبعض مساعديه إلى ألمانيا وسيطر الحلفاء على شمال أفريقيا والبحر المتوسط حيث تم تخليص صقلية من المحور فى ١٠ يوليه ، وفى ٢٥ يوليه استقال موسيلينى من منصبه ثم ألقى القبض عليه وسجنه فى معتقل خاص، ثم تم فتح جبهة ثانية فى فرنسا ، حيث تم إنزال أكثر من مليون جندى أمريكى وبريطانى إلى شواطئ نورماندیا الفرنسية فى صيف ١٩٤٤

فى أغسطس ١٩٤٣ احتل الحلفاء صقلية ، وقاموا بغزو إيطاليا فى سبتمبر من نفس العام ، وسقطت حكومة موسيلينى وشكلت حكومة إيطالية جديدة دخلت فى مفاوضات سرية مع الحلفاء ، وكان الروس على علم تام بسبب نقل إيطاليا من جانب الأعداء إلى جانب الحلفاء ، ولكن لم يسمح لهم بممارسة أى نوع من الإشراف على تلك البلاد ، وهو أمر استخدموه فيما بعد فى تبرير رفضهم منح أمريكا وبريطانيا نصيباً من الإشراف فى الدول التى احتلتها جيوشهم ، وكان الألمان قد احتلوا النصف الشمالى من إيطاليا بالكامل

ومن الأسباب التى أدت إلى هزيمة الإيطاليين كما أقرها روميل كالتالى :

١- لم تكن القيادة الإيطالية فى أغلب الأحيان تتلاءم مع المقدرة الفنية وواجبات خوض حرب الصحراء الذى يتطلب اتخاذ قرارات خاطفة يتبعها عمل فورى .

٢- تدريب فرد المشاة الإيطالى لم يكن يتناسب مع ما تتطلبه الحرب الحديثة.

٣- كان عتاده سيئاً للغاية لدرجة أنه لم يكن غير قادر على الثبات بمفرده دون معاونة ألمانيا ، فهناك الكثير من العيوب الفنية الخطيرة فى مدرعاتهم مدافعها ذات المدى القصير ومحركاتها الضعيفة .

٤- وكانت التعيينات رديئة لدرجة أن الجندى الإيطالى كان يطلب من زميله الألمانى أن يشاركه فى طعامه.

٥- ومن أخطر المساوئ التى ظهرت التمييز الفاضح بين الضباط والجنود خاصة بالنسبة للوجبات الغذائية .

٦- لهذا كله ، ليس عجيباً أن يتولد لدى الجندى الإيطالى مركب نقص نتج عنه الفشل فى لحظات الخطر .

ورتب روزفلت اجتماعاً مع تشانج كاى شيك بالقاهرة فى أول ديسمر ١٩٤١ وقبل الذهاب إلى طهران ووعده بالقيام بعمليات عسكرية فى بورما وإرسال حملة برمائية ضد جزر آندومان لمنع اليابانيين من تدعيم جيشهم فى بورما ، ولكن بريطانيا عارضت ذلك ، وبذلك أدرك كاى شيك أهداف روزفلت وتشرشل فى الشرق الأقصى ، وهو إقصاء اليابان عن كافة الجزر التى استولت عليها فى الباسيفيكى منذ بدء الحرب العالمية الأولى وكذلك الأراضى التى احتلتها فى الصين مثل منشوريا وفرموزا وبيسكادور وإعادتها إلى الصين ، والواقع أن قرار مؤتمر القاهرة أيد القرارات التى أصدرها مؤتمر بوتسدام الذى اشترك فى توقيعها الاتحاد السوفيتى غداة دخوله فى حرب ضد اليابان ، أما الولايات المتحدة التى تنفى عن نفسها تهمة الاستعمار هى التى تدخلت تدخلاً مسلحاً فى الصين لمدة سنوات تحت ادعاء معاونة تشانج كاى شيك ، وذلك لأن الاحتكارات الأمريكية حققت أرباحاً هائلة نتيجة للحربين العالميتين الأولى والثانية.

وخلال العام ١٩٤٣ توالت المؤتمرات بشأن الحرب ، ففى يناير كان مؤتمر كازابلانكا (بالدار البيضاء – المغرب) وفيه أصدر روزفلت وتشرشل إعلاناً أيدته روسيا بأن هدف الحلفاء فى مواصلة الحرب هو تسليم ألمانيا وإيطاليا واليابان تسليماً غير مشروط ، وقالا : " أن التسليم غير المشروط " لا يعنى القضاء على الشعب الألمانى أو الشعب الإيطالى أو الشعب اليابانى ، وإنما قصد به استئصال شأفة فلسفة معينة فى ألمانيا وإيطاليا واليابان تقوم على الفتح وإخضاع الشعوب الأخرى " ، ولقد ظهر فيما بعد أن مبدأ التسليم بدون قيد أو شرط الذى أعلن فى هذا المؤتمر ، وكُرر فى مؤتمرى موسكو ويالتا وطبق على ألمانيا واليابان عند استسلامهما ، وفى خلال الفترة

من ١٩ – ٣٠ أكتوبر ١٩٤٣ تم عقد مؤتمر موسكو بشأن ألمانيا والجرائم التى اقترفتها بحق البشرية ، وقد قرر الحلفاء المؤتمرون فى هذا المؤتمر ضرورة تحمل ألمانيا المسئولية ومعاقبة القائمين عليها باعتبارهم مجرمى حرب ، وفى ٢٨ و٢٩ نوفمبر ١٩٤٣ اجتمع كل من ستالين ورزفلت وتشرشل فى طهران ، وفيه قد تناولوا أوضاع الحرب بشكل عام ، وعرضت روسيا مطالبها ، التى أرضيت لأول مرة ، وحصلت على وعد بأن عملية النزول التى تمت فى إيطاليا فى سبتمبر ١٩٤٣ ستتبعها فى مايو ١٩٤٤ عملية ضخمة فى نورماندى ، وأعلنت روسيا نيتها على ضم دول البلطيق ، وتم الاتفاق على تقسيم ألمانيا ، وطالبت روسيا بضرورة دفع بولندا بإعطائها بروسيا الشرقية ، ورغم أن بريطانيا عارضت فى ذلك ، إلا أنها ربطت معارضتها بضرورة موافقة الحكومة البولندية فى لندن على هذا النظام السرى ، وهكذا اتفقت حكومتا لندن وواشنطن على وجهة نظر روسيا دون إعطاء ارتباطات رسمية، حيث أن المؤتمر كان استكشافاً لوجهات النظر ولم يسفر عن أية اتفاقات ، وكان روزفلت يأمل فى إمكان ترك مشاكل الحدود إلى ما بعد انتهاء الحرب ، وتركزت المباحثات على الشرق الأقصى ، وكان ستالين قد أشار إلى عزم روسيا على إعلان الحرب على اليابان بمجرد هزيمة ألمانيا ، وقد أكد ذلك ثانية فى طهران.

الجدير بالذكر أنه بعد انتهاء جلسات المؤتمر فى طهران عاد روزفلت وتشرشل إلى مصر حيث اجتمعا فى الرابع من ديسمبر بعصمت أينونو رئيس الجمهورية التركية وأطلعاه على بعض النظريات السياسية التى تناولها المؤتمر بخصوص القضايا الشرقية وموقف تركيا حيال ألمانيا ، وأعرب ستالين عن موافقته على بيان القاهرة الذى اطلع عليه قبل إذاعته وعن اهتمامه بالحصول على ميناء خال من الجليد ، كما أعرب عن رغبته فى الحصول على جزر كوريل وبقية سخالين . أسند هتلر مقابلة جيوش الحلفاء المرتقب بفرنسا إلى روميل الذى فر إلى ألمانيا من شمال أفريقيا ، ولكنه لقى مصرعه فى صيف ١٩٤٤ ، وخلال الربع الأخير من ١٩٤٤ سقطت المدن

الإيطالية فى قبضة الحلفاء ، وفى أبريل ١٩٤٥ كانت المرحلة الأخيرة من الحرب فى إيطاليا فهاجم الحلفاء الألمان فى إيطاليا من كل جانب ٠

وكان الألمان قد عرفوا مكان موسيلينى ، فأرسلوا جواً سرية من الجنود الفدائيين أنقذته من سجنه ، وألف موسيلينى حكومة إيطالية مناصرة لهم ، وعند انحسار قوتهم اضطر إلى التقهقر معهم ، وأخيراً تمكنت إحدى كتائب المقاومة الإيطالية من إلقاء القبض عليه فى ٢٨ أبريل ١٩٤٥ مع نفر من أنصاره الفاشستين فى بلده دنجو على بحيرة كومو حيث أجريت له محاكمة صورية وحكم عليه بالإعدام ، فأعدم هو وبعض رفاقه رمياً بالرصاص ، وعلقت جثثهم فى بعض ميادين كومو وميلان المقر القديم لرئاسة الحزب الفاشستى. وفى الجبهة الروسية تقدم الروس فى قطاعات مختلفة ، حيث تم طرد الألمان من أوكرانيا (فبراير ١٩٤٤) ثم غزا الروس شبه جزيرة القرم واستعادوها ، وبذلك اقترب الروس من الأراضى الألمانية والممالك البلقانية التى كانت تدور فى فلك هتلر ، ففى الشمال وقف الروس على حدود أستونيا ، وفى الوسط وصلوا إلى مقربة من حدود بولندا ، وفى الجنوب تجاوزاً حدود رومانيا ٠

وفى يوغسلافيا نجح تيتو فى خلق قاعدة جماهيرية فاعلة لنفسه ورفاقه ورغم الأحداث الدموية شرع الشيوعيون اليوغسلافيون رغم دعمهم الذى لم يضعف لستالين وللاستراتيجية الدولية السوفيتية فى تحويل حركتهم إلى حركة قومية ، وكانت مشكلة الكرملين الحقيقية مع تيتو فى أنه كان يكن الإعجاب لستالين ، وقام الشيوعيون اليوغسلاف بأعمال إرهابية ضد أعدائهم – النازى وغيره – وأقيم نظام سياسى سرى واستعيرت أساليبه القمعية بشكل مباشر من ترسانة البوليس السرى السوفيتى – وعمل تيتو على توسيع نفوذه فى دول البلقان ، وعمل على توطيد علاقاته مع الشيوعيين اليونانيين الذين انشغلوا فى حرب أهلية ضد المؤيدين للنظام الاستبدادى الموالى للغرب ، وكانت يوغسلافيا تتعامل مع لأحزاب الشيوعية الألبانية الموالية

للغرب ، وكانت يوغسلافيا تتعامل مع الأحزاب الشيوعية الألبانية والصغيرة بقيادة (أنور خوجة Enver Hoxa) مدرس اللغة الفرنسية بمدينة تيرانا Tirana من موقع الأخ الأكبر ٠

وعندما قرر ستالين أن يستعدى تيتو ويطرده من حركة الأممية الشيوعية تذكر خوجة وزملاءه الذل الذى لحق بهم على يد اليوغسلاف المتعجرفين ودعموا الحملات السوفيتية المعادية ليوغسلافيا وعن فرنسا تسلل أنصار ديجول إلى الجزائر وفى يونيه ١٩٤٣ تم الاتفاق على تأسيس لجنة للتحرير الوطنى ، وهى جبهة تمثل جميع الفئات ، وتتألف من خمسة أعضاء مدنيين ، ويرأسها كل من " ديجول وجيرو " بالتناوب ، وقد تحولت إلى فرنسا المؤقتة بعد عام ٠

وأخذت هذه اللجنة تجند أبناء المستعمرات استعداداً لتحرير فرنسا ، وقد انصرف جيرو إلى الشئون العسكرية ، واهتم ديجول بتأكيد زعامته السياسية ، ومن مقر قيادة اللجنة فى الجزائر تمهد الطريق أمام ديجول لكى يصبح رئيساً للحكومة المؤقتة بعد تحرير فرنسا ٠

هذه الظروف توضح الكثير من معالم ما بعد الحرب وأهمها ما يلى :

أولاً : استتباب النفوذ الفرنسى فى شمال أفريقيا ويرجع ذلك للأسباب الآتية :

١- وجود أعداد كبيرة من العسكريين والمستوطنين الفرنسيين فى شمال أفريقيا ، وحرص الحلفاء على اجتذابهم للتعاون أو تجنيدهم ٠

٢- اشتراك كل من العناصر الفيشية والحرة فى التعاون مع الحلفاء فى هذه الحملة ٠

٣- أن الحملة كانت حملة أمريكية ، ولم تكن لأمريكا فى ذلك الحين مطامع فى الإمبراطورية الفرنسية ، وفى الواقع أن الحلفاء تركوا منذ البداية جميع

الشئون المدنية والعسكرية فى شمال أفريقيا للسلطات الفرنسية ، ولذلك حين كون فرحات عباس حزباً فى أبريل ١٩٤٣ وقدم برنامجاً لسلطات الحلفاء أحالوه على الإدارة الفرنسية .

ثانياً : موقف التحدى الذى وقفه ديجول بعد الحرب من الولايات المتحدة وبريطانيا قد تمثل موقفه من الولايات المتحدة فى عدم قبوله بالزعامة الأمريكية ، وانتهاجه سياسة أوربية مستقلة تزيد عن الحد الذى يسمح به التوازن الدولى الجديد.

أما عن موقفه من بريطانيا فقد تمثل فى منعها وحرمانها من دخول السوق الأوربية المشتركة ، ويعتقد أن موقف ديجول هذا يعتبر الأساس الذى بنيت عليه الوحدة الأوربية وظهورها كقوة مستقلة بين القوى الأعظم (الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى)، وقد أصبح لديجول كثير من الخصوم الذين لم يقبلوا سياسته تجاه المستعمرات خاصة الجزائر التى أصبح لها مركز حساس بالنسة لفرنسا. وحتى نوفمبر ١٩٤٤ نجح الحلفاء فى تحرير بلجيكا وأغلب هولندا ولوكسمبورج وفنلندا ورومانيا وبلغاريا وليتوانيا ولاتفيا وأستونيا واليونان ويوغسلافيا وبولندا واليابان وإيطاليا، إضافة إلى أغلب الأراضى الفرنسية ، ومع ذلك لم يستسلم هتلر، وهكذا بدأت عملية الاستعداد لغزو ألمانيا لإنهاء الحرب. ففى ١٧ سبتمبر ١٩٤٤ حاول الحلفاء تحطيم خط الدفاع الألمانى بإنزال فرق المظلات وراء نهر الراين فى الشمال ، إلا أن هذه المحاولة قد أخفقت ، وفى يناير ١٩٤٥ استطاع الروس اجتياح بولندا متجهين نحو برلين، وبذلك تم لستالين تحقيق أعظم هدف وهو السيطرة على شرق أوربا ، ومهما يكن من شئ فإن القوات الألمانية سرعان ما اندحرت أمام الهجمات المتعاقبة من الشرق والغرب ، واستطاع الحلفاء دخول ألمانيا ، وقد بدأ الهجوم فى ٢٣ يناير ١٩٤٥ متجها صوب نهر الراين ، وما انتهت المعركة حتى تحرك الأمريكيون وما انتهت المعركة حتى تحرك الأمريكيون ليشطروا ألمانيا إلى شطرين.

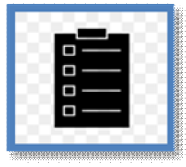

انظر إلى الشخصيات التاريخية المهمة التي ظهرت على ساحة التاريخ الأوروبي في تلك الفترة؟ وقم بعمل مسرحية تاريخية حول تاريخ تلك الفترة.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق المنشورة:

- **وثائق باللغة العربية:**

- الدستور الفرنسى" الصادر فى ٤ أكتوبر ١٩٥٨ وفقًا لآخر تعديلاته الصادرة فى ٢٣ يوليو ٢٠٠٨.
- رياسة الجمهورية: المملكة المتحدة "النظام السياسى والاقتصادى"، مكتب الرئيس للأبحاث الاقتصادية، القاهرة، بدون تاريخ.
- مكتب العمل الدولى بجينيف: النقابات فى الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة؛ مصطفى حسنى، (ب. م)، (ب.ت).

- **وثائق باللغة الإنجليزية:**

- The National Archives: Security Matters Relating to the Abdication of HM King Edward VIII, CAB 301/101.

المذكرات الشخصية:

- مذكرات روميل: جمعها وأعدها للنشر؛ ب. هـ. ليدل هارت، بمعاونة: لوسى ماريا روميل (زوجته)، مانفريد روميل (ابنه)، الجنرال فريتز بايرلاين، تعريب وتعليق؛ فتحى عبدالله النمر، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٦٦
- ونستون تشرشل: مذكرات تشرشل، ج١، منشورات مكتبة المنار، بغداد، بدون تاريخ.

الدوريات:

- **محمد عبد الوهاب سيد: موقف هتلر من يهود ألمانيا (١٩٣٣- ١٩٣٨)م، المجلة التاريخية المصرية، العدد ٤٥، ٢٠٠٧.**
- **محمد سيد إسماعيل(د): الأزمة الدستورية في بريطانيا ١٩٣٦م، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد ٤٦، ج١، ٢٠١٦م.**
- **_____: موقف بريطانيا من أطفال يهود ألمانيا (ديسمبر ١٩٣٨- أغسطس ١٩٣٩)م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد ٥٣، يناير ٢٠٢٠م.**

المراجع العربية:

- **إبراهيم درويش (د): القانون الدستورى "النظريات العامة"، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ٢٠٠٠.**
- **أحمد جلال بسيونى (د): اختلاق الحرب الباردة، "دور الولايات المتحدة فى تقسيم العالم" (١٩٤٥-١٩٥٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣.**
- **أحمد محمد لطفى: تاريخ إنجلترا الاقتصادى فى العصر الحديث،ط١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٤٥.**
- **أحمد وهبان: العلاقات الأمريكية الأوربية بين التحالف والمصلحة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٥.**
- **أدموندس ملكا (د): شرح القانون الانجليزى فى ثمانية أجزاء، ط١، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، القاهرة، ١٩٤٥.**

- إدوارد تيم و.ج.أ.هاو: الحركة التعاونية فى بريطانيا، ترجمة؛ حسين المسلمانى، مكتبة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٩.
- آرثر شليس نفر: ونستون تشرشل، قادة العالم بين الماضى والحاضر "ونستون تشرشل"، بدون مترجم، ط١، دار الرشيد، بيروت، ١٩٩٦.
- أرنست باركر: الديموقراطية الاجتماعية "سلسلة أحاديث شائقة عن الديموقراطية الاجتماعية فى بريطانيا العظمى"، ترجمة؛ حبيب سعيد، دار الشرق والغرب، ١٩٤٩.
- أرنست باركر: الملكية الدستورية فى بريطانيا،ترجمة ونشر؛ وزارة الاستعلامات البريطانية فى الشرق الأوسط، مطبعة جامعة إكسفور، إنجلترا، (ب.ت).
- ـــــ: بريطانيا والشعب البريطانى، بدون ترجة، ١٩٤٥.
- ايروق الكسندر: الدستور البريطانى ونظام الحكم فى مجموعة الأمم البريطانية، ترجمة؛ محمد الهمشرى و محمد أبو طائر ومحمد بدران ويوسف الريدى، د.ن، ١٩٤٠.
- برنار غروتويزن: فلسفة الثورة الفرنسية، ترجمة؛ عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت، ط١، ١٩٨٢.
- جلال يحيى (د): أوربا فى العصور الحديثة "منذ الحرب العالمية الأولى" (الفترة المعاصرة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٨١.
- جورج هـ. سباين: تطور الفكر السياسى، ترجمة؛ على ابراهيم السيد، الكتاب الرابع، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.

- جون كنيدى (الرئيس الأمريكى): لماذا نامت إنجلترا، ترجمة؛ حسين الحوت، مطابع الدار القومية،١٩٥١.
- أ.ج.ب. تايلور، ج. هـ. لومب، روبرت رودس جايمس، بازيل ليدل هارت، أنطوني ستور: تشيرشل "أربعة وجوه والرجل"، ترجمة؛ حسن فخر، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤.
- حافظ عفيفي باشا (د): الانجليز في بلادهم، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٥.
- هـ. أ. ل. فيشر: تاريخ أوربا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)م، ترجمة؛ أحمد نجيب هاشم، وديع الضبع، القاهرة، دار المعارف،
- هاري ويستر: فضائح العائلات المالكة "من سلسلة أخبار غريبة وأسرار عجيبة"، بدون مترجم، بيروت، مؤسسة الانتشار العربي، ب.ت.
- جوندولين كارتر، جون هيرز: نظام الحكم والسياسة فى القرن العشرين، ترجمة، ماهر نسيم، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع، القاهرة، ١٩٦٢.
- حافظ عفيفى باشا (د): الإنجليز فى بلادهم، دار الكتب المصرية، القاهرة،١٩٣٥.
- حسن سيد أحمد (د): النظام السياسى للولايات المتحدة وانجلترا، دار النهضة العربية، القاهرة، ط١ ١٩٩٨.
- حسن نافعة (د): معجم النظم السياسية الليبرالية فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية، مركز البحوث والدراسات السياسية، ط ١، ١٩٩١.

- دافد وطسن دانى: تاريخ أساس الشرائع الإنكليزية "سنة الإرتقاء فى نظام الحكومة الإنكليزية" (مصدر القوانين الأساسية للحكومات الدستورية)، ترجمة؛ نقولا افندى حداد، المكتبة الشرقية، القاهرة، ١٩٠٦.
- دأنييل ر. براور: العالم فى القرن العشرين "عصر الحروب العالمية والثورات"، ب. ت، مرطز الكتاب الأردنى، ١٩٩٠.
- داود الضاهر: الفجر الدامى أو " تاريخ الحرب العالمية الثانية"، ج٢، ريودى جنايرو، البرازيل، ١٩٤٨.
- ر. ب. ماكالام :كيف تُحكم بريطانيا، بدون مترجم، القاهرة، مطبعة النيل، (ب.ت).
- ر. ت. مكنزى: الأحزاب السياسية فى بريطانيا، ترجمة؛ محمد مصطفى عطا، دار المعارف، ١٩٥٧.
- رؤوف سلامة موسى: بريطانيا مهد الديمقراطية وموطن التقاليد، دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية، ١٩٩٣.
- رأفت غنيمى الشيخ (د): أمريكا والعالم فى التاريخ الحديث والمعاصر، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ٢٠٠٦.
- رولان موسينيه: تاريخ الحضارات العام "القرنان السادس عشر والسابع عشر"، ترجمة؛ يوسف أسعد داغر و فريد داغر، مكتبة عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٧.
- رياض الصمد(د): العلاقات الدولية فى القرن العشرين، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦.

- سعاد الشرقاوى(د):النظم السياسية فى العالم المعاصر(الدولة، الموسسات، الحركات)، دار النهضة العربية، ٢٠٠٧.
- سيدنى: الديمقراطية البرلمانية الانجليزية، ترجمة؛ فاروق يوسف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.
- صلاح الدين فوزى (د): البرلمان "دراسة مقارنة تحليلية لبرلمانات العالم"، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٤.
- صلاح العقاد (د): دراسة مقارنة للحركات القومية فى (ألمانيا، إيطاليا، الولايات المتحدة، تركيا)، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، ١٩٦٧.
- عبد الحليم القاضى: دراسات فى التأمينات الاجتماعية (بريطانيا، الاتحاد السوفيتى، الولايات المتحدة)، ١٩٧١م.
- عبد العظيم رمضان (د): تاريخ أوربا والعالم الحديث من ظهور البورجوازية الأوربية إلى الحرب الباردة "من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة، ج٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، اللقاهرة، ١٩٩٧.
- عبد الفتاح أبو علية (د) و إسماعيل أحمد ياغى (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ط٣، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٣.
- عبدالقادر حاتم (د): التقاليد البرلمانية فى بريطانيا، الكتاب رقم (٢٤)، وزارة الإرشاد القومى، القاهرة، ١٩٥٧.
- ف.تروخانوفيسكى: سياسة بريطانيا الخارجية خلال الحرب العالمية، ترجمة؛ عبد الحميد الجمال، مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٦.
- فؤاد يونس: نظام الميزانية فى بريطانيا، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، مركز البحوث الإدارية، ١٩٧٢.

- فاضل حسين (د)، كاظم هاشم نعمة (د): التاريخ الأوربى الحديث(١٨١٥-١٩٣٩)، ط١، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، العراق، ١٩٨٢.
- فرانك تاننباوم: مبادئ السياسة الأمريكية، ترجمة؛ أحمد عبد المجيد فؤاد، مطبعة الشركة للنشر، القاهرة، ١٩٥٨.
- فرغلى على تُسن هريدى (د): تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠١.
- لورد بريدجس: وزارة الخزانة فى بريطانيا، ترجمة؛ فؤاد يونس،المنظمة العربية للعلوم الادارية، مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٤.
- محمد قاسم، حسين حسنى: تاريخ القرن التاسع عشر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.
- مكرم سعيد: الدولار يحكم بريطانيا، دار الفكر، ١٩٦٣.
- ميشيل ستيوارت: نظم الحكم الحديثة، ترجمة؛ أحمد كامل، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٦٢.
- نعمان الخطيب: الأحزاب السياسية ودورها فى أنظمة الحكم المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.
- نعمة حسن البكر (د): الهيمنة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية "العلاقات البريطانية - الأمريكية (١٩٤٥-١٩٥٣)، دراسة فى العلاقات السياسية"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٢.
- هـ. ج. ولز: معالم تاريخ الإنسانية(١٦٠٠-١٩٦٥)، ترجمة؛ عبد العزيز توفيق جاويد، المجلد الرابع فى التاريخ الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤.

- هـ.أ.فشر: تاريخ أوربا الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠)، ترجمة؛ أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع، جمعية التاريخ الحديث،ط٩، دار المعارف، القاهرة،١٩٩٣.
- وليم أ. روبسن: نظام الحكم فى بريطانيا العظمى؛ ترجمة؛ محمد عوض إبراهيم بك، مطبعة المعارف ومكتبتها، القاهرة، ١٩٤٤.

الرسائل العلمية:

- أحمد مدحت على: نظرية الظروف الاستثنائية "دراسة مقارنة فى فرنسا وانجلترا وأمريكا ومصر"، رسالة دكتوراة، كلية الحقوق، جامعة القاهرة،١٩٧٧.
- عادل محمد محمد إبراهيم :دور رئيس الدولة فى النظم الدستورية المعاصرة " دراسة مقارنة"، رسالة دكتوراة، جامعة الإسكندرية، كلية الحقوق، ١٩٩٩.
- محمد سيد إسماعيل: الحياة النيابية فى بريطانيا (١٨٣٢-١٩١٩)، رسالة ماجستير، جامعة جنوب الوادى، كلية الآداب بقنا، ٢٠١٢.
- _____ : الحياة البرلمانية في بريطانيا والولايات المتحدة (١٩١٩- ١٩٤٥)م دراسة مقارنة، رسلة دكتوراة، ٢٠١٥.